



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمّد أبو الفضل إبراهيم

(١٤)

دار النهضة العربية
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ٣
٨	اشاره
١٠	اشاره
١٢	تتمه الخطب و الأوامر
١٢	اشاره
١٢	تتمه خطبه ٤٣
١٢	اشاره
١٢	بقية رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان
٢٠	ذكر المطاعن التى طعن بها على عثمان و الرد عليها
٨٠	بيعه جرير بن عبد الله البجلي لعلی
٨٣	بيعه الأشعث لعلی
٨٤	دعوه على معاويه إلى البيعه و الطاعة و رد معاويه عليه
١٠١	أخبار متفرقه
١٢٥	مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلی
١٢٧	[نسب جرير بن عبد الله البجلي و بعض أخباره]
١٢٩	٤٤ و من كلام له ع لما هرب مصقله بن هبیره الشيبانى إلى معاويه
١٢٩	اشاره
١٣٠	[نسب بنى ناجيه]
١٣٢	[نسب على بن الجهم و ذكر طائفه من أخباره و شعره]
١٣٧	[نسب مصقله بن هبیره]
١٣٧	[خبر بنى ناجيه مع على]
١٣٨	[قصه الخريت بن راشد الناجى و خروجه على على]
١٦٢	٤٥ و من خطبه له ع

- ١٦٢ اشاره
- ١٦٣ [أفضل بلاغى فى الموازنه و السجع]
- ١٦٤ نبذ من كلام الحكماء فى مدح القناعه و ذم الطمع
- ١٧٦ ٤٦ و من كلام له ع عند عزمه على المسير إلى الشام
- ١٧٦ اشاره
- ١٧٧ [أدعيه على عند خروجه من الكوفه لحرب معاويه]
- ١٨٠ [نزول على بكرلاء]
- ١٨٢ [خروج على لحرب معاويه و ما دار بينه و بين أصحابه]
- ١٩٩ [كتاب محمّد بن أبى بكر إلى معاويه و جوابه عليه]
- ٢٠٨ ٤٧ و من كلام له ع فى ذكر الكوفه
- ٢٠٨ اشاره
- ٢٠٩ [أفضل فى ذكر فضل الكوفه]
- ٢١٢ ٤٨ و من خطبه له ع عند المسير إلى الشام
- ٢١٢ اشاره
- ٢١٤ [أخبار على فى جيشه و هو فى طريقه إلى صفين]
- ٢٢٨ ٤٩ و من خطبه له ع
- ٢٢٨ اشاره
- ٢٢٩ [أصول فى العلم الإلهى]
- ٢٣٠ الفصل الأول و هو الكلام فى كونه تعالى عالما بالأمر الخفيه
- ٢٣٣ الفصل الثانى فى تفسير قوله ع وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ
- ٢٣٤ الفصل الثالث فى أن هويته تعالى غير هويه البشر
- ٢٣٥ الفصل الرابع فى نفي التشبيه عنه تعالى
- ٢٥٠ الفصل الخامس فى بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه و مثبت له بقلبه
- ٢٥٢ ٥٠ و من خطبه له ع
- ٢٥٦ ٥١ و من كلام له ع لما غلب أصحاب معاويه أصحابه ع على شريعه الفرات بصفين و منعوهم من الماء
- ٢٥٦ اشاره

٢٥٧ [الأشعار الواردة فى الإباء و الأئنف من احتمال الضيم]
٢٦١ [أباه الضيم و أخبارهم]
٣٢٤ غلبه معاويه على الماء بصفين ثم غلبه على عليه بعد ذلك
٣٤٤ ٥٢
٣٤٤ اشاره
٣٤٧ [اما قيل من الأشعار فى ذم الدنيا]
٣٤٢ فهرس الخطب
٣٤٣ فهرس الموضوعات
٣٤٤ تعريف مركز

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۵-۷۶۹۲

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بقية رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الواحد العدل الكريم و اعلم أن الذى ذكره المرتضى رحمه الله تعالى P١P و أورده على قاضى القضاء (١) جيد و لازم متى ادعى قاضى القضاء أن العداله إذا ثبتت ظنا أو قطعا لم يجز العدول عنها و التبرؤ إلا بما يوجب القطع و يعلم به علما يقينيا زوالها-فأما إذا ادعى أن المعلوم لا يزول إلا بما يوجب العلم فلا يرد عليه ما ذكره المرتضى رحمه الله تعالى.

و له أن يقول قد ثبتت بالإجماع إمامه عثمان و الإجماع دليل قطعى عند أصحابنا و كل من ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التى بها ثبتت إمامته لأنه لا يجوز أن تكون إمامته معلومه و شرائطها مظنوننه لأن الموقوف على المظنون مظنون فتكون إمامته مظنوننه و قد فرضناها معلومه و هذا خلف و محال و إذا كانت عدالته معلومه لم يجز القول بانتفائها و زوالها إلا بأمر معلوم.

و الأخبار التى رويت فى أحداثه أخبار آحاد لا تفيد العلم فلا يجوز العدول عن المعلوم بها فهذا الكلام إذا رتب هذا الترتيب اندفع به ما اعترض به المرتضى رحمه الله تعالى

[بقيه ردّ المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان]

(١) فأما كلام المرتضى رحمه الله تعالى على الفصل الثاني من كلام قاضى القضاء و هو الفصل المحكى عن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى فنحن نورده قال رحمه الله تعالى (٢) .

أما قوله لو كان ما ذكر من الأحداث قادحا لوجب من الوقت الذى ظهرت الأحداث فيه أن يطلبوا رجلا ينصبونه فى الإمامه لأن ظهور الحدث كموته فلما رأيناهم طلبوا إماما بعد قتله دل على بطلان ما أضافوه إليه من الأحداث فليس بشىء معتمد لأن تلك الأحداث و إن كانت مزيله عندهم لإمامته و فاسخه لها و مقتضيه لأن يعقدوا لغيره الإمامه (٣) إلاّ أنهم لم يكونوا قادرين على أن يتفقوا على نصب غيره (٤) مع تشبته بالأمر خوفا من الفتنة و التنازع و التجاذب و أرادوا أن يخلع نفسه حتى تزول الشبهه و ينشط من يصلح للأمر لقبول العقد و التكفل بالأمر و ليس يجرى ذلك مجرى موته لأن موته يحسم الطمع فى استمرار ولايته و لا تبقى شبهه فى خلو الزمان من إمام و ليس كذلك حدثه الذى يسوغ فيه التأويل على بعده و تبقى معه الشبهه فى استمرار أمره و ليس نقول (٥) إنهم لم يتمكنوا من ذلك كما سأل نفسه بل الوجه فى عدولهم ما ذكرناه من إرادتهم حسم (٦) المواد و إزاله الشبهه و قطع أسباب الفتنة.

ص: ٤

١- (*) تابع لما ورد فى الجزء الثانى ص ٣٢٨ و ما بعدها.

٢- ١) الشافى ٢٦٦ و ما بعدها؛ و عبارته فى أول هذا الفصل: «فأما عد الأحداث التى نقت عليه، فنحن نتكلم عليها و على ما أورده من المعاذير فيها بمشيئه الله تعالى عند ذكره لذلك؛ فأما ما حكاه عن أبى على من قوله: لو كان ما ذكره من الأحداث قادحا...» و انظر ص ٣٦٢ من الجزء الثانى.

٣- ٢- ٢) كذا فى ا، ج، و فى ب و الشافى: «فإنهم لم يقدموا على نصب غيره..».

٤- ٢- ٢) كذا فى ا، ج، و فى ب و الشافى: «فإنهم لم يقدموا على نصب غيره..».

٥- ٤) ا: «لحسم»، و كذلك فى الشافى.

-٦

قال فأما قوله إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع في الأيام التي حصر فيها و قتل بل كانت تقع حالا بعد حال فلو كانت توجب الخلع و البراءة لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان المقيمون من الصحابه بالمدينه أولى بذلك من الواردين من البلاد فلا شك أن الأحداث لم تحصل في وقت واحد إلا أنه غير منكر أن يكون نكيرهم إنما تأخر لأنهم تأولوا ما ورد عليهم من أفعاله على أجمل الوجوه حتى زاد الأمر و تفاقم و بعد التأويل و تعذر التخريج و لم يبق للظن الجميل طريق فحينئذ أنكروا و هذا مستمر على ما قدمنا ذكره من أن العدالة و الطريقه الجميله يتأول لها في الفعل و الأفعال القليله بحسب ما تقدم من حسن الظنّ به ثم ينتهي الأمر [بعد ذلك]

(١) إلى بعد التأويل و العمل على الظاهر القبيح.

قال على أن الوجه الصحيح في هذا الباب أن أهل الحق كانوا معتقدين بخلعه من أول حدث بل معتقدين أن إمامته لم تثبت وقتنا من الأوقات و إنما منعهم من إظهار ما في نفوسهم ما قدمناه من أسباب الخوف و التقيه لأن الاعتذار بالوجل (٢) كان عاما فلما تبين أمره حالا بعد حال و أعرضت الوجوه عنه و قل العاذر له قويت الكلمه في خلعه و هذا إنما كان في آخر الأمر دون أوله فليس يقتضى الإمساك عنه إلى الوقت الذي وقع الكلام فيه نسبة الخطأ إلى الجميع على ما ظنه.

قال فأما دفعه بأن تكون الأمه أجمعت على خلعه بخروجه (٣) نفسه و خروج من كان في حيزه عن القوم فليس بشيء لأنه إذا ثبت أن من عداه و عدا عبيده و الرهيط من فجار أهله و فساقهم كمروان و من جرى مجراه كانوا مجمعين على خلعه فلا شبهه

ص: ٥

١-١ من كتاب الشافى.

٢-٢ كذا فى ج، و فى حاشيتها: «يعنى أكثر الناس يعتذرون بالخوف»، و فى ا، ب: «لأن الإعدار بالرجل»، و فى الشافى: «لأن الاغترار بالرجل».

٣-٣ ب: «بإخراجه».

فى أن الحق فى غير حيزه لأنه لا- يجوز أن يكون هو المصيب و جميع الأمه مبطل و إنما يدعى أنه على الحق لمن ينازع فى إجماع من عداه فأما مع التسليم لذلك فليس يبقى شبهه و ما نجد مخالفينا يعتبرون فى باب الإجماع بإجماع الشذاذ و النفر القليل الخارجين من الإجماع ألا ترى أنهم لا يحفلون (١) بخلاف سعد (٢) و أهله و ولده فى بيعه أبى بكر لقلتهم و كثره من بإزائهم و لذلك لا- يعتدون بخلاف من امتنع من بيعه أمير المؤمنين ع و يجعلونه شاذًا لا تأثير بخلافه (٣) فكيف فارقوا هذه الطريقة فى خلع عثمان و هل هذا إلا تقلب و تلون.

قلت أما إذا احتج أصحابنا على إمامه أبى بكر بالإجماع فاعتراض حجتهم بخلاف سعد و ولده و أهله اعتراض جيد و ليس يقول أصحابنا فى جوابه هؤلاء شذاذ فلا نحفل بخلافهم و إنما المعتبر بالكثرة التى بإزائهم و كيف يقولون هذا و حجتهم الإجماع و لا إجماع و لكنهم يجيبون عن ذلك بأن سعدا مات فى خلافه عمر فلم يبق من يخالف فى خلافه عمر فاعتقد الإجماع عليها و بايع ولد سعد و أهله من قبل و إذا صحت خلافه عمر صحت خلافه أبى بكر لأنها فرع عليها و محال أن يصح الفرع و يكون الأصل فاسدا فهكذا يجب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذا احتجوا بالإجماع فأما إذا احتجوا بالاختيار فلا- يتوجه نحوهم الاعتراض بخلاف سعد و أهله و ولده لأنه ليس من شرط ثبوت الإمامه بالاختيار إجماع الأمه على الاختيار و إنما يكفى فيه بيعه خمسه من أهل الحل و العقد على الترتيب الذى يرتب أصحابنا الدلاله عليه و بهذا الطريق يثبت عندهم إمامه على ع و لم يحفل بخلاف معاويه و أهل الشام فيها.

ص: ٦

١-١) يقال: لم يحفل بالأمر؛ إذا لم يبال به.

٢-٢) هو سعد بن عباده الأنصارى، و انظر حديث السقيفه فى تاريخ الطبرى (حوادث السنه الحاديه عشره).

٣-٣) ج: «لا تأثير له».

قال رحمه الله تعالى فأما قوله إن الصحابه كانت بين فريقين من نصره (١) كزيد بن ثابت و ابن عمر و فلان و فلان و الباقون ممتنعون انتظارا لزوال العارض و لأنه ما ضيق عليهم الأمر في الدفع عنه فعجيب لأن الظاهر أن أنصاره هم الذين كانوا معه في الدار يقاتلون عنه (٢) و يدفعون الهاجمين عليه.

فأما من كان في منزله ما أغنى عنه فتिला فلا يعد ناصرا و كيف يجوز ممن أراد نصرته و كان معتقدا لصوابه و خطأ المطالبين له بالخلع أن يتوقف عن النصره طلبا لزوال العارض و هل تراد النصره إلا لدفع العارض و بعد زواله لا حاجه إليها و ليس يحتاج في نصرته إلى أن يضيق هو عليهم الأمر فيها بل من كان معتقدا لها لا يحتاج حمله إلى إذنه فيها و لا يحفل بنهيه عنها لأن المنكر مما قد تقدم أمر الله تعالى بالنهي عنه فليس يحتاج في إنكاره إلى أمر غيره.

قال فأما زيد بن ثابت فقد روى ميله إلى عثمان و ما يغنى ذلك و بإزائه جميع المهاجرين و الأنصار و لميله إليه سبب معروف

٤٥٩

فإنَّ الْوَأَقِدِيَّ رَوَى فِي كِتَابِ الدَّارِ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا حُصِرَ عُمَانُ الْحَضِيرَ الْأَخِيرَ أَنَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَاسْتَضَى حَبَّهُ إِلَى عَائِشَةَ لِيَكَلِّمَهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ فَمَضَى إِلَيْهَا وَ هِيَ عَازِمَةٌ عَلَى الْحَجِّ فَكَلَّمَهَا فِي أَنْ تُقِيمَ وَ تَدُبَّ عَنْهُ فَأَقْبَلَتْ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَتْ وَ مَا مَنَعَكَ يَا ابْنَ ثَابِتٍ وَ لَكَ الْأَشَارِيفُ قَدْ اقْتَطَعَهَا (٣) عُمَيَّانُ وَ لَكَ كَذَا وَ كَذَا وَ أَعْطَاكَ عُمَانُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ قَالَ زَيْدٌ فَلَمْ أَرْجِعْ عَلَيْهَا حَرْفًا وَاحِدًا وَ أَشَارَتْ إِلَيَّ مَرْوَانَ بِالْقِيَامِ فَقَامَ مَرْوَانُ وَ هُوَ يَقُولُ

ص: ٧

١-١) الشافى: «من ينصره».

٢-٢) ب: «يقاتلون غيره».

٣-٣) الشافى: «قد قطعها».

حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْدَمًا (١).

فَنَادَتْهُ عَائِشَةُ وَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْعَتَبَةِ يَا ابْنَ الْحَكَمِ أَعَلَى تَمَثُّلِ الْأَشْعَارِ قَدْ وَ اللَّهِ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ أ تَرَانِي فِي شَكٍّ مِنْ صَاحِبِكَ وَ
الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ الْآنَ فِي غِرَارِهِ مِنْ غِرَائِرِي مَخِيطٌ عَلَيْهِ فَأُلْقِيهِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهَا
(٢) عَلَى الْيَأْسِ مِنْهَا (٣).

وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نُصَيْرَةِ عُثْمَانَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ جَبَلَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
حَبَةَ الْمِازِنِيِّ فَقَالَ لَهُ وَ مَا يَمْنَعُكَ يَا زَيْدُ أَنْ تَذُبَّ عَنْهُ أَعْطَاكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَ حِدَائِقٍ مِنْ نَخْلٍ لَمْ تَرِثْ عَنْ أَبِيكَ مِثْلَ
حَدِيقِهِ مِنْهَا.

٤٤٠

فَأَمَّا ابْنُ عُمَرَ فَإِنَّ الْوَاقِدِيَّ رَوَى أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَ اللَّهُ مَا كَانَ فِينَا إِلَّا خَاذِلٌ أَوْ قَاتِلٌ. وَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْفَى.

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِنْفَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عِ فَإِنَّمَا أَنْفَذَهُمَا إِنْ كَانَ أَنْفَذَهُمَا لِيَمْنَعَا مِنْ انْتِهَاكِ حَرِيمِهِ وَ تَعَمُّدِ قَتْلِهِ
وَ مَنَعِ خُرْمِهِ (٤) وَ نِسَائِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ وَ لَمْ يَنْفَذَهُمَا لِيَمْنَعَا مِنْ مَطَالِبَتِهِ بِالْخَلْعِ وَ كَيْفِ وَ هُوَ عِ مَصْرَحٍ بِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ بِأَحْدَاثِهِ
الْخَلْعَ وَ الْقَوْمَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ كَانُوا يَغْدُونَ وَ يَرُوحُونَ وَ مَعْلُومٌ مِنْهُ ضَرُورُهُ أَنَّهُ كَانَ مُسَاعِدًا عَلَى خَلْعِهِ وَ نَقْضِ أَمْرِهِ لَا
سِيمَا فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ فَأَمَّا ادْعَاؤُهُ أَنَّهُ عِ لَعْنِ قَتْلِهِ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ الَّتِي

ص: ٨

١ - ١) الإجماع: الإقلاع؛ و البيت للربيع بن زياد؛ من أبيات في الحماسة ٢-٤٨٤-٤٨٧، بشرح المرزوقي. و في الشطر الأول من البيت
زحاف بالخرم؛ و هو جائز في أول المتقارب و الطويل، و رواه اللسان: «و حرق»؛ بلا خرم. و قيس هو ابن زياد العبسي.

٢ - ٢ - ٢) الشافى: «على الناس».

٣ - ٢ - ٢) الشافى: «على الناس».

-٤

هى أظهر من هذه الروايه و إن صحت فيجوز أن تكون محموله على لعن من قتله متعمدا قتله قاصدا إليه فإن ذلك لم يكن لهم.
فأما ادعاؤه أن طلحه رجع لما ناشده عثمان يوم الدار فظاهر البطلان و غير معروف فى الروايه و الظاهر المعروف أنه لم يكن على عثمان أشد من طلحه و لا أغلظ منه.

قال و لو حكينا من كلامه فيه ما قد روى لأفينا قطعه كثيره من هذا الكتاب و قد روى أن عثمان كان يقول يوم الدار اللهم اكفنى طلحه و يكرر ذلك علما بأنه أشد القوم عليه و روى أن طلحه كان عليه يوم الدار درع و هو يرمى الناس و لم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل (١).

فأما ادعاؤه الروايه

٤٤١

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص سَتُّونُ فِتْنَهُ وَ أَنَّ عُثْمَانَ وَ أَصْحَابَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى!

فهو يعلم أن هذه الروايه الشاذه لا تكون فى مقابله المعلوم ضروره من إجماع الأمه على خلعه و خذله و كلام وجوه المهاجرين و الأنصار فيه و بإزاء هذه الروايه ما يملأ الطروس عن النبى ص و غيره مما يتضمن ما تضمنته و لو كانت هذه الروايه معروفه لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار و قد احتج عليهم بكل غث و سمين و قبل ذلك لما خصم و طولب بأن يخلع نفسه و لاحتج بها عنه بعض أصحابه و أنصاره و فى علمنا بأن شيئا من ذلك لم يكن دلاله على أنها مصنوعه موضوعه.

فأما ما رواه عن عائشه من قولها قتل و الله مظلوما فأقوال عائشه فيه معروفه و معلومه و إخراجها قميص رسول الله ص و هى تقول هذا قميصه لم يبيل و قد أبلى عثمان سنته إلى غير ذلك مما لا يحصى كثره.

ص: ٩

١-١) ب: «الرجال»، و ما أثبتته عن ا،ج، و كتاب الشافى.

فأما مدحها له و ثناؤها عليه فإنما كانا عقيب علمها بانتقال الأمر إلى من انتقل إليه و السبب فيه معروف و قد وقفت عليه و قوبل بين كلامها فيه متقدما و متأخرا.

فأما قوله لا يمتنع أن يتعلق بأخبار الآحاد في ذلك لأنها في مقابله ما يدعونه ممّا طريقه أيضا الآحاد فواضح البطلان لأن إطباق الصحابه و أهل المدينة إلا من كان في الدار معه على خلافه فإنهم كانوا بين مجاهد و مقاتل مبارز و بين متقاعد خاذل معلوم ضروره لكل من سمع الأخبار و كيف يدعى أنها من جهه الآحاد حتى يعارض بأخبار شاذه نادره و هل هذا إلا مكابره ظاهره.

فأما قوله إنا لا نعدل عن ولايته بأمر محتمله فقد مضى الكلام في هذا المعنى و قلنا إن المحتمل هو ما لا ظاهر له و يتجاذبه أمور محتمله فأما ما له ظاهر فلا يسمى محتملا و إن سماه بهذه التسميه فقد بينا أنه ممّا يعدل من أجله عن الولاية و فصلنا ذلك تفصيلا بينا.

و أمّا قوله إن للإمام أن يجتهد برأيه في الأمور المنوطه به و يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبه مذمومه فأول ما فيه أنه ليس للإمام و لا غيره أن يجتهد في الأحكام و لا يجوز أن يعمل فيها إلا على النصّ ثمّ إذا سلّمنا الاجتهاد فلا شك أن هاهنا أمورا لا يسوغ فيها الاجتهاد حتى يكون من خبرنا عنه بأنه اجتهد فيها غير مصوب (١) و تفصيل هذه الجمله يبين عند الكلام على ما تعاطاه من الإعذار عن أحداثه (٢) على جهه التفصيل.

قلت الكلام في هذا الموضوع على سبيل الاستقصاء إنّما يكون في الكتب الكلاميه المبسوطه في مسأله الإمامه و ليس هذا موضع ذاك و لكن يكفي قاضى القضاة أن يقول

ص: ١٠

١-١) كذا في الأصول، و في كتاب الشافى: «غير مصدق».

٢-٢) الشافى: «في أحداثه».

قد ثبت بالإجماع صحه إمامه عثمان فلا- يجوز الرجوع عن هذا الإجماع إلا بإجماع معلوم على خلعه و إباحه قتله و لم يجمع المسلمون على ذلك لأنه قد كان بالمدينه من ينكر ذلك و إن قتلوا و قد كان أهل الأمصار ينكرون ذلك كالشام و البصره و الحجاز و اليمن و مكّه و خراسان و كثير من أهل الكوفه و هؤلاء مسلمون فيجب أن تعتبر أقوالهم فى الإجماع فإذا لم يدخلوا فيمن أجلب عليه لم ينعقد الإجماع على خلعه و لا على إباحه دمه فوجب البقاء على ما اقتضاه الإجماع الأول

ذكر المطاعن التى طعن بها على عثمان و الرد عليها

فأما الكلام فى المطاعن المفصله التى طعن بها فيه فنحن نذكرها و نحكى ما ذكره قاضى القضاة و ما اعترضه به المرتضى رحمه الله تعالى (١).

الطعن الأول قال قاضى القضاة فى المغنى فمما طعن به عليه قولهم إنّه ولى أمور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق و الفساد و من لا علم عنده مراعاة منه لحرمة القرابه و عدولا عن مراعاة حرمة الدين و النظر للمسلمين حتى ظهر ذلك منه و تكرر و قد كان عمر حذره من ذلك حيث وصفه بأنّه كلف بأقاربه و قال له إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط بنى أبى معيط على رقاب الناس فوقع منه ما حذره إياه و عوتب فى ذلك فلم ينفع العتب و ذلك نحو استعماله الوليد بن عقبه (٢) و تقليده إياه

ص: ١١

-
- ١- (١) نقله المرتضى فى الشافى ٢٦٧ و ما بعدها.
- ٢- (٢) هو الوليد بن عقبه بن أبى معيط أخو عثمان لأمه، و أمهما أروى بنت كرىز بن ربيعه بن حبيب ابن عبد شمس. و لاه عثمان الكوفه بعد عزل سعد بن أبى و قاص؛ ثم عزله عنها بعد أن ثبت عليه شرب الخمر؛ فى خبر مشهور. الإصابه ٣: ٦٠١.

حتى ظهر منه شرب الخمر و استعماله سعيد بن العاص (١) حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجهم أهل الكوفة و توليته عبد الله بن أبي سرح (٢) و عبد الله بن عامر بن كريز (٣) حتى روى عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما تظلم منه أهل مصر و صرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر كاتبه بأن يستمر على ولايته فأبطن خلاف ما أظهر فعل من غرضه خلاف الدين و يقال إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر و غيره ممن يرد عليه و ظفر بذلك الكتاب و لذلك عظم التظلم من بعد و كثر الجمع و كان سبب الحصار و القتل حتى كان من أمر مروان و تسلطه عليه و على أموره ما قتل بسببه و ذلك ظاهر لا يمكن دفعه.

قال رحمه الله تعالى و جوابنا عن ذلك أن نقول أما ما ذكر من توليته من لا يجوز أن يستعمل فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعى أنه حين استعمالهم علم من أحوالهم خلاف الستر و الصلاح لأن الذي ثبت عنهم من الأمور القبيحة حدث من بعد و لا يمنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده و إنما كان يجب تخطئه لو استعمالهم و هم في الحال لا يصلحون لذلك.

فإن قيل فلما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم قيل كذلك فعل لأنه إنما استعمل الوليد بن عقبه قبل ظهور شرب الخمر عنه

ص: ١٢

-
- ١- ١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي. و لاه عثمان الكوفة بعد الوليد بن عقبه؛ ثم شكاه أهل الكوفة؛ لتجبر و غلظه فيه، و كتبوا إلى عثمان: لا حاجة لنا في وليدك و لا سعيدك؛ فعزله. الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١.
- ٢- ٢) هو عبد الله بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري، أخو عثمان من الرضاعة؛ كان على الصعيد في زمن عمر، ثم ضم إليه عثمان مصر كلها؛ و افتتح إفريقيه، الإصابه ٣: ٣٠٩.
- ٣- ٣) هو عبد الله بن عامر بن كريز ربيعه بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العيشمي، ابن خال عثمان بن عفان. عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة و عثمان بن أبي العاص عن فارس؛ و جمع ذلك كله لعبد الله بن عامر. الاستيعاب لابن عبد البر ٩٣١.

فلما شهد عليه بذلك جلده الحدّ و صرفه و قد روى مثله عن عمر فإنه ولى قدامه بن مظعون بعض أعماله فشهدوا عليه بشرب الخمر أشخصه و جلده الحدّ فإذا عد ذلك فى فضائل عمر لم يجز أن يعد ما ذكره فى الوليد من معائب عثمان و يقال إنه لما أشخصه أقام عليه الحدّ بمشهد أمير المؤمنين ع . و قد اعتذر من عزله سعد بن أبى وقاص بالوليد بأن سعدا شكاه أهل الكوفة فأداه اجتهاده إلى عزله بالوليد . فأما سعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفة و ولى مكانه أبا موسى و كذلك عبد الله بن أبى سرح عزله و ولى مكانه محمّد بن أبى بكر و لم يظهر له من مروان (١) ما يوجب أن يصرفه عما كان مستعملا فيه و لو كان ذلك طعنا لوجب مثله فى كل من ولى و قد علمنا أن رسول الله ص ولى الوليد بن عقبه فحدث منه ما حدث و حدث من بعض أمراء أمير المؤمنين ع الخيانه كالقعقاع بن شور لأنه ولاه على ميسان فأخذ مالها و لحق بمعاويه و كذلك فعل الأشعث بن قيس بمال آذربيجان و ولى أبا موسى الحكم فكان منه ما كان و لا يجب أن يعاب أحد بفعل غيره و إذا لم يلحقه عيب فى ابتداء ولايته فقد زال العيب فيما بعده .

و قولهم إنه قسم أكثر الولايات فى أقاربه و زال عن طريقه الاحتياط للمسلمين و قد كان عمر حذره من ذلك فليس بعيب لأن توليه الأقارب كتوليه الأبعاد فى أنه يحسن إذا كانوا على صفات مخصوصه و لو قيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع إذا كان المولى لهم أشدّ تمكنا من عزلهم و الاستبدال بهم و قد ولى أمير المؤمنين ع عبد الله بن العباس البصره و عبيد الله بن العباس اليمن و قثم بن العباس مكّه حتى قال مالك الأشتر عند ذلك

ص: ١٣

(١- ١) كذا فى ج، و فى ب و الشافى: «فى باب مروان».

على ما ذا قتلنا الشيخ أمس فيما يروى و لم يكن ذلك بعيب إذا أدى ما وجب عليه فى اجتهاده.

فأما قولهم إنه كتب إلى ابن أبى سرح حيث ولى محمّد بن أبى بكر بأنه يقتله و يقتل أصحابه فقد أنكر ذلك أشدّ إنكار حتّى حلف عليه و بين أن الكتاب الذى ظهر ليس كتابه و لا الغلام غلامه و لا الراحله راحلته و كان فى جملة من خاطبه فى ذلك أمير المؤمنين ع فقبل عذره و ذلك بين لأن قول كل أحد مقبول فى مثل ذلك و قد علم أن الكتاب يجوز فيه التزوير فهو بمنزله الخبر الذى يجوز فيه الكذب.

فإن قيل فقد علم أن مروان هو الذى زور الكتاب لأنّه هو الذى كان يكتب عنه فهلا أقام فيه الحدّ.

قيل ليس يجب بهذا القدر أن يقطع على أن مروان هو الذى فعل ذلك لأنّه و إن غلب ذلك فى الظنّ فلا يجوز أن يحكم به و قد كان القوم يسومونه تسليم مروان إليهم و ذلك ظلم لأن الواجب على الإمام أن يقيم الحدّ على من يستحقه أو التأديب و لا يحل له تسليمه إلى غيره فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده ما يوجب فى مروان الحدّ و التأديب ليفعله به و كان إذا لم يفعل و الحال هذه يستحق التعنيف و قد ذكر الفقهاء فى كتبهم أن الأمر بالقتل لا يوجب قودا و لا ديه و لا حدا فلو ثبت فى مروان ما ذكره لم يستحق القتل و إن استحق التعزير لكنه عدل عن تعزيره لأنّه لم يثبت و قد يجوز أن يكون عثمان ظن أن هذا الفعل فعل بعض من يعادى مروان تقييحا لأمره لأن ذلك يجوز كما يجوز أن يكون من فعله و لا يعلم كيف كان اجتهاده و ظنه و بعد فإن هذا الحدث من أجل ما نعموا عليه فإن كان شىء من ذلك يوجب خلع عثمان و قتله فليس إلّا هذا و قد علمنا أن هذا الأمر لو ثبت ما كان يوجب القتل لأن الأمر بالقتل لا يوجب القتل سيما قبل وقوع القتل المأمور به فنقول (١) لهم لو ثبت ذلك على عثمان أ كان يجب قتله فلا يمكنهم ادعاء

ص: ١٤

ذلك لأنه بخلاف الدين و لا بدّ أن يقولوا إن قتله ظلم و كذلك حبسه فى الدار و منعه من الماء فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك و أن يقال إن من لم يدفعهم و ينكر عليهم يكون مخطئا.

و فى القول بأن الصحابه اجتمعوا على ذلك كلهم تخطئه لجميع أصحاب رسول الله ص و ذلك غير جائز و قد علم أيضا أن المستحق للقتل و الخلع لا يحل أن يمنع الطعام و الشراب و علم أن أمير المؤمنين ع لم يمنع أهل الشام من الماء فى صفيين و قد تمكن من منعهم و كل ذلك يدلّ على كون عثمان مظلوما و أن ذلك من صنع الجهال و أن أعيان الصحابه كانوا كارهين لذلك و أيضا فإن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس و لا شبهه أن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفة و إذا صح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم و النكير عليهم واجب.

و أيضا فقد علم أنه لم يكن من عثمان ما يستحق به القتل من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان أو قتل نفس بغير حقّ و أنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام فقتله على كل حال منكر و إنكار المنكر واجب.

و ليس لأحد أن يقول إنه أباح قتل نفسه من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم لأنه لم يمتنع من ذلك بل أنصفهم و نظر فى حالهم و لأنه لو لم يفعل ذلك لم يحل لهم قتله لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا كان على وجه الدفع و المروى أنهم أحرقوا بابه و هجموا عليه فى منزله و بعجوه بالسيف و المشاقص (١) و ضربوا يد زوجته لما وقعت عليه و انتهبوا متاع داره و مثل هذه القتل لا تحل فى الكافر و المرتد فكيف يظن أن الصحابه لم ينكروا ذلك و لم يعدوه ظلما حتى يقال إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه و قد تظاهر الخبر بما جرى من تجمع القوم عليه و توسط أمير المؤمنين ع لأمرهم و أنه

ص: ١٥

١-١) المشاقص: جمع مشقص؛ و هو النصل العريض.

بذل لهم ما أرادوه و أعتبهم (١) و أشهد على نفسه بذلك و أن الكتاب الموجود بعد ذلك المتضمن لقتل القوم و وقف عليه

٤٤٢

١- وَ مِمَّنْ أَوْفَقَهُ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع (٢) فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا كَتَبَهُ وَ لَا أَمَرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَمَنْ تَتَّهَمُ قَالَ مَا أَتَّهَمُ أَحَدًا وَ إِنَّ لِلنَّاسِ لِحَيَاتًا

و الروايه ظاهره أيضا بقوله إن كنت أخطأت أو تعمدت فيأني تائب و مستغفر فكيف يجوز و الحال هذه أن تهتك فيه حرمه الإسلام و حرمه البلد الحرام و لا شبهه في أن القتل على وجه الغيله لا يحل فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه و لو لا أنه كان يمنع من محاربه القوم ظنا منه أن ذلك يؤدي إلى القتل الذريع لكثير أنصاره.

٤٤٣

١,٢- وَ قَدْ جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ أَنَّ الْأَنْصَارَ بَدَأَتْ مُعُونَتُهُ وَ نُصِرَتَهُ وَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَهُ الْحَسَنَ ع فَقَالَ لَهُ قُلْ لِأَيِّكَ فَلْتِيَأْتِنِي فَأَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع الْمَصِيرَ إِلَيْهِ فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدُ ابْنُهُ وَ اسْتَبَعَانَ بِالنِّسَاءِ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَ الصَّرِيحُ (٣) بِقَتْلِ عُثْمَانَ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْقَبْلَةِ وَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ .

فإن قالوا إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض و أنه داخل تحت آية المحاربين .

قيل فقد كان يجب أن يتولى الإمام هذا الفعل لأن ذلك يجري مجرى الحد و كيف يدعى ذلك و المشهور عنه أنه كان يمنع من مقاتلتهم حتى روى أنه قال لعبيده و مواليه و قد هموا بالقتال من أغمد سيفه فهو حر و لقد كان مؤثرا لنكير ذلك الأمر بما لا يؤدي إلى إراقه الدماء و الفتنة و لذلك لم يستعن بأصحاب الرسول ص و إن كان لما اشتد الأمر أعانه من أعان لأن عند ذلك تجب النصره و المعونه فحيث

ص: ١٦

١-١) أعتبهم: أرضاهم.

٢-٢) عبارته الشافى: «و ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام واقفه على الكتاب».

٣-٣) الصريح: المستغيث.

كانت الحال متماسكه و كان ينهى عن إنجاده و إعانتته بالحرب امتنعوا و توقفوا و حيث اشتد الأمر أعانه و نصره من أدركه دون من لم يغلب ذلك في ظنه.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال (١) أما قوله لم يكن عالما بحال الفسقه الذين ولاهم قبل الولاية فلا تعويل عليه لأنه لم يول هؤلاء نفر إلا و حالهم مشهوره في الخلاعه و المجانه و التجرم و التهتك و لم يختلف اثنان في أن الوليد بن عقبه لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر و الاستخفاف بالدين على استقبال ولايته للكوفه بل هذه كانت سنته و العاده المعروفه منه و كيف يخفى على عثمان و هو قريبه و لصيقه و أخوه لأمه من حاله ما لا يخفى على الأجانب الأبعد و لهذا

٤٤٤

قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ وَ قَدْ دَخَلَ الْكُوفَةَ يَا أَبَا وَهْبٍ (٢) أَمِيرٌ أَمْ زَائِرٌ فَقَالَ بَلْ أَمِيرٌ فَقَالَ سَعْدٌ مَا أَدْرِي أَمْ حَمِئْتُ بَعْدَكَ أَمْ كَسْتُ بَعْدِي قَالَ مَا حَمِئْتُ بَعْدِي وَلَا كَسْتُ بَعْدَكَ وَ لَكِنَّ الْقَوْمَ مَلَكُوا (٤) فَاسْتَأْثَرُوا فَقَالَ سَعْدٌ مَا أَرَاكَ إِلَّا صَادِقًا-

٤٤٥

وَ فِي رِوَايَةِ أَبِي مِخْنَفٍ لِحُوطِ بْنِ يَحْيَى الْأَزْدِيِّ أَنَّ الْوَلِيدَ لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ مَرَّ عَلَى مَجْلِسِ عَمْرِو بْنِ زُرَّارَةَ النَّخَعِيِّ فَوَقَفَ فَقَالَ عَمْرُو يَا مَعْشَرَ بَنِي أَسَدٍ بَشِيرًا مَا اسْتَقْبَلْنَا بِهِ أَحْوَكُمْ إِنْ عَفَّانَ أَمْ مِنْ عَدْلِهِ أَنْ يَنْزِعَ عَنَّا إِنْ أَبِي وَقَّاصٍ الْهَيْئَةَ اللَّيِّنَ السَّهْلَ الْقَرِيبَ وَ يَبْعَثُ بِدَلِهِ أَخَاهُ الْوَلِيدَ الْأَحْمَقَ الْمَاجِنَ الْفَاجِرَ قَدِيمًا وَ حِدِيثًا وَ اسْتِعْظَمَ النَّاسُ مَقْدَمَهُ وَ عَزَلَ سَعْدُ بِهِ وَ قَالُوا أَرَادَ عُثْمَانُ كَرَامَةَ أَخِيهِ بِهِوَانِ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ ص . وَ هَذَا تَحْقِيقٌ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ حَالَهُ كَانَتْ مَشْهُورَةً قَبْلَ الْوِلَايَةِ لَا رَيْبَ فِيهَا عِنْدَ أَحَدٍ فَكَيْفَ

ص: ١٧

١-١ (١) الشافى ص ٢٦٩.

٢-٢ (٢) أبو وهب كنيه الوليد بن عقبه.

٣-٣ (٣) من الكيس، و هو خلاف الحمق.

٤-٤ (٤) كذا في ج و الشافى، و في ب: «و لو».

يقال إنه كان مستورا حتى ظهر منه ما ظهر و في الوليد نزل قوله تعالى أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١) فالمؤمن هاهنا أمير المؤمنين ع و الفاسق الوليد على ما ذكره أهل التأويل

٤٤٤

١٤- وَ فِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبَهُمْ غُرُوبًا مِمَّا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٢) وَ السَّيِّبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَذَبَ عَلَى بَنِي الْمُضَيَّطِّعِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ ادَّعَى أَنَّهُمْ مَنَعُوهُ الصَّدَقَةَ . و لو قصصنا مخازيه المتقدمه و مساويه لطال بها الشرح.

و أما شره الخمر بالكوفه و سكره حتى دخل عليه [من دخل]

(٣) و أخذ خاتمه من إصبعه و هو لا يعلم فظاهر و قد سارت به الركبان و كذلك كلامه في الصلاه و التفاته إلى من يقتدى به فيها و هو سكران و قوله لهم أزيدكم فقالوا لا قد قضينا صلواتنا حتى قال الحطيئه في ذلك.

شهد الحطيئه يوم يلقي ربه

أن الوليد أحق بالعدر (٤)

ص: ١٨

١-١) سورة السجده ١٨.

٢-٢) سورة الحجرات ٦.

٣-٣) تكمله من كتاب الشافى.

٤-٤) كذا وردت الروايه فى الأصول و الشافى؛ و روى صاحب الأغاني ١٧٦:٤ (ساسى) بسنده عن مصعب الزبيرى، قال: قال الوليد بن عقبه بعد ما جلد: اللهم إنهم شهدوا على بزور، فلا-ترضهم عن أمير، و لا ترض عنهم أميراً؛ فقال الحطيئه يكذب عنه: شهد الحطيئه يوم يلقي ربه أن الوليد أحق بالعدر خلعوا عنانك إذ جريت و لو تركوا عنانك لم تزل تجرى و رأوا شمائل ماجد أنف يعطى على الميسور و العسر فنزعت مكذوبا عليك و لم تنزع إلى طمع و لا فقر فقال رجل من بنى عجل يرد على الحطيئه: نادى و قد تمت صلواتهم أزيدكم-ثملا-و ما يدرى ليزيدكم خيرا و لو قبلوا لقرنت بين الشفع و الوتر.-

و قال فيه أيضا تكلم فى الصلاه و زاد فيها

و أما قوله إنه جلده الحدّ و عزله فبعد أى شىء كان ذلك و لم يعزله إلا بعد أن دافع و مانع و احتج عنه و ناضل و لو لم يقهره أمير المؤمنين ع على رأيه لما عزله و لا أمكن من جلده

٤٤٧

١- وَ قَدْ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا جَاءَهُ الشُّهُودُ يَشْهَدُونَ عَلَى الْوَلِيدِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ أَوْعَدَهُمْ وَ تَهَدَّدَهُمْ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَ يُقَالُ إِنَّهُ ضَرَبَ بَعْضَ الشُّهُودِ أَيْضًا أَسْوَاطًا فَأَتَوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع فَشَكَرُوا إِلَيْهِ فَأَتَى عُثْمَانَ فَقَالَ عَطَلْتَ الْحُدُودَ وَ ضَرَبْتَ قَوْمًا شَاهِدُوا عَلَى أَحَبِّكَ فَقَلَبْتَ الْحُكْمَ وَ قَدْ قَالَ لَكَ عُمَرُ لَا تَحْمِلْ بَيْنِي أُمَّيَّةَ وَ آلَ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ قَالَ فَمَا تَرَى قَالَ أَرَى أَنْ تَغْزَلَهُ وَ لَا تُؤَلِّيَهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنْ تَسْأَلَ عَنِ الشُّهُودِ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ ظَنِّهِ وَ لَا عَدَاوَةٍ أَقَمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ الْحَيْدَ وَ تَكَلَّمْتَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ عَائِشَةَ وَ قَالُوا أَقْوَالًا شَدِيدَةً وَ أَخَذَتْهُ الْأَلْسُنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَحِينَئِذٍ عَزَلَهُ وَ مَكَّنَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ.

(٤)

- فأبوا أبا وهب و لو فعلوا وصلت صلاتهم إلى العشر و انظر ديوان الحطية ٨٥.

ص: ١٩

وَقَدْ رَوَى (١) الْوَائِدِيُّ أَنَّ الشُّهُودَ لَمَّا شَهِدُوا عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ وَ أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَحِدَّهُ أَلْبَسَهُ جُبَّةَ خَزٍّ وَ أَدْخَلَهُ بَيْتًا فَجَعَلَ إِذَا بَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ لِيُضْرِبَهُ قَالَهُ لَهُ الْوَالِدِيُّ أَنْشُدَكَ اللَّهُ أَنْ تَقْطَعَ رَحِمِي وَ تُغْضِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ ع ذَلِكَ أَخَذَ السَّوْطَ وَ دَخَلَ عَلَيْهِ فَجَلَدَهُ بِهِ

. فأى عذر لعثمان فى عزله و جلده بعد هذه الممانعة الطويلة و المدافعة الشديده.

و قصه الوليد مع الساحر الذى كان يلعب بين يديه و يغر الناس بمكره و خديعته و أن جنذب بن عبد الله الأزدي امتعض من ذلك و دخل عليه فقتله و قال له أحي نفسك إن كنت صادقاً و أن الوليد أراد أن يقتل جنذباً بالساحر حتى أنكر الأزدي ذلك عليه فحبسه و طال حبسه حتى هرب من السجن معروفه مشهوره.

فإن قيل فقد ولى رسول الله ص الوليد بن عقبه هذا صدقه بنى المصطلق و ولاه عمر صدقه تغلب فكيف تدعون أن حاله فى أنه لا يصلح للولاية ظاهره.

قلنا لا جرم إنه غر رسول الله ص و كذب على القوم حتى نزلت فيه الآية التى قدمنا ذكرها فعزله و ليس خطب و لايه الصدقه مثل خطب و لايه الكوفه . فأما عمر فإنه لما بلغه قوله إذا ما شددت الرأس منى بمشوذ فويلك منى تغلب ابنه وائل (٢) عزله.

و أما عزل أمير المؤمنين ع بعض أمرائه لما ظهر من الحدث كالققعاق بن شور و غيره و كذلك عزل عمر قدامه بن مظعون لما شهد عليه بشرب الخمر و جلده له فإنه لا يشبه ما تقدم لأن كل واحد ممن ذكرناه لم يول إلا من هو حسن الظاهر عنده و عند الناس غير معروف باللعب و لا مشهور بالفساد ثم لما ظهر منه ما ظهر

ص : ٢٠

١- ١) كذا فى ا،ج،و فى ب و الشافى: «و روى».

٢- ٢) اللسان ٥: ٣١ و روايته: «فغيك»، و المشوذ: العمامه.

لم يحام عنه و لا كذب الشهود عليه و كابرههم بل عزله مختارا غير مضطر و كل هذا لم يجر في أمراء عثمان و قد بينا كيف كان عزل الوليد و إقامه الحدّ عليه.

فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين ع لم يوله الحكم مختارا لكنه غلب على رأيه و قهر على أمره و لا رأى لمقهور.

فأما قوله إن ولايه الأقارب كولايه الأبعاد (١) بل الأقارب أولى (٢) من حيث كان التمكن من عزلهم أشدّ و ذكر توليه أمير المؤمنين ع (٣) أولاد العباس رحمه الله تعالى (٤) و غيرهم فليس بشيء لأن عثمان لم ينقم عليه توليه الأقارب من حيث كانوا أقارب بل من حيث كانوا أهل بيت الظنه و التهمه و لهذا حذره عمر و أشعر بأنّه يحملهم على رقاب الناس و أمير المؤمنين ع لم يول من أقاربه متّهما و لا ظنينا و حين أحس من ابن العباس ببعض الريه لم يمهلّه و لا احتمله و كاتبه بما هو شائع ظاهر و لو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولايه أقاربه إلّا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النصّ عليه و شرط عليه يوم الشورى ألاّ يحمل أقاربه على رقاب الناس و لا يؤثرهم لمكان القرابه بما لا يؤثر به غيرهم لكان صارفا قويا فضلا عن أن ينضاف إلى ذلك ما انضاف من خصالهم الذميمة و طرائقهم القبيحه.

فأما سعيد بن أبي العاص فإنه قال في الكوفه إنّما السواد بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت و تترك حتّى قالوا له أ تجعل ما أفاء الله علينا بستانا لك و لقومك و نابذوه و أفضى الأمر إلى تسييره من سير عن الكوفه و القصه مشهوره ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفه سعيدا من دخولها و تكلموا فيه و في عثمان كلاما ظاهرا حتّى

ص: ٢١

١-١-١) كذا في الأصول. و في الشافى: «بل الأبعاد أولى أن يقدم الأقارب عليهم».

١-١-٢) كذا في الأصول. و في الشافى: «بل الأبعاد أولى أن يقدم الأقارب عليهم».

كادوا يخلعون عثمان فاضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولايه أبي موسى فلم يصرف سعيدا مختاراً بل ما صرفه جملة و إنما صرفه أهل الكوفة عنهم (١).

فأما قوله إنه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه ولا الغلام غلامه ولا الراحلة راحلته وأن أمير المؤمنين ع قبل عذره فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ما جرت عليه لأن جميع من يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم والغلام والراحلة و إنما أنكر أن يكون أمر بالكتابه لأنه

٤٤٨

١- رَوَى أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا ظَفِرُوا بِالْكِتَابِ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَجَمَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ سَعْدًا وَ جَمَاعَةَ الْأَصْحَابِ ثُمَّ فَكُّوا الْكِتَابَ بِمَحْضَرٍ مِنْهُمْ وَ أَخْبَرُوهُمْ بِقِصَّةِ الْغُلَامِ فَدَخَلُوا عَلَى عَثْمَانَ وَ الْكِتَابُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ أَ هَذَا الْغُلَامُ غُلَامُكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَ الْبَعِيرُ بَعِيرُكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَ فَأَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الْكِتَابَ قَالَ لَا- وَ حَلَفَ بِاللَّهِ إِنَّهُ مَا كَتَبَ الْكِتَابَ وَ لَا أَمَرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَالْخَاتَمُ خَاتَمُكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ يَخْرُجُ غُلَامُكَ عَلَى بَعِيرِكَ بِكِتَابٍ عَلَيْهِ خَاتَمُكَ وَ لَا تَعْلَمُ بِهِ .

وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ لَمَّا وَافَقَهُ عَلَيْهِ قَالَ عَثْمَانُ أَمَّا الْخَطُّ فَخَطُّ كَاتِبِي وَ أَمَّا الْخَاتَمُ فَعَلَى (٢) خَاتَمِي قَالَ فَمَنْ تَتَّهَمُ قَالَ أَتَتَّهَمُكَ وَ أَتَتَّهَمُ كَاتِبِي فَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ مُغْضَبًا وَ هُوَ يَقُولُ بَلْ بِأَمْرِكَ وَ لَزِمَ دَارَهُ وَ بَعْدَ عَن تَوْسُطِ أَمْرِهِ حَتَّى جَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى

و أعجب الأمور قوله لأمر المؤمنين ع إنى أتهمك و تظاھرہ بذلك و تلقيه إياه فى وجهه بهذا القول مع بعده من التهمه و الظنه فى كل شىء و فى أمره خاصه فإن القوم فى المدفعه الأولى أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه حتى قام أمير المؤمنين ع بأمره و توسطه و أصلحه و أشار عليه بأن يقاربهم و يعينهم حتى انصرفوا عنه و هذا

ص: ٢٢

١- ١) ساقطه من ا،ج،و هى فى ب و الشافى.

٢- ٢) ا: «فهو».

فعل النصيح المشفق الحذب المتحنن و لو كان ع(و حوشى من ذلك)متهما عليه لما كان للتهمة عليه مجال فى أمر الكتاب خاصه لأن الكتاب بخط عدوه مروان (١) و فى يد غلام عثمان و محمول على بعيره و مختوم بخاتمه فأى ظنّ تعلق بأمر المؤمنين ع فى هذا المكان لو لا العداوه و قله الشكر للنعمه.

و لقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئاً لا زياده عليه فى باب الحججه لأنهم قالوا له إذا كنت ما كتبت و لا أمرت به فأنت ضعيف من حيث تمّ عليك أن يكتب كاتبك بما تختمه بخاتمك و ينفذه بيد غلامك و على بعيرك بغير أمرك و من تمّ عليه ذلك لا يصلح أن يكون والياً على أمور المسلمين فاختلع عن الخلافه على كل حال.

قال و لقد كان يجب على صاحب المغنى أن يستحى من قوله إن أمير المؤمنين ع قبل عذره و كيف يقبل عذر من يتهمه و يستغشه و هو له ناصح و ما قاله أمير المؤمنين ع بعد سماع هذا القول منه معروف.

و قوله إن الكتاب يجوز فيه التزوير ليس بشيء لأنه لا يجوز التزوير فى الكتاب و الغلام و البعير و هذه الأمور إذا انضاف بعضها إلى بعض بعد فيها التزوير و قد كان يجب على كل حال أن يبحث عن القصة و عمن زور الكتاب و أنفذ الرسول و لا ينام عن ذلك حتى يعرف من أين دهى و كيف تمت الحيله عليه فيحترز من مثلها و لا يغضى عن ذلك إغضاء ساتر له خائف من بحثه و كشفه.

فأما قوله إنّه و إن غلب على الظنّ أن مروان كتب الكتاب فإن الحكم بالظن لا يجوز و تسليمه إلى القوم على ما سأله إياه ظلم لأن الحدّ و الأدب إذا وجب عليه فالإمام يقيمه دونهم فتعلل بما لا يجدى لأننا لا نعمل إلا على قوله فى أنّه لم يعلم أن

ص: ٢٣

(١ - ١) الشافى: «بخط عدو الله و عدو رسوله و عدو أمير المؤمنين.

مروان هو الذى كتب الكتاب و إنما غلب على ظنه أ ما كان يستحق مروان بهذا الظنّ بعض التعنيف و الزجر و التهديد أ و ما كان يجب مع وقوع التهمه عليه و قوه الأمارات فى أنه جالب الفتنه و سبب الفرقة أن يبعده عنه و يطرده من داره و يسلبه ما كان يخصه به من إكرامه و ما فى هذه الأمور أظهر من أن ينبه له.

فأما قوله إن الأمر بالقتل لا يوجب قودا و لا ديه سيما قبل وقوع القتل المأمور به فهب أن ذلك على ما قال أ ما أوجب (١) الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديبا و لا تعزيرا و لا طردا و لا إبعادا.

و قوله لم يثبت ذلك قد مضى ما فيه و بين أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث و الكشف و تهديد المتهم و طرده و إبعاده و التبرؤ من التهمه بما يتبرأ به من مثلها.

فأما قوله إن قتله ظلم و كذلك حبسه فى الدار و منعه من الماء و إنه لو استحق القتل أو الخلع لا يحل أن يمنع الطعام و الشراب و قوله إن من لم يدفع عن ذلك من الصحابه يجب أن يكون مخطئا و قوله إن قتله لو وجب لم يجوز أن يتولاه العوام من الناس فباطل لأن الذين قتلوه غير منكر أن يكونوا تعمدا و قتله و إنما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر لهم من أحداثه و يعتزل عن (٢) الأمر الاعتزالا يتمكنون معه من إقامه غيره فلج و صمم على الامتناع و أقام على أمر واحد فقصد القوم بحصره أن يلجئوه إلى خلع نفسه فاعتصم بداره و اجتمع إليه نفر من أوباش بنى أميه يدفعون عنه و يرمون من دنا إلى الدار فانتهى الأمر إلى القتال بتدريج ثم إلى القتل و لم يكن القتال و لا القتل مقصودين فى الأصل و إنما أفضى الأمر إليهما على ترتيب و جرى ذلك مجرى

ص: ٢٤

١-١) الشافى: «يوجب».

٢-٢) ج و الشافى: «يعتزل الأمر».

ظالم غلب إنسانا على رحله أو متاعه فالواجب على المغلوب أن يمانعه و يدافعه ليخلص ماله من يده و لا يقصد إلى إتلافه و لا قتله فإن أفضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان معذورا و إنما خاف القوم في التأنى به و الصبر عليه إلى أن يخلع نفسه من كتبه التي طارت في الآفاق يستنصر عليهم و يستقدم الجيوش إليهم و لم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه فيؤدى ذلك إلى الفتنة الكبرى و البلية العظمى.

و أمّا منع الماء و الطعام فما فعل ذلك إلا تضييقا عليه ليخرج و يحوج إلى الخلع الواجب عليه و قد يستعمل في الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنایات و تعذر إقامة الحدّ عليه لمكان الحرم على أن أمير المؤمنين ع قد أنكر منع الماء و الطعام و أنفذ من مكن من حمل ذلك لأتّه قد كان فى الدار من الحرم و النسوان و الصبيان من لا يحلّ منعه من الطعام و الشراب و لو كان حكم المطالبه بالخلع و التجمع عليه و التضافر فيه حكم منع الطعام و الشراب فى القبح و المنكر لأنكره أمير المؤمنين ع و منع منه كما منع من غيره

٤٦٩

١- فَصَدُّ رُؤْيَى عَنْهُ عَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدِ مَنَعُوا الدَّارَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا أَرَى ذَلِكَ إِنَّ فِي الدَّارِ صَبِيَانًا وَ عِيَالًا لَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ هَؤُلَاءِ عَطْشًا بِجُزْمِ عُثْمَانَ .

فصرح بالمعنى الذى ذكرناه و معلوم أن أمير المؤمنين ع ما أنكر المطالبه بالخلع بل كان مساعدا على ذلك و مشاورا فيه.

فأما قوله إن قتل الظالم إنما يحل على سبيل الدفع فقد بينا أنه لا ينكر أن يكون قتله وقع على ذلك (١) الوجه لأنه فى تمسكه بالولاية عليهم و هو لا يستحقها فى حكم الظالم لهم فمدافعتة واجبه.

ص: ٢٥

(١- ١) :«هذا».

و أما قصه الكتاب الموجود فلم يحكها على الوجه و قد شرحنا نحن الروايه الوارده بها.

و أما قوله إنّه قال إن كنت أخطأت أو تعمدت فإنى تائب مستغفر فقد أجابه القوم عن هذا و قالوا هكذا قلت فى المره الأولى و خطبت على المنبر بالتوبه و الاستغفار ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ما عتبنا منه (1) فكيف نثق بتوبتك و استغفارك.

فأما قوله إن القتل على وجه الغيله لا يحل فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لا يستحقه فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيله و أنه لا يمتنع أن يكون إنما وقع على سبيل المدافعه.

فأما ادعاؤه أنه منع من نصرته و أقسم على عبيده بترك القتال فقد كان ذلك لعمري فى ابتداء الأمر ظنا منه أن الأمر ينصلح و القوم يرجعون عما هموا به فلما اشتد الأمر و وقع اليأس من الرجوع و النزوع لم يمنع أحدا من نصرته و المحاربه عنه و كيف يمنع من ذلك و قد بعث إلى أمير المؤمنين ع يستنصره و يستصره.

و الذى يدل على أنه لم يمنع فى الابتداء من محاربتهم إلا للوجه الذى ذكرناه دون غيره أنه لا خلاف بين أهل الروايه فى أن كتبه تفرقت فى الآفاق يستنصر و يستدعى الجيوش فكيف يرغب عن نصره الحاضر من يستدعى نصره الغائب.

فأما قوله إن أمير المؤمنين ع أراد أن يأتيه حتى منعه ابنه محمد فقول بعيد مما جاءت به الروايه جدا لأنه لا إشكال فى أن أمير المؤمنين ع لما واجهه عثمان بأنه يتهمه و يستغشه انصرف مغضبا عامدا على أنه لا يأتيه أبدا قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال.

ص: ٢٤

(١ - ١) ب «فيه».

فأما قوله في جواب سؤال من قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين في الأرض و أن آيه المحاربه تتناوله و أنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك الفعل بنفسه لأن ذلك يجرى مجرى الحدّ فطريف لأن الإمام يتولى ما يجرى هذا المجرى إذا كان منصوباً ثابتاً و لم يكن على مذهب القوم هناك إمام يجوز أن يتولى ما يجرى مجرى الحدود و متى لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين و الذب عن الأمة جاز أن تتولى الأمة ذلك بنفسها.

قال و ما رأيت أعجب من ادعاء مخالفتنا أن أصحاب الرسول ص كانوا كارهين لما جرى على عثمان و أنهم كانوا يعتقدونه منكراً و ظلماً و هذا يجرى عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الأخبار و سماع ما ورد من شرح هذه القصة لأنه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابه أو أكثرهم في دار عزهم و بحيث ينفذ أمرهم و نهيمهم لا- يجوز أن يتم و معلوم أن نفراً من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم و يفعلوا بإمامهم ما يكرهونه بمرأى منهم و مسمع و هذا معلوم بطلانه بالبدهاه و الضرورات قبل تصفح الأخبار و تأملها

٤٧٠

وَ قَدْ رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْقَارِيِّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ قَالَ كَانَ الْمِضْرِيُّونَ الَّذِينَ حَصَرُوا عُثْمَانَ سِتِّمَاءَهُ عَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِيسِ الْبَلَوِيِّ وَ كِنَانَةُ بْنُ بَشْرِ الْكِنْدِيِّ وَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيُّ وَ الَّذِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنَ الْكُوفَةِ مَائَتَيْنِ عَلَيْهِمْ مَالِكُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ وَ الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْبَصْرَةِ مَائَةٌ رَجُلٍ رَأْسُهُمْ حَكِيمٌ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ وَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ص الَّذِينَ خَذَلُوهُ لَا- يَرُونَ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ بِهِ الْقَتْلَ وَ لَعَمْرِي لَوْ قَامَ بَعْضُهُمْ فَحَثَا التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ أَوْلَيْكَ لَأَنْصَرَفُوا. و هذه الروايه تضمنت من عدد القوم الوافدين في هذا الباب أكثر مما تضمنه غيرها.

٤٧١

وَ رَوَى شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ قُلْتُ لَهُ

ص: ٢٧

كَيْفَ لَمْ يَمْنَعِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ إِنَّمَا قَتَلَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص .

٤٧٢

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَقْتَلِ عُثْمَانَ هَلْ شَهِدَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ نَعَمْ شَهِدَهُ ثَمَانِيَةً.

و كيف يقال إن القوم كانوا كارهين و هؤلاء المصريون كانوا يغدون إلى كل واحد منهم و يراوحون و يشاورونه فيما يصنعونه

٤٧٣

و هَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَ هُوَ عَاقِدُ الْأَمْرِ لِعُثْمَانَ وَ جَالِبُهُ إِلَيْهِ وَ مُصَيِّرُهُ فِي يَدِهِ يَقُولُ عَلَى مَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ وَ قَدْ ذَكَرَ لَهُ عُثْمَانُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاجِلُوهُ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّادَى فِي مُلْكِهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ فَبَعَثَ إِلَى بَنِي كَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَسْقِي مِنْهَا نَعْمَهُ فَمَنَعَ مِنْهَا وَ وَصَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَّا يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ فَصَلَّى عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ أَوْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَ قَدْ كَانَ حَلَفَ لَمَّا تَتَابَعَتْ أَحْدَاثُ عُثْمَانَ أَلَّا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا.

٤٧٤

١- وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو ذَرٍّ بِالرَّبِيعَةِ (١) تَذَاكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِعَلَ عُثْمَانَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع لَهُ هَذَا عَمَلُكَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَإِذَا شِئْتَ فَخُذْ سَيْفَكَ وَ آخُذْ سَيْفِي إِنَّهُ خَالَفَ مَا أَعْطَانِي

٤٧٥

فَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَإِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ يَقُولُ لَهُ عِنْدَ قُدُومِ الْمَصِيرِيِّينَ فِي الدَّفْعَةِ الثَّانِيَةِ ارْزُدْ عَنِّي فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ اللَّهَ فِي سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ. وَ إِنَّمَا عَنِ بَدَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ مِنْ كَلِمِ الْمَصْرِيِّينَ فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى وَ ضَمَّنَ لَهُمْ عَنْ عُثْمَانَ الرِّضَا.

٤٧٦

وَ فِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَانَ يَمُوتُ وَ عُثْمَانُ مَحْضُورٌ فَيَقَالُ لَهُ عُثْمَانُ مَقْتُولٌ فَيَقُولُ هُوَ قَتَلَ نَفْسَهُ.

ص: ٢٨

١- (١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال؛ قريبه من ذات عرق؛ على طريق الحجاز؛ بها قبر أبي ذر الغفاري - واسمه جندب بن جنادة، و قد كان خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان رضى الله عنه؛ فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢. ياقوت.

فأما كلام أمير المؤمنين ع و طلحه و الزبير و عائشه و جميع الصحابه واحدا واحدا فلو تعاطينا ذكره لطال به الشرح و من أراد أن يقف على أقوالهم مفصّله و ما صرحوا به من خلعه و الإجلاب عليه فعليه بكتاب الواقدي (١) فقد ذكر هو و غيره من ذلك ما لا زياده عليه.

الطعن الثاني كونه رد الحكم بن أبي العاص (٢) إلى المدينة و قد كان رسول الله ص طرده و امتنع أبو بكر من رده فصار بذلك مخالفا للسنة و لسيره من تقدمه مدعيا على رسول الله ص عاملا بدعواه من غير بينه.

قال قاضي القضاة رحمه الله و جوابنا عن ذلك أن المروى في الأخبار أنه لما عوتب في ذلك ذكر أنه استأذن رسول الله ص فيه و إنما لم يقبل أبو بكر و عمر قوله لأنه شاهد واحد و كذلك روى عنهما فكأنهما جعلاً ذلك بمنزلة الحقوق التي تختص فلم يقبل. فيه خبر الواحد و أجرياه مجرى الشهادة فلما صار الأمر إليه حكم بعلمه لأن للحاكم أن يحكم بعلمه في هذا الباب و في غيره عند شيخنا و لا يفصلان بين حدّ و حقّ و لا بين أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية و يقولان إنه أقوى من البينه و الإقرار.

و قال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى إنه لا وجه يقطع به على كذب روايته في إذن

ص: ٢٩

١ - ١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي؛ نقل ابن النديم أنه خلف بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً؛ كل قمطر منها حمل رحلين؛ و كان له غلامان مملوكان يكتبان الليل و النهار؛ و قبل ذلك بيع له كتب بألفى دينار. ثم أورد أسماء كتبه؛ منها كتاب التاريخ الكبير. توفي سنة ٢٠٧. الفهرست ٩٨، ٩٩.

٢ - ٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، عم عثمان بن عفان؛ و انظر ترجمته و أخباره في أسد الغابه ٣: ٣٤.

النبي ص في رده ولا بد من تجويز كونه صادقا و في تجويز ذلك كونه معذورا.

فإن قيل الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة و قد كانت التهمة في رد الحكم قويه لقرابته.

قيل الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لأنه قد نصب منصبا يقتضى زوال التهمة عنه و حمل أفعاله على الصحة و متى طرقتا عليه التهمة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط رحمه الله تعالى إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله ص لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد لأن النفي إذا كان صلاحا في الحال لا يمتنع (١) أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات و تغير حال المنفى و إذا كان لأبي بكر أن يسترد عمر من جيش أسامه للحاجه إليه و إن كان قد أمر رسول الله ص بنفوذه من حيث تغيرت الحال فغير ممتنع مثله في الحكم. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى على هذا فقال أما دعواه أن عثمان ادعى أن رسول الله ص أذن في ردّ الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضى القضاء و لا يدري من أين نقله و لا في أى كتاب وجدته و الذى رواه الناس كلهم خلاف ذلك

٤٧٧

١٤,١- رَوَى الْوَاقِدِيُّ مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلَفَةٍ وَ غَيْرِهِ أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ أَخْرَجَهُ النَّبِيُّ ص إِلَى الطَّائِفِ وَ قَالَ لَا تُسَاكِنِي فِي بَلَدٍ أَبَدًا فَجَاءَهُ عُمَانُ فَكَلَّمَهُ فَأَبَى ثُمَّ كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ كَانَ مِنْ عُمَرَ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَمَّا قَامَ عُمَانُ أَدْخَلَهُ وَ وَصَلَهُ وَ أَكْرَمَهُ فَمَسَى فِي ذَلِكَ عَلِيٌّ وَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَةُ وَ سَعْدُ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ

ص: ٣٠

١- (١) ب: «فلا يمتنع».

وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَالُوا لَهُ إِنَّكَ قَدْ أَدْخَلْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَغْنُونَ الْحَكْمَ وَمَنْ مَعَهُ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَ أَخْرَجَهُمْ وَإِنَّا نَذْكُرُكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ وَمَعَادَكَ فَإِنَّ لَكَ مَعَادًا وَمُنْقَلَبًا وَقَدْ أَبَتْ ذَلِكَ الْوَلَاءُ قَبْلَكَ وَلَمْ يَطْمَعِ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهَا فِيهِمْ وَهَذَا شَيْءٌ نَخَافُ اللَّهُ فِيهِ عَلَيْكَ فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّ قَرَابَتَهُمْ مِنِّي مَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَ حَيْثُ كَلَّمْتُهُ أَطْمَعَنِي فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُمْ لِكَلِمَةٍ بَلَغْتُهُ عَنِ الْحَكْمِ وَلَمْ يَضُرَّكُمْ مَكَانُهُمْ شَيْئًا وَفِي النَّاسِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمْ فَقَالَ عَلِيُّ عَ لَا أَجِدُ شَرًّا مِنْهُ وَلَا مِنْهُمْ ثُمَّ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ لِيَحْمِلَنَّ بَيْنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَاللَّهِ إِنْ فَعَلَ لَيَقْتُلَنَّهُ فَقَالَ عُثْمَانُ مَا كَانَ مِنْكُمْ أَحَدٌ لِيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَيُنَالُ مِنَ الْمَقْدَرَةِ مَا نَلْتُ إِلَّا قَدْ كَانَ سَيِّدُ خُلِهِ وَفِي النَّاسِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ قَالَ فَغَضِبَ عَلِيُّ عَ وَقَالَ وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَا بِشَرٍّ مِنْ هَذَا إِنْ سَلَّمْتُ وَسَتَرِي يَا عُثْمَانُ غِبَّ مَا تَفَعَّلَ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ

و هذا كما ترى خلاف ما ادعاه صاحب المغنى لأن الرجل لما احتفل ادعى أن رسول الله ص كان أطمعه في رده ثم صرح بأن رعايته فيه القرابه هي الموجه لرده و مخالفه الرسول ع و قد روى من طرق مختلفه أن عثمان لما كلم أبا بكر و عمر في رد الحكم أغلظا له و زبراه و قال له عمر يخرج به رسول الله ص و تأمرني أن أدخله و الله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل غير عهد رسول الله ص و الله لأن أشق بائنتين كما تشق الأبلمه (1) أحب إلى من أن أخالف لرسول الله أمرا و إياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم و ما رأينا

ص: ٣١

(١- ١) الأبلم: خصوص المقل؛ و المثل: «المال بيني و بينك شق الأبلمه» مثل يضرب في المساواه و المشاركه في الأمر.

عثمان قال فى جواب هذا التعنيف و التوبيخ من أبى بكر و عمر إن عندى عهدا من رسول الله ص فيه لا أستحق معه عتابا و لا تهجينا و كيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله ص معظم له أن يأتى إلى عدو رسول الله ص مصرح بعداوتة و الوقيعه فيه حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته طرده رسول الله و أبعده و لعنه حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله ص فيكرمه و يرده إلى حيث أخرج منه و يصله بالمال العظيم إِمّا من مال المسلمين أو من ماله إن هذا لعظيم كبير قبل التصفح و التأمل و التعلل بالتأويل الباطل.

فأما قول صاحب المغنى إن أبا بكر و عمر لم يقبلا قوله لأنه شاهد واحد و جعل ذلك بمنزله الحقوق التى تخص فأول ما فيه أنه لم يشهد عندهما بشيء واحد فى باب الحكم على ما رواه جميع الناس ثم ليس هذا من باب الذى يحتاج فيه إلى الشاهدين بل هو بمنزله كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد و كيف يجوز أن يجرى أبو بكر و عمر مجرى الحقوق ما ليس منها و قوله لا بدّ من تجويز كونه صادقا فى روايته لأن القطع على كذب روايته لا سبيل إليه ليس بشيء لأننا قد بينا أنه لم يرو عن الرسول ص إذنا إنما ادعى أنه أطمعه فى ذلك و إذا جوّزنا كونه صادقا فى هذه الروايه بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا.

فأما قوله الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصحّ عليه لانتصابه منصبا يزيل التهمه فأول ما فيه أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمه و التهمه قد تكون لها أمارات و علامات فما وقع منها عن أمارات و أسباب تتهم فى العاده كان مؤثرا و ما لم يكن كذلك فلا تأثير له و الحكم هو عم عثمان و قريبه و نسيبه و من

قد تكلم فى رده مره بعد أخرى و لوال بعد وال و هذه كلها أسباب التهمه فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه فى هذا الباب خاصه لتطرق التهمه إليه.

فأما ما حكاه عن أبى الحسين الخياط من أن الرسول ص لو لم يأذن فى رده لجاز أن يرده إذا أداه اجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال قد تتغير فظاهر البطلان لأن الرسول ع إذا حظر شيئاً أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد فى إباحه المحظور أو حظر المباح و من يجوز الاجتهاد فى الشريعة لا يقدم على مثل هذا لأنه إنما يجوز عندهم فيما لا نص فيه و لو سوغنا الاجتهاد فى مخالفه ما تناوله النص لم يؤمن أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر و إسقاط الصلاه بأن تتغير الحال و هذا هدم للشريعة فأما الاستشهاد باسترداد عمر من جيش أسامه فالكلام فى الأمرين واحد (١).

الطعن الثالث أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التى هى عده المسلمين نحو ما روى أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربعمائه ألف دينار و أعطى مروان مائه ألف عند فتح إفريقيه و يروى خمس إفريقيه و غير ذلك و هذا بخلاف سيره من تقدمه فى القسمة على الناس بقدر الاستحقاق و إثثار الأبعاد على الأقارب.

قال قاضى القضاة و جوابنا عن ذلك أن من الظاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار كثير المال فلا يمتنع أن يكون إنما أعطى أهل بيته من ماله و إذا احتمل ذلك وجب حمله على الصحة.

و قد قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى أن الذى روى من دفعه إلى ثلاثه نفر من قريش زوجهم بناته إلى كل واحد منهم مائه ألف دينار إنما هو من ماله و لا روايه

ص: ٣٣

(١ - ١) بعدها فى الشافى ١٧٦: «و قد مضى ما فيه».

تصح أنه أعطاهم ذلك من بيت المال و لو صح ذلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطاهم من بيت المال ليرد عوضه من ماله لأن للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك كما له أن يقرض غيره.

وقال شيخنا أبو علي أيضا أن ما روى من دفعه خمس إفريقيه لما فتحت إلى مروان ليس بمحفوظ و لا منقول على وجه يجب قبوله و إنما يرويه من يقصد التشنيع و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن ابن أبي سرح لما غزا البحر و معه مروان في الجيش ففتح الله عليهم و غنموا غنيمه عظيمه اشترى مروان من ابن أبي سرح الخمس بمائه ألف و أعطاه أكثرها ثم قدم على عثمان بشيرا بالفتح و قد كانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب له ما بقى عليه من المال و للإمام فعل مثل ذلك ترغيبا في مثل هذه الأمور.

قال و هذا الصنع كان منه في السنه الأولى من إمامته و لم يبرأ أحد منه فيها فلا وجه للتعلق بذلك.

و ذكر أبو الحسين الخياط أيضا فيما أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم فلا يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحا و ذكر في إقطاعه القطائع لبني أميه أن الأئمه قد تحصل في أيديهم الضياع لا مالك لها و يعلمون أنها لا بدّ فيها ممن يقوم بإصلاحها و عمارتها و يؤدي عنها ما يجب من الحق فله أن يصرف من ذلك إلى من يقوم به و له أيضا أن يهد بعضها على بعض بحسب ما يعلم من الصلاح و التآلف و طريق ذلك الاجتهاد.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما قوله يجوز أن يكون إنما أعطاهم من ماله فالروايه بخلاف ذلك و قد صرح الرجل بأنه كان يعطى من بيت المال

صله لرحمه و لما عوتب على ذلك لم يعتذر عنه بهذا الضرب من العذر و لا قال إن هذه العطايا من مالي فلا اعتراض لأحد فيها

٤٧٨

رَوَى الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمَشُورِ بْنِ عَثْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَقُولُ إِنَّ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَا يَتَأَوَّلَانِ فِي هَذَا الْمَالِ ظِلْفَ (١)
أَنْفُسِهِمَا وَ ذَوَى أَرْحَامِهِمَا وَ إِنِّي تَأَوَّلْتُ فِيهِ صَلَةَ رَحِمِي.

٤٧٩

وَ رَوَى عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ بِحَضْرَتِهِ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ التَّفَفِيُّ وَ قَدِ بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى بِمَالٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَصْرَةِ
فَجَعَلَ عُثْمَانُ يَفْسِسُهُ بَيْنَ وُلْدِهِ وَ أَهْلِهِ بِالصَّحَافِ فَبَكَى زِيَادٌ فَقَالَ لَا تَبْكِكَ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ ذَوَى قَرَابَتِهِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ وَ
أَنَا أُعْطِي أَهْلِي وَ وُلْدِي وَ قَرَابَتِي ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ.

و قد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة.

٤٨٠

وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَيْضاً بِإِسْنَادِهِ قَالَ قَدِمْتُ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ عَلَى عُثْمَانَ فَوَهَبَهَا لِلْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَ رَوَى أَيْضاً
أَنَّهُ وَلَّى الْحَكَمَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ صَدَقَاتٍ قُضَاعَةً فَلَبَّغَتْ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ فَوَهَبَهَا لَهُ حِينَ أَتَاهُ بِهَا.

٤٨١

١- وَ رَوَى أَبُو مِخْنَفٍ وَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّاسَ أَنْكَرُوا عَلَى عُثْمَانَ إِعْطَاءَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مِائَةَ أَلْفٍ وَ كَلِمَةَ عَلِيٍّ وَ الرَّبِيعِ وَ طَلْحَةَ وَ
سَعِيدَ وَ عَبِيدَ الرَّحْمَنِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ لَهُ قَرَابَةً وَ رَحِمًا قَالُوا فَمَا كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ قَرَابَةً وَ ذُوو رَحِمٍ فَقَالَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ
كَانَ يَحْتَسِبَانِ فِي مَنْعِ قَرَابَتِهِمَا وَ أَنَا أَحْتَسِبُ فِي إِعْطَاءِ قَرَابَتِي قَالُوا فَهَدَيْتَهُمَا وَ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ هَدْيِكَ

٤٨٢

وَ رَوَى أَبُو مِخْنَفٍ أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةَ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ مِنْ مَكَّةَ وَ مَعَهُ نَاسٌ فَأَمَرَ لِعَبِيدِ اللَّهِ
بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ وَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْمِ بِمِائَةِ أَلْفٍ

ص: ٣٥

(١- ١) ظلف نفسه عن الشيء: منعها، و في الأصول: «طلاق»، و الصواب ما أثبتته من كتاب الشافى.

وَ صَكِّ (١) بِبَدَلِكَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ وَ كَانَ خَازِنَ بَيْتِ الْمَالِ فَاسْتَكْتَرَهُ وَ رَدَّ الصَّكَّ بِهِ وَ يُقَالُ إِنَّهُ سَأَلَ عُثْمَانَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَيْهِ بِبَدَلِكَ كِتَابًا فَأَبَى وَ امْتَنَعَ ابْنُ الْأَرْقَمِ أَنْ يَدْفَعَ الْمَالَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ إِنَّمَا أَنْتَ خَازِنٌ لَنَا فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ فَقَالَ ابْنُ الْأَرْقَمِ كُنْتُ أَرَانِي خَازِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ إِنَّمَا خَازِنُكَ غُلَامُكَ وَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا لَكَ بَيْتَ الْمَالِ أَيْدَاءً وَ جَاءَ بِالْمَفَاتِيحِ فَعَلَّقَهَا عَلَى الْمِئْبَرِ وَ يُقَالُ بَلْ أَلْقَاهَا إِلَى عُثْمَانَ فَرَفَعَهَا إِلَى نَائِلِ مَوْلَاهُ.

٤٨٣

وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عُثْمَانَ أَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَنْ يَحْمَلَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ فِي عَقِيبِ هَذَا الْفِعْلِ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا عَلَيْهِ قَالَ لَهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْسَلَ إِلَيْكَ يَقُولُ إِنَّا قَدْ شَعَلْنَاكَ عَنِ التَّجَارَةِ وَ لَكَ دَوُو رَحِمِ أَهْلِ حِجَاجِهِ فَفَرَّقْ هَذَا الْمَالَ فِيهِمْ وَ اسْتَعِنْ بِهِ عَلَى عِيَالِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقَمِ مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَ مَا عَمِلْتُ لِأَنْ يُشِينِي عُثْمَانُ وَ اللَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا بَلَغَ قَدْرُ عَمَلِي أَنْ أُعْطَى ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَ لَيْسَ كَانَ مِنْ مَالِ عُثْمَانَ مَا أَحَبُّ أَنْ أُرْزَأَهُ (٢) مِنْ مَالِهِ شَيْئًا. وَ مَا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يشار إِلَيْهِ وَ يَنْبَهُ عَلَيْهِ.

فأما قوله و لو صح أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض فليس بشيء لأن الروايات أولا تخالف ما ذكره و قد كان يجب لما نقم عليه وجوه الصحابه إعطاء أقاربه من بيت المال أن يقول لهم هذا على سبيل القرض و أنا أرد عوضه و لا- يقول ما تقدم ذكره من أنني أصل به رحمتي على أنه ليس للإمام أن يقترض (٣) من بيت مال المسلمين إلا ما ينصرف في مصلحه لهم مهمه يعود عليهم نفعها أو في سد خله و فاقه لا- يتمكنون من القيام بالأمر معها فأما أن يقرض المال ليتسع به

ص: ٣٦

١- ١) صك: كتب، و الصك: الكتاب.

٢- ٢) ما أحب أن أرزأه، أي ما أحب أن أصيب منه شيئا.

٣- ٣) أي يقترض هو ليعطى، و أن يدفع عوضه له من ماله، و انظر س ١-٣ من ص ٣٤ من هذا الجزء.

و يمرح فيه مترفى بنى أميه و فساقهم فلا أحد يجيز ذلك.

فأما قوله حاكيا عن أبى على إن دفعه خمس إفريقيا إلى مروان ليس بمحفوظ و لا منقول فباطل لأن العلم بذلك يجرى مجرى العلم بسائر ما تقدم و من قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يعترض فيه شك كما يعلم نظائره.

٤٨٤

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ نَافِعِ مَوْلَى الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أَعْرَانَا عُثْمَانُ سِنَّهُ سَبْعَ وَعِشْرِينَ إِفْرِيقِيَّةً فَأَصَابَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ غَنَائِمَ جَلِيلَةَ فَأَعْطَى عُثْمَانُ مَرْوَانَ بَنَ الْحَكَمِ تِلْكَ الْغَنَائِمِ. وَ هَذَا كَمَا تَرَى يَتَضَمَّنُ الزِّيَادَةَ عَلَى إِعْطَاءِ الْخُمْسِ وَ يَتَجَاوِزُهُ إِلَى إِعْطَاءِ الْأَصْلِ.

٤٨٥

وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ قَالَتْ لَمَّا بَنَى مَرْوَانَ دَارَهُ بِالْمَيْدِيَّةِ دَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَ كَانَ الْمِسْوَرُ مِمَّنْ دَعَا فَفَعَالَ مَرْوَانَ وَ هُوَ يُحَدِّثُهُمْ وَ اللَّهُ مَا أَنْفَقْتُ فِي دَارِي هَيْدِهِ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ دَرَهَمًا فَمَا فَوْقَهُ فَقَالَ الْمِسْوَرُ لَوْ أَكَلْتُ طَعَامَكَ وَ سَبَّكَتُ كَمَا خَيْرًا لَمَكَ لَقَدْ عَزَوْتَ مَعَنَا إِفْرِيقِيَّةً وَ إِنَّكَ لَأَقْلُنَا مَالًا وَ رَقِيقًا وَ أَعْوَانًا وَ أَخْفُنَا ثِقْلًا فَأَعْطَاكَ ابْنُ عَمِّكَ خُمْسَ إِفْرِيقِيَّةٍ وَ عَمِلْتَ عَلَى الصَّدَقَاتِ فَأَخَذْتَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ .

٤٨٦

وَ رَوَى الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ أَنَّ مَرْوَانَ ابْتِاعَ خُمْسَ إِفْرِيقِيَّةٍ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَ مِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ وَ كَلَّمَ عُثْمَانَ فَوَهَبَهَا لَهُ فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَى عُثْمَانَ . وَ هَذَا بَعِينَهُ هُوَ الَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْخِطَابُ وَ اعْتَذَرَ عَنْهُ بِأَنَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ تَعَلَّقَتْ بِأَمْرِ ذَلِكَ الْجَيْشِ فَرَأَى عُثْمَانَ أَنْ يَهَبَ لِمَرْوَانَ ثَمَنَ مَا ابْتِاعَهُ مِنَ الْخُمْسِ لِمَا جَاءَهُ بِشِيرًا بِالْفَتْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْغِيبِ وَ هَذَا الْإِعْتِدَارُ لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الَّذِي رَوِيَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْبَابِ خَالَ مِنَ الْبِشَارَةِ وَ إِنَّمَا يَقْتَضِي أَنَّهُ سَأَلَهُ تَرَكَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ وَ ابْتَدَأَ هُوَ بِصَلْتِهِ وَ لَوْ أَتَى بِشِيرًا بِالْفَتْحِ كَمَا ادَّعَوْا لِمَا جَازَ أَنْ يَتَرَكَ عَلَيْهِ خُمْسَ الْغَنِيمَةِ الْعَائِدِ نَفْعَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

ص: ٣٧

لأن تلك البشاره لا تبلغ إلى أن يستحق البشير بها مائتي ألف درهم ولا اجتهاد في مثل هذا ولا فرق بين من جوز أن يؤدي الاجتهاد إلى مثله و من جوز أن يؤدي الاجتهاد إلى دفع أصل الغنيمه إلى البشير بها و من ارتكب ذلك ألزم جواز أن يؤدي الاجتهاد إلى إعطاء هذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق و الغرب.

فأما قوله إنه وصل بنى عمه لحاجتهم و رأى في ذلك صلاحا فقد بينا أن صلواته لهم كانت أكثر مما تقتضيه الخله و الحاجه و أنه كان يصل فيهم المياسير ثم الصلاح الذى زعم أنه رآه لا يخلو إما أن يكون عائدا على المسلمين أو على أقاربه فإن كان على المسلمين فمعلوم ضروره أنه لا صلاح لأحد من المسلمين فى إعطاء مروان مائتي ألف دينار و الحكم بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم و ابن أسيد ثلاثمائة ألف درهم إلى غير ما ذكرنا بل على المسلمين فى ذلك غايه الضرر و إن أراد الصلاح الرجوع إلى الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين و ينفعهم بما يضر به المسلمين .

و أما قوله إن القطنع التى أقطعها بنى أميه إنما أقطعهم إياها لمصلحه تعود على المسلمين لأن تلك الضياع كانت خرابا لا عامر لها فسلمها إلى من يعمرها و يؤدي الحق عنه فأول ما فيه أنه لو كان الأمر على ما ذكره و لم تكن هذه القطنع على سبيل الصله و المعونه لأقاربه لما خفى ذلك على الحاضرين و لكانوا لا يعدون ذلك من مثالبه و لا يواقفونه عليه فى جملة ما واقفوه عليه من أحداثه ثم كان يجب لو فعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ما روى من جوابه لأنه كان يجب أن يقول لهم و أى منفعه فى هذه القطنع عائده على قرابتي حتى تعدوا ذلك من جملة صلواتى لهم و إيصالى المنافع إليهم و إنما جعلتهم فيها بمنزله الأكره الذين ينتفع بهم أكثر من انتفاعهم أنفسهم و ما كان

يجب أن يقول ما تقدمت روايته من أنى محتسب فى إعطاء قرابتي و أن ذلك على سبيل الصله لرحمى إلى غير ذلك ممّا هو خال من المعنى الذى ذكره.

الطعن الرابع إنّه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله ص جعلهم سواء فى الماء و الكلاؤ.

قال قاضى القضاة و جوانبا عن ذلك إنّه لم يحم الكلاؤ- لنفسه و لا- استأثر به لكنه حماه لإبل الصدقه التى منفعتها تعود على المسلمين و قد روى عنه هذا الكلام بعينه و أنّه قال إنّما فعلت ذلك لإبل الصدقه و قد أطلقتها الآن و أنا أستغفر الله و ليس فى الاعتذار ما يزيد عن ذلك.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما أولا فالمروى بخلاف ما ذكر

٤٨٧

لأنّ الوأقديّ روى بإسناديه قال كان عثمان يحمى الرّبذة و الشرف (١) و البقيع فكان لا يدخل الحمى بغير له و لا فرس و لا ليني أميّة حتى كان آخر الزّمان فكان يحمى الشرف لإبله و كانت ألف بغير و لإبل الحكيم بن أبي العيص و يحمى الرّبذة لإبل الصدقه و يحمى البقيع لإبل المؤمنين و خيله و خيل بني أميّة . قال على أنّه لو كان إنّما حماه لإبل الصدقه لم يكن بذلك مصيبا لأن الله تعالى و رسوله أباحا الكلاؤ و جعلاه مشتركا فليس لأحد أن يغير هذه الإباحة و لو كان

ص: ٣٩

١-١) فى معجم البلدان: قال الأصمعي: «الشرف: كبد نجد؛ و كانت من منازل بنى آكل المرار من كنده الملوكة و فيها اليوم حمى ضريه، و فيه الرّبذة؛ و هى الحمى الأيمن».

فى هذا الفعل مصيبا و أنه إنما حماه لمصلحه تعود على المسلمين لما جاز أن يستغفر الله منه و يعتذر لأن الاعتذار إنما يكون من الخطأ دون الصواب.

الطعن الخامس إنه أعطى من بيت مال الصدقه المقاتله و غيرها و ذلك ممّا لا يحل فى الدين قال قاضى القضاة و جوابنا عن ذلك أنه إنما جاز له ذلك لعلمه بحاجه المقاتله و استغناء أهل الصدقه ففعل ذلك على سبيل الإفراض و قد فعل رسول الله ص مثله و للإمام فى مثل هذه الأمور أن يفعل ما جرى هذا المجرى لأن عند الحاجه ربما يجوز له أن يقتضى (1) من الناس فأن يجوز له أن يتناول من مال فى يده ليرد عوضه من المال الآخر أولى.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال إن المال الذى جعل الله تعالى له جهه مخصوصه لا يجوز أن يعدل به عن جهته بالاجتهاد و لو كانت المصلحه فى ذلك موقوفه على الحاجه لشرطها الله تعالى فى هذا الحكم لأنه سبحانه أعلم بالمصالح و اختلافها منا و لكان لا يجعل لأهل الصدقه منها القسط مطلقا.

و أمّا قوله إن الرسول ص فعل مثله فهى دعوى مجردة من برهان و قد كان يجب أن يروى ما ذكر فى ذلك و أمّا ما ذكره من الاقتراض فأين كان عثمان عن هذا العذر لما ووقف عليه.

الطعن السادس أنه ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه

ص: ٤٠

١-١) كذا فى ج؛ و هو الصواب، و فى ب: «يقتضى»، تحريف.

قال قاضى القضاة قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى لم يثبت عندنا ولا صح عندنا ما يقال من طعن عبد الله عليه وإكفاره له و الذى يصح من ذلك أن عبد الله كره منه جمعه الناس على قراءه زيد بن ثابت وإحراقه المصاحف و ثقل ذلك عليه كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه.

وقد قيل إن بعض موالى عثمان ضربه لما سمع منه الوقيعه فى عثمان و لو صح أنه أمر بضربه لم يكن بأن يكون طعنا فى عثمان بأولى من أن يكون طعنا فى ابن مسعود لأن للإمام تأديب غيره و ليس لغيره الوقيعه فيه إلا بعد البيان و قد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عابه لعزله إياه و قد روى أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره و لما أحضر إليه عطاءه فى مرضه قال ابن مسعود منعتنى إياه إذ كان ينفعنى و جئتنى به عند الموت لا أقبله و أنه وسط أم حبيبه زوج النبى ص ليزيل ما فى نفسه فلم يجب و هذا يوجب ذم ابن مسعود إذ لم يقبل الندم و يوجب براءه عثمان من هذا العيب لو صح ما صح ما رووه من ضربه.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال المعلوم المروى خلاف ما ذكره أبو على و لا يختلف أهل النقل فى طعن ابن مسعود على عثمان و قوله فيه أشد الأقوال و أعظمها و العلم بذلك كالعلم بكل ما يدعى فيه الضروره

٤٨٨

و قد روى كل من روى السيره من أصحاب الحديث على اختلاف طرقهم أن ابن مسعود كان يقول لىتنى و عثمان برملى عالج (١) يحنو على و أحنو عليه حتى يموت الأعجز منى و منه.

و روى أنه كان يطعن عليه فيقال له ألا خرجت عليه ليخرج معك فيقول لمان أزاول جبلا راسيا أحب إلى من أن أزاول ملكا مؤجلا.

ص: ٤١

(١-١) عالج: زمال بين فيد و القريات، ينزلها بعض طيئ، متصله بالثعلبيه. مرصد الاطلاع ٢: ٩١١.

وَ كَانَ يَقُولُ كُلُّ يَوْمٍ جُمِعَ بِالْكَوْفَةِ جَاهِرًا مُعَلِنًا إِنَّ أَصْدَقَ الْقَوْلِ كِتَابُ اللَّهِ وَ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَ كُلُّ مُحَدَّثٍ بَدْعُهُ وَ كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ وَ إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ مُعْرِضًا بِعُثْمَانَ حَتَّى غَضِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مِنْ اسْتِمْرَارِ تَعْرِيبِهِ وَ نَهَاهُ عَنْ خَطْبَتِهِ هَذِهِ فَأَبَى أَنْ يَنْتَهِيَ فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ فِيهِ فَكَتَبَ عُثْمَانُ يَسْتَقْدِمُهُ عَلَيْهِ.

٤٨٩

وَ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرْعِجًا عَنِ الْكُوفَةِ خَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ يُشِيْعُونَهُ وَ قَالُوا لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ارْجِعْ فَوَ اللَّهُ لَا نُؤْصِلُهُ إِلَيْكَ أَبَدًا فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ فَقَالَ أَمْرٌ سَيَكُونُ وَ لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ.

٤٩٠

وَ قَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا مِنْ طُرُقٍ لَا تُحْصَى كَثْرَةً أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ مَا يَزِنُ عُثْمَانُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ ذُبَابٍ. وَ تَعَاطَى مَا رَوَى عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ يَطُولُ وَ هُوَ أَظْهَرَ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ

٤٩١

وَ أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ إِصْرَارِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مُظَاهَرَتِهِ بِالْعِدَاوَةِ أَنْ قَالَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ مَنْ يَتَقَبَّلُ مِنِّي وَ صِيئَهُ أَوْصِيَهُ بِهَا عَلَى مَا فِيهَا فَسَكَتَ الْقَوْمُ وَ عَرَفُوا الَّذِي يُرِيدُ فَأَعَادَهَا فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا أَقْبَلُهَا فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَلَا يُصَلِّيَ عَلَى عُثْمَانَ قَالَ ذَلِكَ لَكَ فَيَقَالُ إِنَّهُ لَمَّا دُفِنَ حِيَاءَ عُثْمَانَ مُنْكَرًا لِتَذَلُّكَ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ إِنَّ عَمَّارًا وَلِيَ الْأَمْرَ فَقَالَ لِعَمَّارٍ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ لَمْ تُؤْذِنِي فَقَالَ عَهْدَ إِلَيَّ أَلَا أَوْذَنُكَ فَوَقَّفَ عَلَى قَبْرِهِ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَ هُوَ يَقُولُ رَفَعْتُمْ وَ اللَّهُ أَيْدِيكُمْ عَنْ خَيْرٍ مِنْ بَقِيَّ فَتَمَثَّلَ الرَّبِيزُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ لَا أُلْفِيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَ فِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي (١).

وَ لَمَّا مَرَضَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَتَاهُ عُثْمَانُ عَائِدًا فَقَالَ مَا تَشْتَكِي فَقَالَ دُنُوبِي قَالَ فَمَا تَشْتَهِي قَالَ رَحْمَةً بِي قَالَ أَلَا أَدْعُو لَكَ طَيِّبًا قَالَ

ص: ٤٢

الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي قَالَ أَفَلَا أَمُرُّ لِمَكَ بِعَطَائِكَ قَالَ مَنْعَنِيهِ وَ أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ وَ تُعْطِينِيهِ وَ أَنَا مُسْتَتَغِنٌ عَنْهُ قَالَ يَكُونُ لَوْلِمَدِكَ قَالَ رَزَقَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اسْتَغْفِرْ لِي يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَأْخُذَ لِي مِنْكَ حَقِّي.

قال و صاحب المغنى قد حكى بعض هذا الخبر فى آخر الفصل الذى حكاه من كلامه و قال هذا يوجب ذم ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر و هذا منه طريف لأن مذهبه لا يقتضى قبول كل عذر ظاهر و إنما يجب قبول العذر الصادق الذى يغلب فى الظن أن الباطن فيه كالظاهر فمن أين لصاحب المغنى أن اعتذار عثمان إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التى يجب معها القبول و إذا جاز ما ذكرناه لم يكن على ابن مسعود لوم فى الامتناع من قبول عذره.

فأما قوله إن عثمان لم يضربه و إنما ضربه بعض مواليه لما سمع وقيعته فيه فالأمر بخلاف ذلك و كل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر بإخراجه عن المسجد على أعنف الوجوه و بأمره جرى ما جرى عليه و لو لم يكن بأمره و رضاه لوجب أن ينكر على مولاة كسر ضلعه و يعتذر إلى من عاتبه على فعله بابن مسعود بأن يقول إننى لم آمر بذلك و لا رضيته من فاعله و قد أنكرت عليه فعله.

و فى علمنا بأن ذلك لم يكن دليل على ما قلنا

٤٩٢

وَ قَدْ رَوَى الْوَأْقِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ وَ غَيْرِهِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لَمَّا اسْتَقْدَمَ الْمَدِينَةَ دَخَلَهَا لَيْلَةً جُمِعَ فِيهَا فَلَمَّا عَلِمَ عُثْمَانُ بِدُخُولِهِ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ طَرَقَكُمْ اللَّيْلَةَ دُوبَيْبَةُ مَنْ تَمَشَّى عَلَى طَعَامِهِ يَقِيءُ وَ يَسْلُحُ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَسْتُ كَذَلِكَ وَ لَكِنِّي صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ بَدْرٍ وَ صَاحِبُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَ صَاحِبُهُ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَ صَاحِبُهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَ صَاحِبُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ وَ صَاحِتْ عَائِشَةُ يَا عُثْمَانُ أَ تَقُولُ هَذَا لِصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ عُثْمَانُ اسْكُتِي ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيْبِ بْنِ أَخْرِجْهُ إِخْرَاجًا عَنيفًا فَأَخَذَهُ

ص: ٤٣

ابْنُ زَمْعَةَ فَاحْتَمَلَهُ حَتَّى جَاءَ بِهِ بَابَ الْمَسْجِدِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَكَسَّرَ ضَرْبًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَتَلَنِي ابْنُ زَمْعَةَ الْكَافِرُ بِأَمْرِ عُثْمَانَ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ ابْنَ زَمْعَةَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ كَانَ مَوْلَى لِعُثْمَانَ أَسْوَدَ مُسَيِّدًا (١) طَوَالًا وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ يَحْمِيومَ مَوْلَى عُثْمَانَ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ لَمَّا اخْتَمَلَهُ لِيُخْرِجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ نَادَاهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنَشُدْكَ اللَّهُ إِلَّا تَخْرِجَنِي مِنَ مَسْجِدِ خَلِيلِي ص .

قَالَ الرَّاوي فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى حُمَيْوشِ (٢) سَيَاقِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَرِجَالَهُ تَخْتَلِفَانِ عَلَى عُنُقِ مَوْلَى عُثْمَانَ حَتَّى أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَهُوَ الَّذِي

٤٩٣

يَقُولُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ص لَسَاقًا ابْنِ أُمِّ عَبْدِ أَثْقَلُ فِي الْمِيرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ .

٤٩٤

١٤- وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ أَنَّ عُثْمَانَ ضَرَبَ ابْنَ مَسْعُودٍ أَرْبَعِينَ سَوْطًا فِي دَفْنِهِ أَبَا ذَرٍّ وَهَذِهِ قِصَّةُ أُخْرَى وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا حَضَرَ تَهُ الْوَفَاةَ بِالرَّبِيدَةِ وَ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَ غُلَامُهُ عَهْدَ إِلَيْهِمَا أَنْ غَسَلَانِي ثُمَّ كَفَّنَانِي ثُمَّ ضَمَّ عَيْنِي عَلَى قَارِعِهِ الطَّرِيقِ فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمْرُونَ بِكُمْ قُولُوا لَهُمْ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَيَاتَ فَعَلُوا ذَلِكَ وَ أَقْبَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَكْبٍ مِنَ الْعِرَاقِ مُعْتَمِرِينَ فَلَمْ يَرِعْهُمْ إِلَّا الْجِنَازَةَ عَلَى قَارِعِهِ الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطُوهَا فَقَامَ إِلَيْهِمُ الْعَبِيدُ فَقَالَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَانْهَلَّ ابْنُ مَسْعُودٍ بَاكِيًا وَ قَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ لَهُ تَمَشَى وَحَدَكَ وَ تَمُوتُ وَحَدَكَ وَ تُبْعَثُ وَحَدَكَ ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ .

قال فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعنا في عثمان بأولى من أن يكون طعنا في ابن مسعود فواضح البطلان و إنما كان طعنا في عثمان دون ابن مسعود لأنه لا خلاف

ص: ٤٤

١- ١) المسند: الأهوج.

٢- ٢) الحموشه: دقه الساقين.

بين الأئمة في طهاره ابن مسعود و فضله و إيمانه و مدح رسول الله ص و ثنائه عليه و أنه مات على الجملة المحموده منه و في جميع هذا خلاف بين المسلمين في عثمان .

فأما قوله إن ابن مسعود كره جمع عثمان الناس على قراءه زيد و إحراقه المصاحف فلا شك أن عبد الله كره ذلك كما كرهه جماعه من أصحاب رسول الله ص و تكلموا فيه و قد ذكر الرواه كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلا و ما كره عبد الله من ذلك إلا مكروها و هو الذي

٤٩٥

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي حَقِّهِ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ .

٤٩٦

١٤- وَ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ قِرَاءَةُ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ هِيَ الْقِرَاءَةُ الْمَأْخِيزَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يُعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ دَفْعَتَيْنِ فَشَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ مَا نُسِخَ مِنْهُ وَ مَا صَحَّ فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الْمَأْخِيزَةُ

٤٩٧

١٤- وَ رُوِيَ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَقَدْ أَخَذْتُ الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ص سَبْعِينَ سُورَةً وَ ابْنُ زَيْدٍ بَنَ ثَابِتٍ لَغْلَامٌ فِي الْكِتَابِ لَهُ ذُؤَابَةٌ .

فأما حكايته عن أبي الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عاب عثمان لعزله إياه فبعد الله عند كل من عرفه بخلاف هذه الصورة و إنه لم يكن ممن يخرج على عثمان و يطعن في إمامته بأمر يعود إلى منفعه الدنيا و إن كان عزله بما لا شبهه فيه في دين و لا أمانه عيبا لا شك فيه

ص: ٤٥

الطعن السابع أنه جمع الناس على قراءه زيد بن ثابت خاصه و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شك أنه نزل من القرآن و أنه مأخوذ عن الرسول ص و لو كان ذلك ممّا يسوغ لسبق إليه رسول الله ص و لفعله أبو بكر و عمر .

قال قاضى القضاء و جوابنا عن ذلك أن الوجه فى جمع القرآن على قراءه واحده تحصين القرآن و ضبطه و قطع المنازعه و الاختلاف فيه و قولهم لو كان ذلك واجبا لفعله الرسول ص غير لازم لأن الإمام إذا فعله صار كأن الرسول ص فعله و لأن الأحوال فى ذلك تختلف و قد روى أن عمر كان عزم على ذلك فمات دونه و ليس لأحد أن يقول إن إحراقه المصاحف استخفاف بالدين و ذلك لأنه إذا جاز من الرسول ص أن يخرب المسجد الذى بنى ضرباً و كُفراً فغير ممتنع إحراق المصاحف.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال إن اختلاف الناس فى القراءه ليس بموجب لما صنعه لأنهم يروون

٤٩٨

أَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِهِ أَخْرَفِ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ.

فهذا الاختلاف عندهم فى القرآن مباح مسند عن الرسول ص فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع فى الحروف ما هو مباح فلو كان فى القراءه الواحده تحصين القرآن كما ادعى لما أباح النبى ص فى الأصل إلا القراءه الواحده لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته من حيث كان مؤيدا بالوحى موفقا فى كل ما يأتى و يذر و ليس له أن يقول حدث من الاختلاف فى أيام عثمان ما لم يكن فى أيام الرسول ص و لا ما أباحه و ذلك لأن الأمر

ص: ٤٦

لو كان على هذا لوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة و الأمر المبتدع و لا يحمله ما أحدث من القراءة على تحريم المتقدم بلا شبهه.

و قوله إن الإمام إذا فعل ذلك فكأن الرسول ص فعله تعلق بالباطل و كيف يكون كما ادعى و هذا الاختلاف بعينه قد كان موجودا فى أيام الرسول ص فلو كان سبب الانتشار الزيادة فى القرآن و فى قطعه تحصين له لكان ع بالنهى عن هذا الاختلاف أولى من غيره اللهم إلا أن يقال حدث اختلاف لم يكن فقد قلنا فيه ما كفى.

و أما قوله إن عمر قد كان عزم على ذلك فمات دونه فما سمعناه إلا منه و لو فعل ذلك أى فاعل كان لكان منكرا.

فأما الاعتذار عن كون إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار فيبين الأمرين بون بعيد لأن البنيان إنما يكون مسجدا و بيتا لله تعالى بنيه البانى و قصده و لو لا ذلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولى من بعض و لما كان قصد البانى لذلك الموضع غير القرية و العبادة بل خلافها و ضدها من الفساد و المكيدة لم يكن فى الحقيقة مسجدا و إن سمي بذلك مجازا على ظاهر الأمر فهدمه لا حرج فيه و ليس كذلك ما بين الدفتين لأنه كلام الله تعالى الموقر المعظم الذى يجب صيانتة عن البذله و الاستخفاف فأى نسبة بين الأمرين.

الطعن الثامن أنه أقدم عمار بن ياسر بالضرب حتى حدث به فتق و لهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله و كان يقول قتلناه كافرا.

قال قاضى القضاء وقد أجاب شيخنا أبو على رحمه الله تعالى عن ذلك فقال إن ضرب عمار غير ثابت و لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذى كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا عليه لأن للإمام تأديب من يستحق التأديب و مما يبعد صحه ذلك أن عمارا لا يجوز أن يكفره و لما يقع منه ما يستوجب به الكفر لأن الذى يكفر به الكافر معلوم و لأنه لو كان قد وقع ذلك لكان غيره من الصحابه أولى بذلك و لوجب أن يجتمعوا على خلعه و لوجب أن يكون قتله مباحا لهم بل كان يجب أن يقيموا إماما ليقتله على ما قدمناه و ليس لأحد أن يقول إنما كفرة عمار من حيث وثب على الخلافه و لم يكن لها أهلا لأنها قد بينا القول فى ذلك و لأنه كان منصوبا لأبى بكر و عمر ما تقدم و قد بينا أن صحه إمامتهما تقتضى صحه إمامه عثمان .

٤٩٩

٢١- وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَمَّارًا نَازَعَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ع فِي أَمْرِ عُثْمَانَ فَقَالَ عَمَّارٌ قُتِلَ عُثْمَانُ كَافِرًا وَ قَالَ الْحَسَنُ ع قُتِلَ مُؤْمِنًا وَ تَعَلَّقَ بَعْضُهُمَا بِنَعْصِ فَصَّارًا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ مَاذَا تُرِيدُ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ إِنِّي قُلْتُ كَذَا وَ قَالَ كَذَا فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع أَ تَكْفُرُ بِرَبِّكَ كَانَ يُؤْمِنُ بِهِ عُثْمَانُ فَسَكَتَ عَمَّارٌ

و قد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لما نقم عليه ضربه عمارا احتج لنفسه فقال جاءنى (١) سعد و عمار فأرسلا إلى أن اتنا فإننا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها فأرسلت إليهما أنى مشغول فانصرفا فموعدا كما يوم كذا فانصرف سعد و أبى عمار أن ينصرف فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف فتناوله بغير أمرى و والله ما أمرت به و لا رضيت و ها أنا فليقتص منى.

قال و هذا من أنصف قول و أعدله. اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما الدفع لضرب عمار فهو

ص: ٤٨

(١-١) كذا فى الأصول و كتاب الشافى ٢٧٧، و لعل الصواب: «جاء سعد».

كالإنكار لطلوع الشمس ظهوراً وانتشاراً و كل من قرأ الأخبار و تصفح السير يعلم من هذا الأمر ما لا تشبهه عنه مكابره و لا مدافعه و هذا الفعل أعنى ضرب عمار لم تختلف الرواه فيه و إنما اختلفوا في سببه

٥٠٠

١- فروى عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف في إسناديه أنه كان في بيت المال بالمدينة سيفاً فيه حلتي و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلتي به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك و كلموه فيه بكل كلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال لناخذن حاجتنا من هذا الفيء و إن رعمت به أنوف أقوام فقال له علي ع إذن تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار أشهد الله أن أنفي أول راعم من ذلك فقال عثمان أ علي يا ابن ياسر تجترئ خذوه فأخذ و دخل عثمان فدعا به فصر به حتى غشى عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضي الله تعالى عنها فلم يصل الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضأ و صلى و قال الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا في الله تعالى فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان عمارة حليفاً ليني مخزوم يا عثمان أما علي فأتقته و أما نحن فاجترأت علينا و صربت أحنانا حتى أشفيت به (١) على التلّف أما و الله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم الشأن فقال عثمان و إنك لهاهنا يا ابن القسيري قال فإيهما قسريتان و كانت أم هشام و جدته قسريتين (٢) من بجيلة فشتمه عثمان و أمر به فأخرج فأتى به أم سلمة رضي الله تعالى عنها فإذا هي قد غضبت لعمار و بلغ عائشة رضي الله تعالى عنها ما صنع بعمار فعضبت أيضاً و أخرجت شعراً من شعر رسول الله ص و نغلاً من نعاله و ثوباً من ثيابه و قالت ما أسيّر ما تركتم سنه نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نغله لم يبيل بعد

ص: ٤٩

١- (١) أشفيت به، أي جعلته مشرفاً على الهلاك.

٢- (٢) قسر: بطن في بجيلة.

وَرَوَى آخَرُونَ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ مَرَّ بِقَبْرِ جَدِيدٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَغَضِبَ عَلَى عَمَارٍ لِكِتْمَانِهِ إِيَّاهُ مَوْتَهُ إِذْ كَانَ الْمُتَوَلَّى لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَ الْقِيَامِ بِشَأْنِهِ فَعِنْدَهَا وَطِئَ عُثْمَانُ عَمَارًا حَتَّى أَصَابَهُ الْفُتْقُ.

وَرَوَى آخَرُونَ أَنَّ الْمَقْدَادَ وَ عَمَارًا وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ عَدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص كَتَبُوا كِتَابًا عَدَدُوا فِيهِ أَحْيَادَ عُثْمَانَ وَ خَوْفَهُ بِهِ وَ أَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ مُوَابِيئُوهُ إِنْ لَمْ يُقْلَعِ فَأَخَذَ عَمَارٌ الْكِتَابَ فَأَتَاهُ بِهِ فَقَرَأَ مِنْهُ صَدْرًا ثُمَّ قَالَ لَهُ أَعَلَيْ تَقْدِمُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَقَالَ لِأَنِّي أَنْصِيحُهُمْ لَكَ قَالَ كَذَبْتَ يَا ابْنَ سَيْمِيَّةَ فَقَالَ أَنَا وَ اللَّهُ ابْنُ سَيْمِيَّةَ وَ ابْنُ يَاسِرٍ فَأَمَرَ عُثْمَانُ غُلَمَانًا لَهُ فَمَدُّوا يَدَيْهِ وَ رَجَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ عُثْمَانُ بِرِجْلَيْهِ وَ هِيَ فِي الْخُفَيْنِ عَلَى مَذَاكِيرِهِ فَأَصَابَهُ الْفُتْقُ وَ كَانَ ضَعِيفًا كَبِيرًا فَغَشِيَ عَلَيْهِ.

قال فضرب عمار على ما ترى غير مختلف فيه بين الرواه و إنما اختلفوا في سببه و الخبر الذي رواه صاحب المغنى و حكاه عن أبي الحسين الخياط ما نعرفه و كتب السير المعلومه خاليه منه و من نظيره و قد كان يجب أن يضيفه إلى الموضع الذي أخذ منه فإن قوله و قول من أسند إليه ليس بحجه و لو كان صحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله ها أنا فليقتص منى إذا كان ما أمر بذلك و لا رضى عنه و إنما ضربه الغلام الجانى فليقتص منه فإنه أولى و أعدل.

و بعد فلا- تنافى بين الروايتين لو كان ما رواه معروفًا لأنه يجوز أن يكون غلامه ضربه فى حال و ضربه هو فى حال أخرى و الروايات إذا لم تتعارض لم يجز إسقاط شىء منها.

فأما قوله إن عمارا لا- يجوز أن يكفره و لم يقع منه ما يوجب الكفر فإن تكفير عمار و غير عمار له معروف و قد (١) جاءت به الروايات و قد روى من طرق مختلفه و بأسانيد كثيره أن عمارا كان يقول ثلاثه يشهدون على عثمان بالكفر و أنا الرابع و أنا شر

الأربعة وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (١) و أنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله.

٥٠٣

و رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ مِنْ طَرِيقٍ مُخْتَلِفٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ كَفَرْتُمْ (٢) عُمَانَ فَقَالَ بِثَلَاثٍ جَعَلَ الْمَالَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْيَاءِ وَ جَعَلَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صِ بَمَنْزِلِهِ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ عَمِلَ بِغَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ .

٥٠٤

و رُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ مَا فِي عُمَانَ بِحَمِيدِ اللَّهِ أَشْكُ لِكِنِّي أَشْكُ فِي قَاتِلِهِ لَا أَدْرِي أَمْ كَافِرٌ قَتَلَ كَافِرًا أَمْ مُؤْمِنٌ خَاصَّ إِلَيْهِ الْفِتْنَةُ حَتَّى قَتَلَهُ وَ هُوَ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا. فأما ما رواه من منازعه الحسن ع عمارا في ذلك و ترافعهما إلى أمير المؤمنين ع فهو أولا غير دافع لكون عمار مكفرا له بل شاهد بذلك من قوله ع ثم إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين ع و عدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتقية فأمسك عمار متابعه لغرضه (٣) .

فأما قوله لا- يجوز أن يكفره من حيث وثب على الخلافة لأنه كان مصوبا لأبي بكر و عمر لما تقدم من كلامه في ذلك فإننا لا نسلم له أن عمارا كان مصوبا لهما و ما تقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه.

فأما قوله عن أبي على أنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذي كان يقوله فيه لم يكن طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب المغنى أو من حكى كلامه من أبي على و غيره من أن يعتذر من ضرب عمار و وقده حتى لحقه من الغشى ما ترك له الصلاة و وطئه بالأقدام امتهاناً و استخفافاً بشيء من العذر

ص: ٥١

١-١) سورة المائدة ٤٤.

٢-٢) ١: «أكفرتم».

٣-٣) الشافى: «لما فهم من غرضه».

فلا عذر يسمع من إيقاع نهايه المكروه بمن

٥٠٥

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيهِ

عَمَّارٌ جِلْدُهُ مَا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَمَتَى تُنكَأَ الْجِلْدَةُ يُدْمِ الْأَنْفُ.

٥٠٦

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ مَا لَهُمْ وَلِعَمَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ.

٥٠٧

رَوَى الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ.

وَأى كلام غليظ سمعه عثمان من عمار يستحق به ذلك المكروه العظيم الذى يجاوز مقدار ما فرضه الله تعالى فى الحدود و إنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه أحداثه و معايبه أحيانا على ما يظهر من سيئ أفعاله و قد كان يجب عليه أحد أمرين إما أن ينزع عما يوافق عليه من تلك الأفعال أو يبين من عذره عنها و براءته منها ما يظهر و يشتهر فإن أقام مقيم بعد ذلك على توبيخه و تفسيقه زجره عن ذلك بوعظ أو غيره و لا يقدم على ما يفعله الجابره و الأكاسره من شفاء الغيظ بغير ما أنزل الله تعالى و حكم به الطعن التاسع إقدامه على أبى ذر مع تقدمه فى الإسلام حتى سيره إلى الربذه و نفاه و قيل إنه ضربه.

قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال إن الناس اختلفوا فى أمر أبى ذر رحمه الله تعالى

٥٠٨

وَرَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي ذَرٍّ عُمَانُ أَنْزَلَكَ الرَّبْذَةَ فَقَالَ لَا بَلِ اخْتَرْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ.

٥٠٩

١٤- وَ رَوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ يَشْكُوهُ وَ هُوَ بِالشَّامِ فَكَتَبَ عُمَانُ إِلَيْهِ أَنْ صِرْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا قَالَ مَا أَخْرَجَكَ إِلَى الشَّامِ قَالَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ص: ٥٢

يَقُولُ إِذَا بَلَغَتْ عِمَارَةُ الْمَدِينَةَ مَوْضِعَ كَذَا فَاخْرُجْ عَنْهَا فَلِذَلِكَ خَرَجْتُ فَقَالَ فَأَيُّ الْبِلَادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ بَعِيدَ الشَّامِ قَالَ الرَّيِّدَةُ فَقَالَ صِرَ إِلَيْهَا .

قال و إذا تكافأت الأخبار لم يكن لهم في ذلك حجه و لو ثبت ذلك لكان لا يمتنع أن يخرج به إلى الربذه لصالح يرجع إلى الدين فلا يكون ظلماً لأبي ذر بل يكون إشفاقاً عليه و خوفاً من أن يناله من بعض أهل المدينة مكروه فقد روى أنه كان يغلظ في القول و يخشن الكلام فيقول لم يبق أصحاب محمد على ما عهد و ينغر (١) بهذا القول فرأى إخراجهم أصح لما يرجع إليه و إليهم و إلى الدين و قد روى أن عمر أخرج عن المدينة نصر بن الحجاج لما خاف ناحيته و قد ندب الله سبحانه إلى خفض الجناح للمؤمنين و إلى القول اللين للكافرين و بين للرسول ص أنه لو استعمل الفظاظه لانفضوا من حوله فلما رأى عثمان من خشونه كلام أبي ذر و ما كان يورده مما يخشى منه التغير فعل ما فعل.

٥١٠

قَالَ وَ قَدْ رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ هُوَ بِالرَّيِّدَةِ مَا أَنْزَلَكَ هَذَا الْمَنْزِلَ قَالَ أَخْبَرَكَ أَنِّي كُنْتُ بِالشَّامِ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَ قَدْ ذَكَرْتُ هَذِهِ الْآيَةَ وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢) فَقَالَ مُعَاوِيَةَ هَذِهِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُلْتُ هِيَ فِيهِمْ وَ فِينَا فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُثْمَانَ فِي ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيَّ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَثَالَ النَّاسُ إِلَيَّ كَانْتَهُمْ لَمْ يَعْرِفُونِي فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ فَخَيَّرَنِي وَ قَالَ أَنْزَلَ حَيْثُ شِئْتَ فَتَزَلْتُ الرَّبْدَةَ .

ص: ٥٣

١-١) ينغر: يصيح.

٢-٢) سورة التوبة آية ٣٤.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط قريبا مما تقدم من أن إخراج أبي ذر إلى الربذه كان باختياره و روى في ذلك خبرا قال و أقل ما في ذلك أن تختلف الأخبار فتطرح و يرجع إلى الأمر الأول في صحه إمامه عثمان و سلامه أحواله.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما قول أبي علي إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلى الربذه متكافئه فمعاذ الله أن تتكافأ في ذلك بل المعروف و الظاهر أنه نفاه أولا إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاويه ثم نفاه من المدينة إلى الربذه

٥١١

وَ قَدْ رَوَى جَمِيعُ أَهْلِ السِّيَرِ عَلَى اخْتِلَافِ طُرُقِهِمْ وَ أَسَانِيدِهِمْ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا أُعْطِيَ مَرْوَانَ بَنَ الْحَكَمِ مَا أَعْطَاهُ وَ أُعْطِيَ الْحَارِثَ بَنَ الْحَكَمِ بَنَ أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَ أُعْطِيَ زَيْدَ بَنَ ثَابِتٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ جَعَلَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ بَشْرَ الْكَانَزِيِّنَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ وَ يَتْلُو قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَرَفَعَ ذَلِكَ مَرْوَانَ إِلَى عُثْمَانَ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ نَائِلًا مَوْلَاهُ أَنْ انْتَهَ عَمَّا يَبْلُغُنِي عَنْكَ فَقَالَ أَيْنَهَانِي عُثْمَانُ عَنْ قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَ عَيْبِ مَنْ تَرَكَ أَمْرَ اللَّهِ فَوَ اللَّهُ لَأَنْ أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ عُثْمَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُسَخِطَ اللَّهُ بِرِضَاهُ فَأَغْضَبَ عُثْمَانَ ذَلِكَ وَ أَحْفَظَهُ فَتَّصَابَرَ.

وَ قَالَ يَوْمًا أَيْجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَالِ فَإِذَا أَيْسَرَ قَضَى فَقَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ يَا ابْنَ الْيَهُودِيِّينَ أَتُعَلِّمُنَا دِينَنَا فَقَالَ عُثْمَانُ قَدْ كَثُرَ أَذَاكَ لِي وَ تَوَلَّعَكَ بِأَصِيحَابِي الْحَقُّ بِالشَّامِ فَأَخْرَجَهُ إِلَيْهَا فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يُنْكِرُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَشْيَاءَ يَفْعَلُهَا فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ ثَلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ

ص: ٥٤

مِنْ عَطَائِي الَّذِي حَرَمْتُمُونِيهِ عَامِي هَذَا قَبْلَتْهَا وَإِنْ كَانَتْ صَلَّهَ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَرَدَّهَا عَلَيْهِ.

وَبَنَى مُعَاوِيَةَ الْخَضِرَاءَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ يَا مُعَاوِيَةُ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهِيَ الْخِيَانَةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَالِكَ فَهُوَ الْإِسْرَافُ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثْتُ أَعْمَالَ مَا أَعْرِفُهَا وَاللَّهُ مَا هِيَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سِنَّةَ نَبِيِّهِ وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَى حَقًّا يُطْفَأُ وَبَاطِلًا يُخَيَّرُ وَصَادِقًا مُكَذَّبًا وَآثَرَهُ بَعِيرٍ تُقَى وَصَالِحًا مُسْتَأْثَرًا عَلَيْهِ فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ لِمُعَاوِيَةَ إِنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمُفْسِدٌ عَلَيْكُمْ الشَّامَ فَتَدَارَكُ أَهْلُهُ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حَاجَةٌ فِيهِ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ فِيهِ فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدُ فَأَحْمِلْ جُنْدَبًا (١) إِلَى عَلِيٍّ أَعْلَظِ مَرْكَبٍ وَأَوْعِرِهِ فَوَجَّهَ بِهِ مَعَ مَنْ سَارَ بِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَحَمَلَهُ عَلَى شَارِفِ (٢) لَيْسَ عَلَيْهَا إِلَّا قَتَبٌ (٣) حَتَّى قَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ وَقَدْ سَقَطَ لَحْمٌ فَخَذَّيْهِ مِنَ الْجَهْدِ فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ أَنَّ الْحَقَّ بِأَيِّ أَرْضٍ شِئْتَ فَقَالَ بِمَكَّةَ قَالَ لَا قَالَ فَبَيْتِ الْمُقَدِّسِ قَالَ لَا قَالَ فَأَحَدِ الْمُضِيرِينَ (٤) قَالَ لَا وَ لَكِنِّي مُسِيرٌ كَرِهْتُ إِلَى الرَّبِّدَةِ فَسَيَّرَهُ إِلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ.

٥١٢

١٤١- وَ فِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمَّا دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ قَالَهُ لَآ- أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا جُنَيْدِ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَنَا جُنَيْدِ وَ سَمَّانِي رَسُولَ اللَّهِ صَ عَبْدَ اللَّهِ فَاخْتَرْتُ اسْمَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ عَلَى اسْمِي فَقَالَ عُثْمَانُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَا نَقُولُ إِنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ فَاقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَوْ كُنْتُمْ لَا تَزْعُمُونَ لَأَنْفَقْتُمْ

ص: ٥٥

١-١) جندب: اسم أبي ذر الغفاري.

٢-٢) الشارف: الناقه المسنه الهرمه.

٣-٣) القتب: الإكاف الصغير على قدر سنام البعير.

٤-٤) المصران: هما الكوفه و البصره.

مِالَ اللَّهِ عَلَى عِيَادِهِ وَ لَكِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعِاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَعَلُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا وَ دِينَ اللَّهِ دَخَلًا فَقَالَ عُثْمَانُ لِمَنْ حَضَرَهُ أَسْمِعْتُمُوهَا مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ فَقَالُوا مَا سَمِعْنَاهُ فَقَالَ عُثْمَانُ وَ يَلِكُ يَا أَبَا ذَرٍّ أَ تَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِمَنْ حَضَرَ أَمَا تَظُنُّونَ أَنِّي صَدَقْتُ قَالُوا لَا وَ اللَّهُ مَا نَدْرِي فَقَالَ عُثْمَانُ اذْعُوا لِي عَلِيًّا فَدَعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ عُثْمَانُ لِأَبِي ذَرٍّ اقْضِ صَ عَلِيهِ حَيْدِيكَ فِي بَيْتِي أَبِي الْعِاصِ فَحَدَّثَهُ فَقَالَ عُثْمَانُ لِعَلِيٍّ هَلْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ عَلِيٌّ لَا وَ قَدْ صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ قَالَ عُثْمَانُ بِمِ (١) عَرَفْتُ صِدْقَهُ قَالَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ وَ لَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ جَمِيعٌ مِنْ حَضَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص لَقَدْ صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَحَدْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ تَتَهَمُونَنِي مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أَسْمَعَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص

٥١٣

١- وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ فِي خَبَرِ آخِرِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ صَهْبَانَ مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ يَوْمَ دُخِلَ بِهِ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي فَعَلْتَ وَ فَعَلْتَ فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ نَصَيْحَتُكَ فَاسْتَعَشَشْتَنِي وَ نَصَيْحَتُ صَاحِبِكَ فَاسْتَعَشَشْتَنِي فَقَالَ عُثْمَانُ كَذَبْتَ وَ لَكِنَّكَ تُرِيدُ الْفِتْنَةَ وَ تُحِبُّهَا قَدْ أَنْغَلَتْ (٢) الشَّامَ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ أَتَبِعُ سِيئَةَ صَاحِبَيْكَ لَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ كَلَامٌ قَالَ عُثْمَانُ مَا لَكَ وَ ذَلِكَ لَا أُمَّ لَكَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَ اللَّهُ مَا وَجَدْتُ لِي عُذْرًا إِلَّا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَغَضِبَ عُثْمَانُ وَ قَالَ أَشْتَرُوا عَلِيًّا فِي هَذَا الشَّيْخِ الْكَذَّابِ إِمَّا أَنْ أُضْرِبَهُ أَوْ أَحْبِسَهُ أَوْ أَقْتَلَهُ فَإِنَّهُ قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَنْفِيَهُ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ فَتَكَلَّمَ عَلِيٌّ ع وَ كَانَ حَاضِرًا وَ قَالَ أَشِيرُ عَلَيْكَ

ص: ٥٦

١- ١) الشافى: «كيف».

٢- ٢) أنغلت الشام: أى أفسدت أهله؛ و أصله فى الأديم؛ يقال: أنغل الأديم؛ إذا أفسده فى الدباغ. و فى الشافى: «قلبت».

بِمَا قَالَهُ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَإِنَّ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنَّ يَكُ لَصَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ (١) قَالَ فَأَجَابَهُ عُثْمَانُ بِجَوَابٍ غَلِيظٍ لَا أَحِبُّ ذِكْرَهُ وَأَجَابَهُ عَ بِمِثْلِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ حَظَرَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُقَاعِدُوا أَبَا ذَرٍّ أَوْ يُكَلِّمُوهُ فَمَكَثَ كَمَا ذَكَرْتَ أَبَاطًا ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِهِ فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ وَيْحَكَ يَا عُثْمَانُ أَمَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَرَأَيْتَ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ هَلْ رَأَيْتَ هَذَا هَدَيْتَهُمْ إِنَّكَ لَتَبْطِشُ بِي بَطْشَ جَبَّارٍ فَقَالَ أَخْرُجْ عَنَّا مِنْ بِلَادِنَا فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ مَا أَبْغَضَ إِلَيَّ جَوَارِكَ فَمَا لِي أَيْنَ أَخْرُجُ قَالَ حَيْثُ شِئْتُمْ قَالَ فَأَخْرُجُ إِلَى الشَّامِ أَرْضَ الْجِهَادِ قَالَ إِنَّمَا جَلَبْتُكَ مِنَ الشَّامِ لَمَّا قَدَّ أَفْسَدَتْهَا أَفَارُذُكَ إِلَيْهَا قَالَ أَفَأَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ لَا قَالَ وَلِمَ قَالَ تَقْدِمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ شَبَهٍ وَطَعْنٍ فِي الْأَيْمَةِ قَالَ أَفَأَخْرُجُ إِلَى مِصْرَ قَالَ لَا قَالَ فَمَا لِي أَيْنَ أَخْرُجُ قَالَ حَيْثُ شِئْتُمْ قَالَ أَبُو ذَرٍّ فَهُوَ إِذْنُ التَّعَرُّبِ (٢) بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَفَأَخْرُجُ إِلَى نَجْدٍ فَقَالَ عُثْمَانُ الشَّرَفُ الْأَبْعَدُ أَقْصَى فَأَقْصَى امْضِ عَلَى وَجْهِكَ هَذَا وَلَا تَعْدُونَ الرَّبْدَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا

٥١٤

١٤- وَرَوَى الْوَأَقِدِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي الرَّجَالِ عَنْ مُوسَى بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ قَالَ كُنْتُ أُحِبُّ لِقَاءَ أَبِي ذَرٍّ لِأَسْأَلَهُ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِ فَتَنَزَّلَتْ الرَّيْدَةُ فَقُلْتُ لَهُ أَلَا تُخْبِرُنِي أَخْرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ طَائِعًا أَمْ أَخْرَجْتُ مُكْرَهًا فَقَالَ كُنْتُ فِي ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْمَسْلُومِينَ أُغْنِي عَنْهُمْ فَأَخْرَجْتُ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَ فَقُلْتُ أَصْحَابِي وَدَارُ هِجْرَتِي فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَا تَرَى ثُمَّ قَالَ بَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلِهِ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَ فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَا أَرَاكَ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ

ص: ٥٧

١- (١) سورة غافر ٢٨.

٢- (٢) التعرّب: الإقامة بالبادية.

وَأُمِّي عَلَبْتُ عَيْنِي فَنِمْتُ فِيهِ فَقَالَ كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنْهُ فَقُلْتُ إِذْنُ الْحَقِّ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ وَ أَرْضٌ بَقِيَّةُ
الْإِسْلَامِ وَ أَرْضُ الْجِهَادِ فَقَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا فَقُلْتُ أَرْجِعُ إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنْهُ قُلْتُ
أَخْذُ سَيْفِي فَأَضْرِبُ بِهِ فَقَالَ صَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ انْسِقُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ وَ تَسْمَعُ وَ تُطِيعُ فَسَمِعْتُ وَ أَطَعْتُ وَ أَنَا
أَسْمَعُ وَ أَطِيعُ وَ اللَّهُ لِيَلْقَيْنَ اللَّهَ عُثْمَانُ وَ هُوَ آثَمُ فِي جَنبِي.

وَ كَانَ يَقُولُ بِالرَّبْذَةِ مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِي صَدِيقًا وَ كَانَ يَقُولُ فِيهَا رَدَّنِي عُثْمَانُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابِيًّا

و الأخبار في هذا الباب أكثر من أن تحصر و أوسع من أن نذكرها و ما يحمل نفسه على ادعاء أن أبا ذر خرج مختارا إلى الربذة
إلا مكابر و لسنا ننكر أن يكون ما أورده صاحب كتاب المغنى من أنه خرج مختارا قد روى إلا أنه من الشاذ النادر و بإزاء هذه
الرواية الفذة كل الروايات التي تتضمن خلافها و من تصفح الأخبار علم أنها غير متكافئة على ما ظنَّ صاحب المغنى و كيف
يجوز خروجه عن اختيار و إنما أشخص من الشام على الوجه الذى أشخص عليه من خشونه المركب و قبح السير به للموجده
عليه ثم لما قدم منع الناس من كلامه و أغلظ له فى القول و كل هذا لا يشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره و كيف يظن
عاقل أن أبا ذر يختار الربذة منزلا مع جذبها و قحطها و بعدها عن الخيرات و لم تكن بمنزل مثله.

فأما قوله إنه أشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ لهم القول فليس بشيء لأنه لم يكن فى أهل
المدينة إلا من كان راضيا بقوله عاتبا بمثل عتبه إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما فى نفسه و مخف ما عنده و ما فى أهل المدينة إلا

من رثى لأبى ذر مما حدث عليه و من استفضعه و من رجع إلى كتب السيره عرف ما ذكرناه.

فأما قوله أن عمر أخرج من المدينه نصر بن حجاج فيا بعد ما بين الأمرين و ما كنا نظن أن أحدا يسوى بين أبى ذر و هو وجه الصحابه و عينهم و من أجمع المسلمون على توقيره و تعظيمه و أن رسول الله ص مدحه من صدق اللهجه بما لم يمدح به أحدا و بين نصر بن الحجاج الحدث الذى كان خاف عمر من افتتان النساء بشبابه و لا حظ له فى فضل و لا دين على أن عمر قد ذم بإخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه فإذا كان من أخرج نصر بن حجاج مذموما فكيف من أخرج أبى ذر .

فأما قوله إن الله تعالى و الرسول قد ندبا إلى خفض الجناح و لين القول للمؤمن و الكافر فهو كما قال إلا أن هذا أدب كان ينبغى أن يتأدب به عثمان فى أبى ذر و لا يقابله بالتكذيب و قد قطع رسول الله ص على صدقه و لا يسمعه مكروه الكلام فإنما نصح له و أهدى إليه عيوبه و عاتبه على ما لو نزع عنه لكان خيرا له فى الدنيا و الآخره.

الطعن العاشر تعطيله الحدّ الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطّاب فإنه قتل الهرمزان مسلما فلم يقده به و قد كان أمير المؤمنين ع يطلبه لذلك.

قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك إن شيخنا أبى على رحمه الله تعالى قال إنّه لم يكن للهرمزان ولى يطلب بدمه و الإمام ولى من لا ولى له و للولى أن يعفو كما له أن يقتل و قد روى أنّه سأل المسلمين أن يعفوا عنه فأجابوا عنه إلى ذلك.

قال و إنما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عز الدين لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله فيقال قتلوا إمامهم و قتلوا ولده و لا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شماته و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن عامه المهاجرين أجمعوا على أنه لا يقاد بالهرمزان و قالوا لعثمان هذا دم سفك في غير ولايتك و ليس له ولي يطلب به و أمره إلى الإمام فاقبل منه الديه فذلك صلاح للمسلمين .

قال و لم يثبت أن أمير المؤمنين ع كان يطلبه ليقته بالهرمزان لأنه لا يجوز قتل من عفا عنه ولي المقتول و إنما كان يطلبه ليضع من قدره و يصغر من شأنه.

قال و يجوز أن يكون

٥١٥

مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ع مِنْ أَنَّهُ قَالَ

لَوْ كُنْتُ بَدَلَ عُثْمَانَ لَقَتَلْتُهُ .

يعنى أنه كان يرى ذلك أقوى في الاجتهاد و أقرب إلى التشدد في دين الله سبحانه.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام قال أما قوله لم يكن للهرمزان ولي يطلب بدمه فالإمام يكون وليه و له أن يعفو عنه كما له أن يقتص فليس بمعتمد لأن الهرمزان رجل من أهل فارس و لم يكن له ولي حاضر يطالب بدمه و قد كان الواجب أن يبذل الإنصاف لأوليائه و يؤمنوا متى حضروا حتى أنه لو كان له ولي يريد المطالبة حضر و طالب ثم لو لم يكن له ولي لم يكن عثمان ولي دمه لأنه قتل في أيام عمر فصار عمر ولي دمه

٥١٦

وَ قَدْ أَوْصَى عُمَرُ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَاتُ الظَّاهِرَةُ بِقَتْلِ ابْنِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِنْ لَمْ تَقُمْ الْبَيْتَةُ الْعَادِلَةَ عَلَى الْهُرْمَزَانَ وَ جَفِينَةَ (١) أَنَّهُمَا أَمْرًا أَبَا لَوْلُوهُ غُلَامَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ بِقَتْلِهِ وَ كَانَتْ وَصِيَّتُهُ بِهَذَا كَمَا إِلَى أَهْلِ الشُّورَى فَقَالَ أَيُّكُمْ وَلِي هَذَا الْأَمْرَ فَلْيَفْعَلْ كَذَا وَ كَذَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ طَلَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عُثْمَانَ إِمْرًا

ص : ٦٠

١- (١) جفينه؛ كان نصرانيا من أهل الحيرة و كان ظئرا لسعد بن أبي وقاص؛ أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه و بينهم؛ و يعلم بالمدينة الكتاب. تاريخ الطبري ٥: ٤٢.

الْوَصِيَّةِ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَدَافَعَ عَنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهِمْ. وَ لَوْ كَانَ هُوَ وَ لِي الدَّمِ عَلَى مَا ذَكَرُوا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَعْفُوَ وَ أَنْ يَبْطُلَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَى شِمَاتِهِ لِلْعَدُوِّ فِي إِقَامِهِ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَ إِنَّمَا الشِّمَاتَةُ كُلُّهَا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي تَعْطِيلِ الْحُدُودِ وَ أَى حَرْجٍ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ قَتْلِ الْإِمَامِ وَ ابْنِهِ حَتَّى يُقَالَ كَرِهَ أَنْ يَنْتَشِرَ الْخَبْرُ بِأَنَّ الْإِمَامَ وَ ابْنَهُ قَتَلَا وَ إِنَّمَا قَتَلَ أَحَدَهُمَا ظُلْمًا وَ الْآخَرَ عَدْلًا أَوْ أَحَدَهُمَا بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ وَ الْآخَرَ بِأَمْرِهِ سَبْحَانَهُ.

٥١٧

١- وَ قَدْ رَوَى زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُكَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَتَى عُثْمَانَ بَعْدَ مَا اسْتُخْلِفَ فَكَلَّمَهُ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ وَ لَمْ يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَصَالَ أُقْتِلْ هَذَا الْفَاسِقَ الْخَبِيثَ الَّذِي قَتَلَ أَمِيرًا مُسْلِمًا فَقَالَ عُثْمَانُ قَتَلُوا أَبَاهُ بِالْأَمْسِ وَ أَقْتَلُهُ الْيَوْمَ وَ إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ مَرَّ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى عَلِيٍّ عَ فَقَالَ لَهُ إِيهَ يَا فَاسِقُ أَمَا وَ اللَّهُ لَئِنْ ظَفِرْتُ بِكَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ فَلِدَلِّكَ حَرْجَ مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِ

٥١٨

١- وَ رَوَى الْقَنَادُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا قَالُوا عُثْمَانُ إِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالُوا لَيْسَ لِمَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ قَالَتْ بَلَى إِنَّهُ لَيْسَ لِجَفِينَةٍ وَ الْهَرَمَزَانِ قَرَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَ أَنَا وَلِيُّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنَا أَوْلَى بِهِمَا وَ قَدْ عَفَوْتُ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ إِنَّهُ لَيْسَ كَمَا تَقُولُ إِنَّمَا أَنْتَ فِي أَمْرِهِمَا بِمَنْزِلِهِ أَقْصَى الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ قَتَلَهُمَا فِي إِمْرِهِ غَيْرِكَ وَ قَدْ حَكَمَ الْوَالِي الَّذِي قَتَلَا فِي إِمَارَتِهِ بِقَتْلِهِ وَ لَوْ كَانَ قَتَلَهُمَا فِي إِمَارَتِكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ الْعَفْوُ عَنْهُ فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُكَ عَنْ هَذَا فَلَمَّا رَأَى عُثْمَانُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَبَوْا إِلَّا قَتَلَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْرَهُ فَارْتَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ وَ أَقْطَعَهُ بِهَا دَارًا وَ أَرْضًا وَ هِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا كُوَيْفَةُ (١) ابْنُ عُمَرَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَ أَكْبَرُوهُ وَ كَثُرَ كَلَامُهُمْ فِيهِ

ص: ٦١

١- (١) الكويفه، ذكرها ياقوت، فقال: «كويفه ابن عمر منسوبه إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب؛ نزلها حين قتل بنت أبي لؤلؤه و الهرمزان و جفينة العبادي». معجم البلدان ٣٠٤: ٧.

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع أَنَّهُ قَالَ مَا أَمْسَى عُثْمَانُ يَوْمَ وُلِّيَ حَتَّى نَقَمُوا عَلَيْهِ فِي أَمْرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ حَيْثُ لَمْ يَقْتُلْهُ بِالْهَرْمُزَانِ .

فأما قوله إن أمير المؤمنين ع لم يطلبه ليقنتله بل ليضع من قدره فهو بخلاف ما صرح به ع من أنه إن تمكن ليضربن عنقه.

و بعد فإن ولي الدم إذا عفا عنه على ما ادعوا لم يكن لأحد أن يستخف به ولا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله.

و أما قوله إن أمير المؤمنين ع لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه فإنما يكون صحيحا لو كان ذلك العفو مؤثرا و قد بينا أنه غير مؤثر.

و أما قوله يجوز أن يكون ع رأى أن قتله أقوى في الاجتهاد و أقرب إلى التشدد في دين الله فلا شك أنه كذلك و هذا بناء منه على أن كل مجتهد مصيب و قد بينا أن الأمر بخلاف ذلك و إذا كان اجتهاد أمير المؤمنين ع يقتضى قتله فهو الذى لا يسوغ خلافه.

الطعن الحادى عشر و هو إجمالى قالوا وجدنا أحوال الصحابه داله على تصديقهم المطاعن فيه و براءتهم منه و الدليل على ذلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثه أيام لم يدفنوه و لا أنكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار بل أسلموه و لم يدفعوا عنه و لكنهم أعانوا عليه و لم يمنعوا من حصره و لا من منع الماء عنه و لا من قتله مع تمكنهم من خلاف ذلك و هذا من أقوى الدلائل على ما قلناه و لو لم يدل على أمره عندهم إلا ما

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ع أَنَّهُ قَالَ

اللَّهُ قَتَلَهُ وَ أَنَا مَعَهُ . وَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ ع مَنْ يَصْرَحُ بِأَنَّهُ قَتَلَ

عثمان و مع ذلك لا يقيدهم بل و لا ينكر عليهم و كان أهل الشام يصرحون بأن مع أمير المؤمنين قتله عثمان و يجعلون ذلك من أوكد الشبه و لا ينكر ذلك عليهم مع أنا نعلم أن أمير المؤمنين ع لو أراد أن يتعاضد هو و أصحابه على المنع عنه لما وقع في حقه ما وقع فصار كفه و كف غيره عن ذلك من أدل الدلائل على أنهم صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث و أنهم لم يقبلوا منه ما جعله عذرا.

و أجاب قاضى القضاة عن هذا فقال أما تركه بعد القتل ثلاثه أيام لم يدفن فليس بثابت و لو صح لكان طعنا على من لزمه القيام به و قد قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنه لا يمتنع أن يشتغلوا بإبرام البيعه لأمر المؤمنين ع خوفا على الإسلام من الفتنة فيؤخروا دفنه.

قال و بعيد مع حضور قريش و قبائل العرب و سائر بنى أمية و مواليهم أن يترك عثمان و لا يدفن هذه المده و بعيد أن يكون أمير المؤمنين ع لا يتقدم بدفنه و لو مات في جواره يهودى أو نصرانى و لم يكن له من يواريه ما تركه أمير المؤمنين ألا يدفن فكيف يجوز مثل ذلك في عثمان و قد روى أنه دفن في تلك الليلة و هذا هو الأولى.

فأما التعلق بأن الصحابه لم تنكر على القوم و لا دفعت عنه فقد سبق القول في ذلك و الصحيح عن أمير المؤمنين ع أنه تبرأ من قتل عثمان و لعن قتلته في البر و البحر و السهل و الجبل و إنما كان يجرى من جيشه هذا القول منه على جهه المجاز لأننا نعلم أن جميع من كان يقول نحن قتلناه لم يقتله لأن في الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرحون بذلك و الذين دخلوا عليه و قتلوه اثنان أو ثلاثه و إنما كانوا يقصدون بهذا القول أى احسبوا أننا قتلناه فما لكم و ذلك أن الإمام هو الذى يقوم بأمر القود و ليس للخارج عليه أن يطالب بذلك و لم يكن لأمر المؤمنين ع أن يقتل قتلته لو عرفهم بينه أو إقرار و ميزهم من غيرهم إلا عند مطالبه ولى الدم و الذين كانوا أولياء

الدم لم يكونوا يطالبونه و لا كانت صفتهم صفه من يطالب لأنهم كانوا كلهم أو بعضهم يدعون أن عليا ع ليس بإمام و لا يحل لولى الدم مع هذا الاعتقاد أن يطالب بالقيود فلذلك لم يقتلهم ع هذا لو صح أنه كان يميزهم فكيف و ذلك غير صحيح.

٥٢١

فَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ ع

قَتَلَهُ اللَّهُ وَ أَنَا مَعَهُ .

فإن صح فمعناه مستقيم يريد أن الله أماته و سيميتنى و سائر العباد.

ثم قال سائلا نفسه كيف يقول ذلك و عثمان مات مقتولا من جهه المكلفين و أجاب بأنه و إن قتل فالإماته من قبل الله تعالى و يجوز أن يكون ما ناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياه لا محاله فإذا مات صحت الإمامته على طريق الحقيقه.

اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذا الكلام فقال أما تضعيفه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثه أيام لم يدفن فليس بحجه لأن ذلك قد رواه جماعه الرواه و ليس يخالف فى مثله أحد يعرف بالروايه و قد ذكر ذلك الواقدى و غيره و روى أن أهل المدينه منعوا الصلاه عليه حتى حمل بين المغرب و العتمه و لم يشهد جنازته غير مروان و ثلاثه من مواليه و لما أحسوا بذلك رموه بالحجاره و ذكروه بأسوأ الذكر و لم يقع التمكن من دفنه إلا بعد أن أنكر أمير المؤمنين ع المنع من دفنه و أمر أهله بتولى ذلك منه.

فأما قوله إن ذلك إن صح كان طعنا على من لزمه القيام بأمره فليس الأمر على ما ظنه بل يكون طعنا على عثمان من حيث لا يجوز أن يمنع أهل المدينه و فيها وجوه الصحابه من دفنه و الصلاه عليه إلا لاعتقاد قبيح أو لأن أكثرهم و جمهورهم يعتقد ذلك و هذا طعن لا شبهه فيه و استبعاد صاحب المغنى لذلك مع ظهور الروايه به

ص: ٦٤

لا يلتفت إليه فأما أمير المؤمنين ع و استبعاد صاحب المغنى منه ألا يتقدم بدفنه فقد بينا أنه تقدم بذلك بعد مماكسه و مراوضه و أعجب من كل شيء قول صاحب المغنى إنهم أخرجوا دفنه تشاغلا بالبيعه لأمر المؤمنين ع و أى شغل فى البيعه لأمر المؤمنين يمنع من دفنه و الدفن فرض على الكفايه لو قام به البعض و تشاغل الباقون بالبيعه لجاز و ليس الدفن و لا البيعه أيضا مفتقره إلى تشاغل جميع أهل المدينة بها.

فأما قوله إنه قد روى أن عثمان دفن تلك الليله فما تعرف هذه الروايه و قد كان يجب أن يسندها و يعزوها إلى راويها أو الكتاب الذى أخذها منه فالذى ظهر فى الروايه هو ما ذكرناه.

فأما إحالته على ما تقدم فى معنى الإنكار من الصحابه على القوم المجلبين على عثمان فقد سبق القول فى ذلك.

فأما روايته عن أمير المؤمنين ع تبرؤه من قتل عثمان و لعنه قتلته فى البر و البحر و السهل و الجبل فلا شك فى أنه ع كان بريئا من قتله

٥٢٢

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ع أَنَّهُ قَالَ وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَلَا مَالَاتُ فِي قَتْلِهِ.

و الممأله هى المعاونه و الموازره و قد صدق ع فى أنه ما قتل و لا وازر على القتل.

فأما لعنه قتلته (١) فضعيف فى الروايه و إن كان قد روى فأظهر منه

٥٢٣

١- مِا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ الصَّلْتِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ عَلِيًّا ع عَلَى مِثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص حِينَ قُتِلَ وَ هُوَ يَقُولُ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ وَلَا كَرِهْتُهُ وَلَا أَمَرْتُ بِهِ وَلَا نَهَيْتُ عَنْهُ .

٥٢٤

١- وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عَفَّانَ بْنِ جَرِيرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِي جَلْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا

ص: ٦٥

يَقُولُ وَهُوَ يَخْطُبُ فَذَكَرَ عُثْمَانَ وَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا قَتَلْتُهُ وَلَا مَالًا تُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَا سَاءَ نِي (١).

٥٢٥

وَرَوَى ابْنُ بَشِيرٍ عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع يَقُولُ

مَنْ كَانَ سَائِلِي عَنْ دَمِ عُثْمَانَ فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ .

و قد روى هذا اللفظ من طرق كثيرة.

٥٢٦

١- وَ قَدْ رَوَى شُعْبَةُ عَنْ أَبِي حَمْرَةَ الصُّبَعِيِّ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا يَقُولُ أَلَا مَنْ كَانَ سَائِلِي عَلَى دَمِ عُثْمَانَ فَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ فَقَالَ صَدَقَ أَبُوكَ هَلْ تَدْرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ قَتْلَهُ وَأَنَا مَعَ اللَّهِ .

قال فإن قيل كيف يصح الجمع بين معاني هذه الأخبار.

قلنا لا تنافي بينها لأنه ع تبرأ من مباشره قتله و المؤازره عليه ثم قال ما أمرت بذلك و لا نهيت عنه يريد أن قاتليه لم يرجعوا إلى و لم يكن منى قول فى ذلك بأمر و لا- نهى فأما قوله الله قتله و أنا معه فيجوز أن يكون المراد به الله حكم بقتله و أوجه و أنا كذلك لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يقتله على الحقيقة فإضافه القتل إليه لا تكون إلا بمعنى الحكم و الرضا و ليس يمتنع أن يكون ممّا حكم الله تعالى به ما لم يتوله بنفسه و لا آزر عليه و لا شابع فيه.

فإن قال قائل هذا ينافى

٥٢٧

مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ

مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ وَلَا كَرِهْتُهُ .

و كيف يكون من حكم الله و حكمه أن يقتل و هو لا يجب قتله.

قلنا يجوز أن يريد بقوله ما أحببت قتله و لا كرهته أن ذلك لم يكن منى على سبيل التفصيل و لا خطر لى ببال و إن كان على سبيل الجملة يجب قتل من غلب المسلمين

١-١) كذا فى ا،ج،و الشافى،و فى ب: «و لا سأل».

على أمورهم و طالبوه بأن يعتزل لأنه (١) مستول عليهم بغير حق (٢) فامتنع من ذلك و يكون فائده هذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله و الأمر به على سبيل التفصيل أو النهى عنه و يجوز أن يريد أننى ما أحببت قتله إن كانوا تعمدوا القتل و لم يقع على سبيل الممانعه و هو غير مقصود و يريد بقوله ما كرهته أنى لم أكرهه على كل حال و من كل وجه.

فأما لعنه قتلته فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ما ذكرناه و إن صح فهو مشروط بوقوع القتل على الوجه المحذور من تعمد له و قصد إليه و غير ذلك على أن المتولى للقتل على ما صحت به الروايه كنانه بن بشير التجيبى و سودان بن حمران المرادى و ما منهما من كان غرضه صحيحا فى القتل و لا له أن يقدم عليه فهو ملعون به فأما محمّد بن أبى بكر فما تولى قتله و إنما روى أنه لما جثا بين يديه قابضا على لحيته قال له يا ابن أخى دع لحيتى فإن أباك لو كان حيا لم يقعد منى هذا المقعد فقال محمد أن أبى لو كان حيا ثم يراك تفعل ما تفعل لأنكره عليك ثم وجأه (٣) بجماعه قداح كانت فى يده فحزت فى جلده و لم تقطع و بادره من ذكرناه فى قتله بما كان فيه قتله.

فأما تأويله

٥٢٨

قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

قَتَلَهُ اللَّهُ وَ أَنَا مَعَهُ .

على أن المراد به الله أماته و سيميتنى فبعيد من الصواب لأن لفظه أنا لا تكون كناية عن المفعول و إنما تكون كناية عن الفاعل و لو أراد ما ذكره لكان يقول و إياى معه و ليس له أن يقول إننا نجعل قوله و أنا معه مبتدأ محذوف الخبر و يكون تقدير الكلام و أنا معه مقتول و ذلك لأن هذا ترك للظاهر و إحاله على ما ليس فيه و الكلام إذا أمكن حملة على معنى يستقل ظاهره به من غير تقدير و حذف كان أولى ممّا يتعلق بمحذوف على أنهم إذا جعلوه مبتدأ و قدروا خبرا لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم بأولى من تقدير خلافه و يجعل بدلا من لفظه المقتول المحذوف لفظه معين أو ظهير.

ص: ٦٧

١- ١- ١) ب: «لأنه مسئول عليه بحق» و ما أثبتته من ا، ج و كتاب الشافى.

٢- ١- ١) ب: «لأنه مسئول عليه بحق» و ما أثبتته من ا، ج و كتاب الشافى.

و إذا تكافأ القولان فى التقدير و تعارضا سقطا و وجب الرجوع إلى ظاهر الخبر على أن عثمان مضى مقتولا فكيف يقال إن الله تعالى أماته و القتل كاف فى انتفاء الحياه و ليس يحتاج معه إلى ناف للحياه يسمى موتا.

و قول صاحب المغنى يجوز أن يكون ما ناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياه ليس بشىء لأن المروى أنه ضرب على رأسه بعمود عظيم من حديد و أن أحد قتلته قال جلست على صدره فوجأته تسع طعنات علمت أنه مات فى ثلاث و وجأته الست الأخر لما كان فى نفسى عليه من الحق.

و بعد فإذا كان جائزا فمن أين علمه أمير المؤمنين ع حتى يقول إن الله أماته و إن الحياه لم تنتف بما فعله القاتلون (١) و إنما انتفت بشىء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى مما (٢) لا يعلمه على سبيل التفصيل إلا علام الغيوب سبحانه.

و الجواب عن هذه المطاعن على وجهين إجمالا و تفصيلا أما الوجه الإجمالى فهو أننا لا ننكر أن عثمان أحدث أحداثا أنكرها كثير من المسلمين و لكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجه الفسق و لا أحبطت ثوابه و أنها من الصغائر التى وقعت مكفره (٣) و ذلك لأننا قد علمنا أنه مغفور له و أنه من أهل الجنه لثلاثه أوجه.

أحدها أنه من أهل بدر

٥٢٩

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

و لا يقال إن عثمان لم يشهد بدرا لأننا نقول صدقتم أنه لم يشهدا و لكنه تخلف على رقيه ابنه رسول الله ص

ص: ٦٨

١-١) الشافى: «القتله»، و فى ب: «القاتلون» تحريف.

٢-٢) كذا فى ا، ج و الشافى، و فى ب: «فيما».

٣-٣) الصغائر المكفره: التى يمحق إثمها.

بالمدينه لمرضها و ضرب له رسول الله ص بسهمه و أجره باتفاق سائر الناس.

و ثانيها أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ (١) و لا يقال إنه لم يشهد البيعه تحت الشجره لأننا نقول صدقتم أنه لم يشهدا و لكنه

٥٣٠

١٤- كَمَا نَزَّلَ اللَّهُ صَاحِبَهُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَ لِأَجْلِ كَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ حَيْثُ أُرْجِفَ (٢) بِأَنَّ قُرَيْشًا قَتَلَتْ عُثْمَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ كَانُوا قَتَلُوهُ لِأَضْرَمَتْهَا عَلَيْهِمْ نَارًا ثُمَّ جَلَسَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَ بَايَعَ النَّاسَ عَلَى الْمَوْتِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ كَانَ عُثْمَانُ حَيًّا فَأَنَا أُبَايِعُ عَنْهُ فَصَفَحَ بِشِمَالِهِ عَلَى يَمِينِهِ وَ قَالَ شِمَالِي خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ عُثْمَانَ

روى ذلك جميع أرباب أهل السيره متفقا عليه.

و ثالثها أنه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة .

و إذا كانت الوجوه الثلاثة داله على أنه مغفور له و أن الله تعالى قد رضى عنه و هو من أهل الجنة بطل أن يكون فاسقا لأن الفاسق يخرج عندنا من الإيمان و يحبط (٣) ثوابه و يحكم له بالنار و لا- يغفر له و لا- يرضى عنه و لا- يرى الجنة و لا يدخلها فاقتضت هذه الوجوه الصحيحه الثابته أن يحكم بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفره توفيقا بين هذه الوجوه و بين روايات الأحداث المذكوره.

و أما الوجه التفصيلي فهو المذكور في كتب أصحابنا المطوله في الإمامه فليطلب من مظانه فإنهم قد استقصوا في الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لا مزيد عليه

ص: ٦٩

١-١ (١) سورة الفتح ١٨.

٢-٢ (٢) يقال: أرجف القوم؛ إذا خاضوا في الأخبار السيئه و ذكر الفتن على أن يوقعوا الناس في الاضطراب.

٣-٣ (٣) ب، ج: «ينحبط» و ما أثبتته عن ا.

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلي و بعث أمير المؤمنين ع إياه إلى معاوية فنحن نذكره نقلا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم بن بشار المنقرى و نذكر حال أمير المؤمنين ع منذ قدم الكوفة بعد وقعه الجمل و مراسلته معاوية و غيره و مراسله معاوية له و لغيره و ما كان من ذلك في مبدأ حالتها إلى أن سار على ع إلى صفين .

٥٣١

١،٢- قَالَ نَصِيرٌ (١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرَجَانِيِّ قَالَ لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ ع الْكُوفَةَ بَعِيدَ انْقِضَاءِ أَمْرِ الْجَمَلِ كَاتَبَ الْعُمَّالَ فَكَتَبَ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ مَعَ زَخْرِ بْنِ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ وَ كَانَ جَرِيرٌ عَامِلًا لِعُثْمَانَ عَلَى نَعْرِ هَمْدَانَ (٢) أَمَا بَعْدُ فَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (٣) وَ إِنِّي أُخْبِرُكَ عَنْ نَبِيٍّ (٤) مَنْ سَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ جُمُوعِ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ عِنْدَ نَكْتِهِمْ بَيْعَتِي (٥) وَ مَا صَدَعُوا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ إِنِّي نَهَضْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعُدَيْبِ (٦) بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَ قَيْسَ بْنَ عَبَادَةَ فَاسْتَنْفَرْتُهُمْ فَأَجَابُوا فَسِرْتُ بِهِمْ حَتَّى نَزَلْتُ بِظَهْرِ الْبَصْرَةِ فَأَعْدَرْتُ فِي

ص: ٧٠

١- (١) وقعه صفين للمنقرى ص ١٩ و ما بعدها.

٢- (٢) همذان؛ بالإعجام: مدينه ببلاد الجبال من فارس.

٣- (٣) سورة الرعد ١١.

٤- (٤) ب: «أنباء».

٥- (٥) كتاب صفين: «بيعتهم».

٦- (٦) العديب: ماء عن يمين القادسية لبني تميم، بينه و بين القادسية أربعة أميال (مرصد الاطلاع).

الدُّعَاءِ وَ أَقَلَّتْ الْعَثْرَةَ وَ نَاشَدَتْهُمْ عَهْدَ (١) بَيْعَتِهِمْ فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالِي فَاسْتَعْنَتْ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَفُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَ وَلُوا مُدْبِرِينَ إِلَى مِضْرِهِمْ وَ سَأَلُونِي مَا كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ فَبَلَ الْقَاءِ فَقَبِلْتُ الْعَافِيَةَ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ وَ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَ سَرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ وَ قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ زَحْرُ بْنَ قَيْسٍ فَاسْأَلْهُ عَمَّا بَدَا لَكَ وَ السَّلَامُ.

قَالَ فَلَمَّا قَرَأَ جَرِيرٌ الْكِتَابَ قَامَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع وَ هُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى الدِّينِ وَ الدُّنْيَا وَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَ أَمْرِ عِدُوِّهِ مَا نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَ قَدْ بَايَعَهُ النَّاسُ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ وَ لَوْ جُعِلَ هَذَا الْمَأْمُورُ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا أَنْ أَحَقَّهُمْ بِهَا إِلَّا- وَ إِنَّ الْبَقَاءَ فِي الْجَمَاعَةِ وَ الْفَنَاءَ فِي الْفُرْقَةِ وَ إِنَّ عَلِيًّا حَامِلُكُمْ عَلَى الْحَقِّ مَا اسْتَفْتَمْتُمْ فَإِنْ مِلْتُمْ أَقَامَ مَيْلَكُمْ فَقَالَ النَّاسُ سَمِعُوا وَ طَاعَهُ رَضِينَا رَضِينَا.

فَكَتَبَ جَرِيرٌ إِلَى عَلِيٍّ ع جَوَابَ كِتَابِهِ بِالطَّاعَةِ.

قَالَ نَصْرٌ وَ كَانَ (٢) مَعَ عَلِيٍّ رَجُلٌ مِنْ طَيْبِ ابْنِ أُخْتِ لَجْرِيْرِ فَحَمَلَ زَحْرُ بْنَ قَيْسٍ شِعْرًا لَهُ إِلَى خَالِهِ جَرِيرٍ وَ هُوَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا تَرُدُّ الْهُدَى

ص: ٧١

١-١ (١) صفين «عقد».

٢-٢ (٢) صفين: ٢١، ٢٠.

وَإِنْ قُلْتَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ حَقَّهُ

قَالَ نَصِيرٌ ثُمَّ إِنَّ جَرِيرًا قَامَ فِي أَهْلِ هَمَازَانَ حَظِيْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْحَمِيدَ وَتَوَلَّاهُ دُونَ خَلْقِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْحَمِيدِ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَعْدِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحِدَهُ الدَّائِمُ الْقَائِمُ إِلَهَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالنُّورِ الْوَاضِحِ وَالْحَقِّ النَّاطِقِ دَاعِيًا إِلَى الْخَيْرِ وَقَائِدًا إِلَى الْهُدَى ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا قَدْ كَتَبَ إِلَيْكُمْ كِتَابًا لَا يُقَالُ بَعْدَهُ إِلَّا رَجِيعٌ مِنَ الْقَوْلِ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ رَدِّ الْكَلَامِ إِنَّ النَّاسَ بَايَعُوا عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ عَنْ غَيْرِ مُحَابَاهٍ لَهُ بِنَيْعَتِهِمْ لِعِلْمِهِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سِيْنِ الْحَقِّ وَ إِنَّ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ نَقَضَا بِنَيْعَتِهِ عَلَى غَيْرِ مُحَابَاهٍ حَدَّثَتْ (١) وَ أَلْبَا عَلَيْهِ النَّاسُ ثُمَّ لَمْ يَرْضَ يَا حَتَّى نَصَبَا لَهُ الْحُزْبَ وَ أَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَلَقِيَهُمَا فَأَعْيَدَ فِي الدُّعَاءِ وَ أَحْسَنَ فِي الْبَقِيَّةِ وَ حَمَلَ النَّاسَ عَلَى مَا يَعْرِفُونَ فَهَذَا عِيَانُ مَا غَابَ عَنْكُمْ وَ إِنَّ سَأَلْتُمْ الزِّيَادَةَ زِدْنَاكُمْ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ أَنَا كِتَابٌ عَلَى فَلَمْ

ص: ٧٢

١-١) يريد بهم قريش البطاح؛ وهم الذين ينزلون بين أخشى مكة؛ والأخشبان جبلان بها.

فَصَلَّى إِلَهُ عَلَى أَحْمَدَ

قَالَ نَصْرُ فَسَرَ النَّاسُ بِخُطْبِهِ جَرِيرٍ وَشِعْرِهِ.

وَ قَالَ ابْنُ الْأَزْوَارِ الْقَسْرِيُّ فِي جَرِيرٍ يَمْدَحُهُ بِذَلِكَ لِعَمْرٍ أَيْبِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي

بيعه الأشعث لعلی

۵۳۲

۱- قَالَ نَصْرٌ (۱) وَ كَتَبَ عَلِيٌّ عَ إِلَى الْأَشْعَثِ وَ كَانَ عَامِلَ عُثْمَانَ عَلَى آذْرُبَيْجَانَ

ص: ۷۳

۱- ۱) لم يذكر هذا البيت في كتاب صفين، و ذكر موضعه: طحنهم طحنه بالقنا و ضرب سيوف تطير اللمم مضيئا يقينا على ديننا و دين النبي مجلي الظلم أمى الإله و برهانه خليفتنا القائم المدعم.

يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالطَّاعَةِ وَكَتَبَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ إِلَى الْأَشْعَثِ يَحْضُهُ عَلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَاقْبُولِ كِتَابِهِ أَمَا بَعْدُ
فَإِنِّي أَتَيْتَنِي بَيْعَهُ عَلِيٌّ فَقَبِلْتَهُمَا وَلَمْ أَجِدْ إِلَى دَفْعِهِمَا سَبِيلًا لِأَنِّي نَظَرْتُ فِيمَا غَابَ عَنِّي مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ فَلَمْ أَجِدْهُ يَلْزُمُنِي وَقَدْ شَهِدَ
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَكَانَ أَوْفَقَ أَمْرِهِمْ فِيهِ الْوُقُوفَ فَاقْبَلْ بَيْعَتَهُ فَإِنَّكَ لَا تَنْقَلِبُ إِلَيَّ خَيْرٌ مِنْهُ وَاعْلَمْ أَنَّ بَيْعَهُ عَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ مَصَارِعِ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالسَّلَامِ.

قَالَ نَصِيرٌ فَقَبِلَ الْأَشْعَثُ الْبَيْعَةَ وَسَمِعَ وَأَطَاعَ وَأَقْبَلَ جَرِيرٌ سَائِرًا مِنْ ثَعْرٍ هَمْدَانَ حَتَّى وَرَدَ عَلِيٌّ ع الْكُوفَةَ فَبَايَعَهُ وَدَخَلَ فِيهَا دَخَلَ
فِيهِ النَّاسُ مِنْ (١) طَاعَتِهِ وَلُزُومِ أَمْرِهِ

دعوه على معاوية إلى البيعة والطاعة و رد معاوية عليه

٥٣٣

١٤، ١- قَالَ نَصِيرٌ (٢) فَلَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ ع أَنْ يَبْعَثَ إِلَى مَعَاوِيَةَ رَسُولًا- قَالَ لَهُ جَرِيرٌ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ فَمَا نُهُ لَعَمْرُكَ لِي
مُسْتَخِصًّا (٣) وَوَدًّا (٤) آتِيَهُ (٥) فَادْعُوهُ عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ وَيُجَامِعَكَ عَلَى الْحَقِّ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا مِنْ أُمَّرَائِكَ وَ
عَامِلًا مِنْ عُمَّالِكَ مَا عَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَادْعُوا أَهْلَ الشَّامِ إِلَى طَاعَتِكَ وَوَلَايَتِكَ فَجَلُّهُمْ قَوْمِي وَأَهْلُ
بِلَادِي وَقَدْ رَجَوْتُ أَلَّا يَعْصُونِي.

فَقَالَ لَهُ الْأَشْجَرُ لَا تَبْعَثْهُ وَلَا تُصَدِّقْهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ هَوَاهُ هَوَاهُمْ وَبَيْعَتُهُ بَيْعَتُهُمْ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ع دَعُوهُ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْنَا فَبَعَثَهُ عَلِيٌّ ع وَقَالَ لَهُ ع حِينَ أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَهُ إِنَّ حَوْلِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص
مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالِدِّينِ مَنْ قَدْ رَأَيْتَ وَقَدْ اخْتَرْتُكَ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ فِيكَ

ص: ٧٤

١- ١) ب: «في».

٢- ٢) وقعه صفين للمنقرى ٣٢ وما بعدها.

٣- ٣) كذا في الأصول، وفي صفين. «مستنصحا».

٤- ٤) ودا، بضم الواو؛ أي ذا ود؛ على حذف المضاف.

٥- ٥) كتاب صفين. «نأتيه».

إِنَّكَ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ (١) أَتَتْ مُعَاوِيَةَ بِكِتَابِي فَإِنْ دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَإِلَّا فَانْبِذْ (٢) إِلَيْهِ وَاعْلَمْهُ أَنِّي لَا أَرْضَى بِهِ
أَمِيرًا وَ أَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَرْضَى بِهِ خَلِيفَةً.

فَانْطَلَقَ جَرِيرٌ حَتَّى أَتَى الشَّامَ وَ نَزَلَ بِمُعَاوِيَةَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ حَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَا بَعِيدٌ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ لِابْنِ
عَمَّكَ أَهْلُ الْحَرَمَيْنِ وَ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ وَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَ أَهْلُ الْيَمَنِ وَ أَهْلُ مِصْرَ وَ أَهْلُ الْعُرُوضِ وَ الْعُرُوضُ عُمَانُ وَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ
وَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَذِهِ الْحُصُونُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا لَوْ سَأَلَ عَلَيْهَا سَيْلٌ مِنْ أَوْدِيَّتِهِ غَرَقَهَا وَ قَدْ أَتَيْتَكَ أَدْعُوكَ إِلَى مَا يُرْشِدُكَ وَ
يَهْدِيكَ إِلَى مُبَايَعَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَ دَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ عَلِيٍّ عَ وَ فِيهِ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنْ بَيْعْتَنِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمْتَكَ وَ أَنْتَ بِالشَّامِ لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ
الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثْمَانَ عَلَى مَا بُيِعُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَ لَا لِلْعَائِبِ أَنْ يَرُدَّ وَ إِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ
وَ الْأَنْصَارِ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ فَسَمَوْهُ (٣) إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لَللَّهِ رِضًا فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطَعَنٍ أَوْ رَغْبَةٍ رَدَّوهُ إِلَى مَا
خَرَجَ مِنْهُ فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَ وِلَاةِ اللَّهِ مَا تَوَلَّى وَ يُضِلُّهُ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا وَ إِنَّ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ بَايَعَانِي
ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي فَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرْدَتَيْهِمَا فَجَاهَدْتُهُمَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمُ كَارَهُونَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ
الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعَافِيَةُ إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قَاتَلْتُكَ وَ اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ.

وَ قَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلِهِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلُكَ

ص: ٧٥

(١-١) أي من خير أهل اليمن.

(٢-٢) فانبذ إليه؛ في اللسان: «المنازلة» أن يكون بين فريقين مختلفين عهد و هدنة بعد القتال؛ ثم أرادوا نقض ذلك العهد، فينبذ كل
فريق منهما إلى صاحبه العهد الذي تهادنا عليه؛ و منه قوله تعالى: وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ .

(٣-٣) ب: (و سموه).

وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا فَخُذْهَا الصَّبِيَّ عَنِ اللَّبَنِ وَ لَعْمَرِي لِيْنِ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لِتَجِدَنِي أُبْرَأُ
قَرِيْشٍ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَ اعْلَمَنَّ أَنَّكَ مِنَ الطَّلَقَاءِ (١) الَّذِينَ لَا يَحِلُّ لَهُمُ الْخِلَافَةُ وَ لَا تَعْرِضُ فِيهِمُ الشُّورَى وَ قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ [وَ إِلَى
مَنْ قَبْلَكَ]

(٢) جَرِيْرَ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ وَ الْهَجْرَةِ فَبَايَعُ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَامَ جَرِيْرٌ فَخَطَبَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِالْعَوَائِدِ وَ الْمَأْمُولِ مِنْهُ الزَّوَائِدُ الْمُرْتَجَى مِنْهُ الثَّوَابُ الْمُسْتَعَانَ عَلَى
النَّوَابِ أَحْمَدُهُ وَ اسْتَعِينُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَحَيَّرَ دُونَهَا الْأَلْبَابُ وَ تَضَمَّحَلُّ عِنْدَهَا الْأَسْبَابُ [

(٣) وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ حِدَّةَ لَا شَرِيكَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ
رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ الْمَاضِيَةِ وَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَ [أَبْدَانَ الْبَالِيَةِ وَ الْجِبَلَةَ الطَّاعِيَةَ]

(٤) فَبَلَغَ الرَّسَالَهَ وَ نَصَحَ لِلْأُمَّهَ وَ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَ أَمَرَهُ بِأَدَائِهِ إِلَى أُمَّتِهِ ص مِنْ رَسُولٍ وَ مُبْتَعَثٍ وَ مُسْتَجَبٍ (٥) .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمْرَ عُثْمَانَ قَدْ أَعْيَا مِنْ شَهْدَةٍ فَكَيْفَ بِمَنْ غَابَ عَنْهُ وَ إِنَّ النَّاسَ بَايَعُوا عَلِيًّا غَيْرَ وَاتِرٍ وَ لَا مَوْتُورٍ وَ كَانَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ
مِمَّنْ بَايَعَاهُ ثُمَّ نَكَنَّا بِيَعْتَهُ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ أَلَا وَ إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَا يَحْتَمِلُ الْفِتْنََ [أَلَا وَ إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَحْتَمِلُ الْفِتْنََ]

(٦) وَ قَدْ كَانَتْ بِالْبَصْرَةِ أُمْسٍ رَوْعَهُ مُلْحِمَةٌ إِنْ يَشْفَعِ الْبَلَاءُ بِمِثْلِهَا فَلَا بَقَاءَ لِلنَّاسِ

ص: ٧٦

١- ١) الطَّلَقَاءُ: جمع طَلِق؛ وَ هُمُ الْأَسَارَى الَّذِينَ أُطْلِقَهُمُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةِ وَ لَمْ يَسْتَرْقَهُمْ.

٢- ٢) تَكْمَلُهُ مِنْ كِتَابِ صَفِيْن.

٢- ٣) تَكْمَلُهُ مِنْ كِتَابِ صَفِيْن.

٢- ٤) تَكْمَلُهُ مِنْ كِتَابِ صَفِيْن.

- ٥

٢- ٦) تَكْمَلُهُ مِنْ كِتَابِ صَفِيْن.

وَقَدْ بَايَعَتِ الْأُمَّةُ (١) عَلِيًّا وَ لَوْ مَلِكْنَا وَ اللَّهُ الْأُمُورَ (٢) لَمْ نَخْتَرْ لَهَا غَيْرَهُ [وَ مَنْ خَالَفَ هَذَا اسْتَعْتَبَ]

(٣) فَادْخُلْ يَا مُعَاوِيَةَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ.

فَإِنْ قُلْتَ اسْتَعْمَلَنِي عُثْمَانُ ثُمَّ لَمْ يَغْزِلْنِي فَإِنَّ هَذَا قَوْلٌ لَوْ جَازَ لَمْ يَقُمْ لِلَّهِ دِينَ وَ كَانَ لِكُلِّ امْرِيٍّ مَا فِي يَدَيْهِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْآخِرِ مِنَ الْأُولَى حَقًّا الْأَوَّلِ وَ جَعَلَ الْأُمُورَ مُوَطَّأَةً يَنْسُخُ بَعْضُهَا بَعْضًا ثُمَّ قَعَدَ.

قَالَ نَضِيرٌ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَنْظِرْ وَ تَنْظُرْ وَ أَسْدِ تَطْلُعَ رَأْيِ أَهْلِ الشَّامِ. فَمَضَتْ أَيَّامٌ وَ أَمَرَ مُعَاوِيَةَ مُنَادِيًا يُنَادِي الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَبَّ عِدَّ الْمُنْبَرِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدَّعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانًا وَ الشَّرَائِعَ لِلْإِيمَانِ بُرْهَانًا يَتَوَقَّدُ قَبْسُهُ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ جَعَلَهَا اللَّهُ مَحِلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ فَأَحْلَاهُمْ أَرْضَ الشَّامِ (٤) وَ رَضِيَ بِهِمْ لَهَا وَ رَضِيَ بِهَا لَهُمْ لِمَا سَبَقَ فِي مَكُونِ عِلْمِهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَ مَنَاصِبِ حَتِّهِمْ خُلَفَاءَهُ وَ الْقَوَامِ بِأَمْرِهِ وَ الدَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ وَ حُرْمَاتِهِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ لِهَيْدِهِ الْأُمَّةَ نِظَامًا وَ فِي سَبِيلِ الْخَيْرَاتِ أَعْلَامًا يَزِدُّعُ اللَّهُ بِهِمُ النَّاكِثِينَ وَ يَجْمَعُ بِهِمُ أُلْفَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَ اللَّهُ نَسِيْتَعِينُ عَلَى مَا تَشَعَّبَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْإِلْتِمَامِ وَ تَبَاعَدَ بَعْدَ الْقُرْبِ اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَقْوَامٍ يُوقِظُونَ نَائِمَنَا وَ يَخِيفُونَ آمِنَنَا وَ يُرِيدُونَ إِزَاقَهُ (٥) دِمَائِنَا وَ إِخَافَهُ سُبُلِنَا وَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّا لَا نُرِيدُ لَهُمْ عِقَابًا (٦) وَ لَا نَهْتِكُ لَهُمْ حِجَابًا وَ لَا نُؤْطِئُهُمْ زَلْقًا غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ الْحَمِيدَ كَسَانَا

ص: ٧٧

١-١ (١) صفين: «العامه».

٢-٢ (٢) صفين: «أمورنا».

٣-٣ (٣) من صفين.

٤-٤ (٤) صفين: «فأحلها أهل الشام».

٥-٥ (٥) صفين: «هراقه دمائنا»، و هما بمعنى.

٦-٦ (٦) صفين: «لم نرد بهم عقابا».

مِنَ الْكَرَامَةِ ثَوْبًا لَنْ نَنْزِعَهُ طَوْعًا مَا جَاوَبَ الصَّدَى وَ سَقَطَ النَّدى وَ عُرِفَ الْهُدَى حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْبَغْيِ وَ الْحَسِيدُ فَنَسَبَتِ عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَتَيْهَا النَّاسُ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي لَمْ أُقِمِ رَجُلًا مِنْكُمْ عَلَى خِزَانِيهِ (١) قَطُّ وَ أَنِّي وَلِيُّ عُثْمَانَ وَ قَدْ قُتِلَ مَظْلُومًا وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٢) وَ أَنَا أَحِبُّ أَنْ تُغْلِمُونِي ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ .

فَقَامَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَجْمَعِهِمْ فَأَجْرَابُوا إِلَى الطَّلَبِ بِحَدَمِ عُثْمَانَ وَ بِيَاعُوهُ عَلَى ذَلِكِ وَ أَوْثَقُوا لَهُ عَلَى أَنْ يَبْدُلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَمْوَالَهُمْ وَ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يُدْرِكُوا بِنَارِهِ أَوْ تَلْتَحِقَ أَرْوَاحُهُمْ بِاللَّهِ .

قَالَ نَصْرٌ فَلَمَّا أَمْسَى مُعَاوِيَةُ اغْتَمَّ بِمَا هُوَ فِيهِ وَ جَنَّهُ اللَّيْلُ وَ عِنْدَهُ أَهْلُ بَيْتِهِ فَقَالَ تَطَاوَلَ لَيْلِي وَ اعْتَرَّتْنِي وَسَاوِسِي .

قلت الجبهه هاهنا الخيل

٥٣٤

وَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ص لَيْسَ فِي الْجَبْهَةِ صَدَقَةٌ .

أى زكاه .

ص : ٧٨

١- ١) أقامهم على الخزايه؛ أى حملهم على أمر يستحيا منه .

٢- ٢) سورة الإسراء ٣٣ .

قَالَ نَصْرٌ فَاسْتَحْتَهُ (١) جَرِيرٌ بِالْبَيْعَةِ فَقَالَ يَا جَرِيرُ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِخَلْسَةٍ وَإِنَّهُ أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ فَأَبْلَغَنِي [رَيْقِي حَتَّى أَنْظُرَ]

(٢) وَ دَعَا نِفَاتَهُ (٣) فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَخُوهُ بَعْمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ وَقَدْ اعْتَرَلَ عُثْمَانَ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ لِأَمْرِكَ أَشَدُّ اعْتِرَالًا إِلَّا أَنْ يُثَمَّنَ لَهُ دِينُهُ.

و قد ذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه عمرا و ما شرط له من ولاية مصر و استقدامه شرحبيل بن السمط رئيس اليمنيه و شيخها و المقدم عليها و تدسيس الرجال إليه يغرونه بعلي ع و يشهدون عنده أنه قتل عثمان حتى ملثوا صدره و قلبه حقدا و تره و إحنه على علي ع و أصحابه بما لا حاجة إلى إعادته (٤).

قَالَ نَصْرٌ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ

(٥)

جَاءَ شُرْحَبِيلُ إِلَى حُصَيْنِ بْنِ بِنِ نُمَيْرٍ فَقَالَ ابْعَثْ إِلَيَّ جَرِيرًا فَلْيَأْتِنَا فَبَعَثَ حُصَيْنُ بْنُ بِنِ نُمَيْرٍ إِلَى جَرِيرٍ أَنْ زُرْنَا فَعِنْدَنَا شُرْحَبِيلُ فَاجْتَمَعَا عِنْدَ حُصَيْنٍ فَتَكَلَّمَ شُرْحَبِيلُ

ص: ٧٩

١- (١) وقعه صفين ٢٤٩.

٢- (٢) من كتاب وقعه صفين.

٣- (٣) وقعه صفين: «فقال له عتبه بن أبي سفيان-و كان نظيره:-اجتمعن على هذا الأمر بعمرو ابن العاص، و أئمن له بدينه؛ فإنه من قد عرفت، و قد اعتزل أمر عثمان في حياته؛ و هو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن يرى فرصه».

٤- (٤) الجزء الثاني في ص ٦١ و ما بعدها.

٥- (٥) صدر هذا الخبر كما ورد في كتاب وقعه صفين ٥٢: «لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه، و دخل على معاوية؛ فتكلم معاوية فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل، إن جرير بن عبد الله يدعوننا إلى بيعه على، و على خير الناس لو لا أنه قتل عثمان بن عفان، و قد حبست نفسي عليك؛ و إنما أنا رجل من أهل الشام، أرضى ما رضوا، و أكره ما كرهوا؛ فقال شرحبيل: أخرج فأنظر؛ فخرج فلقية هؤلاء النفر الموطئون له؛ فكلهم يخبره بأن عليا قتل عثمان بن عفان. فخرج مغضبا إلى معاوية فقال: يا معاوية؛ أبي الناس إلا- أن عليا قتل عثمان؛ و والله لئن بايعت لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم؛ و ما أنا إلا رجل أهل الشام. قال: فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذا قال، فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق؛ و أن الشام كله مع شرحبيل؛ فخرج شرحبيل فأتى حصين بن نمير...»؛ و قد نقله المؤلف مختصرا فيما سبق في الجزء الثاني ص ٥٢-٥٣.

فَقَالَ يَا جَرِيرُ أَتَيْتَنَا بِأَمْرِ مُلَفِّفٍ (١) لَتُلْقِينَا فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ وَ أَرَدْتَ أَنْ تَخْلُطَ الشَّامَ بِالْعِرَاقِ وَ أُطْرَيْتَ (٢) عَلَيَّا وَ هُوَ قَاتِلُ عُثْمَانَ وَ اللَّهُ سَائِلُكَ عَمَّا قُلْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ وَ قَالَ يَا شُرْحَبِيلُ أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي جِئْتُ بِأَمْرِ مُلَفِّفٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مُلَفِّفًا وَ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ قُوتِلَ عَلَى رَدِّهِ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ . وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي أَلْقَيْتُكَ فِي لَهَوَاتِ الْأَسَدِ فَفِي لَهَوَاتِهَا أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ .

وَ أَمَّا خَلُطَ أَهْلَ الشَّامِ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَخَلَطُهُمَا عَلَى حَقِّ خَيْرٍ مِنْ فُرْقَتِهِمَا عَلَى بَاطِلٍ .

وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ فَوَاللَّهِ مَا فِي يَدَيْكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْقَذْفُ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَ لَكِنَّكَ مَلْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَ شَيْءٌ كَذَانَ فِي نَفْسِكَ عَلَى زَمَنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . فَبَلَغَ مَا قَالَاهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَبَعَثَ إِلَى جَرِيرٍ فَرَجَرَهُ قَالَ نَصِيرٌ وَ كُتِبَ إِلَى شُرْحَبِيلٍ كِتَابٌ لَا يُعْرَفُ كَاتِبُهُ (٣) فِيهِ .

شُرْحَبِيلُ يَا ابْنَ السَّمْطِ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى

ص : ٨٠

١-١) أى جلب من هنا و هاهنا.

٢-٢) صفيين: «أطرات»، و هما بمعنى: «مدحت».

٣-٣) وقعه صفيين: «و كتب جزير إلى شرحبيل».

قَالَ نَصِيرٌ فَلَمَّا قَرَأَ سُرْحَبِيلُ الْكِتَابَ ذَعَرَ وَفَكَرَّ وَقَالَ هَيْدِهٖ نَصِيحَهٗ لِي فِي دِينِي وَلَا وَاللَّهِ لَا أَعْجَلُ فِي هَيْدَا الْأَمْرِ بِشَيْءٍ [وَفِي نَفْسِي مِنْهُ حَاجَةٌ]

(١) وَكَأَدَ يَحُولُ عَنْ نَصْرِ مُعَاوِيَةَ وَ يَتَوَقَّفُ (٢) فَلَفَّقَ (٣) لَهُ مُعَاوِيَةَ الرَّجَالَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَ يَخْرُجُونَ وَ يُعْظِمُونَ عِنْدَهُ قَتْلَ عُثْمَانَ وَ يَزْمُونَ بِهِ عَلِيًّا وَ يُقِيمُونَ الشَّهَادَةَ الْبَاطِلَةَ وَ الْكُتُبَ الْمُخْتَلِفَةَ حَتَّى أَعَادُوا رَأْيَهُ وَ شَحَدُوا (٤) عَزَمَهُ.

ص: ٨١

-
- ١-١) العَضِيهِه: الإِفْكَ وَ البِهْتَان. وَ فِي ب: «وَ قَالَ ابْنُ هِنْدٍ»، وَ الْوَجْهَ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ ج.
٢-٢) مَا لَا عَلَيْهِ، أَصْلُهُ: «مَالًا» بِالْهَمْزِ؛ وَ الْمَمَالَةُ: الْمَعَاوَنَةُ. وَ فِي صَفَيْنَ: «وَ لَا جَلْبَ عَلَيْهِ».
٣-٣) فِي صَفَيْنَ: *مِنَ الزُّورِ وَ الْبِهْتَانِ قَوْلَ الَّذِي احْتَمَلَ*
٤-٤) مِنْ كِتَابٍ وَقَعَهُ صَفَيْنَ.

١- قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا (١) عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِإِسْنَادِهِ قَالَ (٢) بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى شُرْحَيْلِ بْنِ السَّمُطِ أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ إِجَابَتِكَ إِلَى الْحَقِّ وَ مَيَّا وَقَعَ فِيهِ أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ وَ قَبْلَهُ عَنْكَ صَلَاحَاءُ النَّاسِ مَيَّا عَلِمْتَ وَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ لَا يَنْتُمُ إِلَّا بِرِضَا الْعَامَّةِ فَسَدْرٌ فِي مَدَائِنِ الشَّامِ وَ نَادٍ فِيهِمْ بِأَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ وَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَطْلُبُوا بِدَمِهِ.

فَسَدْرٌ شُرْحَيْلُ فَبَدَأَ بِأَهْلِ حِمَصٍ فَصَامَ فِيهِمْ حَطِيْبًا وَ كَانَ مَأْمُونًا فِي أَهْلِ الشَّامِ نَاسِيَةً كَمَا مُتَأَلِّهَا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ فَغَضِبَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَقِيَهُمْ فَهَزَمَ الْجَمْعَ وَ قَتَلَ صَلَاحَاءَهُمْ وَ غَلَبَ عَلَى الْأَرْضِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّامُ وَ هُوَ وَاضِعٌ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ حَايَضَ غَمَرَاتِ (٣) الْمَوْتِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَوْ يُخِيِدِثَ اللَّهُ أَمْرًا وَ لَا نَجِدُ أَحَدًا أَقْوَى عَلَى قِتَالِهِ مِنْ مُعَاوِيَةَ فَجِدُّوا وَ أَنْهَضُوا.

فَأَجَابَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا نَسَاكًا مِنْ أَهْلِ حِمَصٍ فَإِنَّهُمْ قَالُوا لَهُ بِيُوتِنَا قُبُورُنَا وَ مَسَاجِدُنَا وَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا تَرَى.

قَالَ وَ جَعَلَ شُرْحَيْلُ يَشْتَنَّهُمْ مَدَائِنِ الشَّامِ حَتَّى اسْتَفْرَعَهَا لَا يَأْتِي عَلَى قَوْمٍ إِلَّا قَبِلُوا

(٧)

- لِيَأْكُلَ دُنْيَا لَابِنِ هِنْدِ بَدِينِهِ أَلَا وَ ابْنِ هِنْدِ قَبْلَ ذَلِكَ آكَلَهُ وَ قَالُوا عَلَى فِي ابْنِ عِفَانِ خَدَعَهُ وَ دَبَّتْ إِلَيْهِ بِالشَّنَانِ غَوَائِلُهُ وَ لَا وَ الَّذِي أُرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ لَقَدْ كَفَّ عَنْهُ كَفَّهُ وَ وَسَائِلُهُ وَ مَا كَانَ إِلَّا مِنْ صَحَابِ مُحَمَّدٍ وَ كُلُّهُمْ تَغْلَى عَلَيْهِ مَرَاجِلُهُ فَلَمَّا بَلَغَ شُرْحَيْلُ هَذَا الْقَوْلَ قَالَ: هَذَا بَعِيثُ الشَّيْطَانِ؛ الْآنَ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبِي؛ وَ اللَّهُ لِأَسِيرِنِ صَاحِبِ هَذَا الشَّعْرِ أَوْ لِيْفُوتِنِنِي؛ فَهَرَبَ الْفَتَى إِلَى الْكُوفَةِ - وَ كَانَ أَصْلُهُ مِنْهَا - وَ كَادَ أَهْلَ الشَّامِ أَنْ يَرْتَابُوا.

ص: ٨٢

١- (١) صفين ٥٦، ٥٧.

٢- (٢) في صفين: «محمد بن عبيد الله و عمر بن سعد بإسناده، قال».

٣- (٣) صفين: «غمار الموت».

مَا أَتَاهُمْ بِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ بْنُ الْحَارِثِ (١) وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا.

شُرْحَيْلُ مَا لِلدِّينِ فَارَقَتْ دِينَنَا (٢)

٥٣٨

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا (٣) عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ نُمَيْرِ بْنِ وَعَلَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ شُرْحَيْلَ بْنَ السَّمِطِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ جَبَلَةَ [الْكِنْدِيُّ]

(٤) دَخَلَ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ عَامِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ ابْنُ عَمِّهِ وَ نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ فَإِنْ كُنْتَ رَجُلًا تُجَاهِدُ عَلَيًّا وَ قَتَلَهُ عُثْمَانَ حَتَّى نُدْرِكَ ثَارَنَا أَوْ تَذْهَبَ أَرْوَاحُنَا اسْتَعْمَلْنَاكَ عَلَيْنَا وَ إِلَّا عَزَلْنَاكَ وَ اسْتَعْمَلْنَا غَيْرَكَ مِمَّنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَاهِدْنَا مَعَهُ حَتَّى نُدْرِكَ بِدَمِ عُثْمَانَ أَوْ نَهْلِكَ.

فَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَ كَانَ حَاضِرًا مَهَلًا يَا شُرْحَيْلُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَقَّنَ الدِّمَاءَ وَ لَمْ الشَّعْثَ وَ جَمَعَ أَمْرَ الْأُمَّةِ وَ دَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُكُونٌ فَإِيَّاكَ أَنْ تُفْسِدَ بَيْنَ النَّاسِ

ص: ٨٣

١ - ١) في حواشي صفين: (و المعروف في شعرائهم النجاشي الحارثي؛ و اسمه قيس بن عمرو بن مالك: من بني الحارث بن كعب؛ و هو ممن حده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لشربه الخمر).

٢ - ٢) وقعه صفين: «أمرنا».

٣ - ٣) من كتاب وقعه صفين.

٤ - ٤) وقعه صفين: «تقتدونه».

وَأَمْسِكَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ قَبْلَ أَنْ يَشْتَبِعَ وَيُظْهَرَ عَنْكَ قَوْلٌ لَا تَسِيءُ بِطَبِيعِ رَدِّهِ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَسِيئُهُ أَبَدًا ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ بِهِ فَقَالَ النَّاسُ
صَدَقَ صِدْقَ الْقَوْلِ مَا قَالَ وَالرَّأْيُ مَا رَأَى فَأَيَسَ جَرِيرٌ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَ مِنْ عَوَامِّ أَهْلِ الشَّامِ

٥٣٩

١- قَالَ نَضْرُ (١) وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ كَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ أَتَى جَرِيرًا قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ لَهُ يَا جَرِيرُ
إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا قَالَ هَاتِهِ قَالَ أَكْتُبُ إِلَيْ صَاحِبِكَ يَجْعَلُ لِي الشَّامَ وَ مَضِيرَ جَبَايَهُ فَإِذَا حَضَرَ رَثَهُ الْوَفَاءُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ بَعِيدَهُ فِي
عُنُقِي بَيْعَهُ وَ أَسَلَّمُ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ وَ أَكْتُبُ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَقَالَ جَرِيرٌ أَكْتُبَ مَا أَرَدْتَ أَكْتُبُ مَعَكَ (٢).

فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ بِحَذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ فَكَتَبَ عَلِيٌّ ع إِلَى جَرِيرٍ أَمَّا بَعِيدٌ فَإِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَلَّا يَكُونَ لِي فِي عُنُقِهِ بَيْعُهُ وَ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ
مِمَّا أَحَبَّ وَ أَرَادَ أَنْ يُرِيثَكَ وَ يُبْطِئَكَ حَتَّى يَذُوقَ أَهْلَ الشَّامِ وَ أَنْ الْمَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلِيٍّ أَنْ أَسِيءُ تَعْمَلُ مُعَاوِيَةَ عَلَى
الشَّامِ وَ أَنَا حِينَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيْرَانِي أَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا فَإِنْ بَايَعَكَ الرَّجُلُ وَ إِلَّا فَأَقْبِلْ وَ السَّلَامُ .

قَالَ نَضْرُ وَ فَشَا (٣) كِتَابُ مُعَاوِيَةَ فِي الْعَرَبِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ مُعَاوِيَّ إِنَّ الشَّامَ شَامُكَ فَاعْتَصِمْ

ص: ٨٤

١-١) وقعه صفين ٥٨.

٢-٢) صفين: «اكتب بما أردت و أكتب معك».

٣-٣) صفين ٥٩، ١٠.

وَإِلَّا فَسَلِّمْ إِنَّ فِي السَّلْمِ رَاحَةً

قَالَ وَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَيْضاً يُوقِظُهُ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْحَرْبِ وَالْأَيُّ يَكْتُبُ جَوَابَ جَرِيرِ مُعَاوِيَةَ إِنَّ الْمُلْكَ قَدْ جَبَّ غَارِبُهُ

ص: ٨٥

وَ كُنْتُ أَمِيرًا قَبْلُ بِالشَّامِ فِيكُمْ

قَالَ نَصْرٌ وَ خَرَجَ (١) جَرِيرٌ يَوْمًا يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ فَإِذَا هُوَ بِغُلَامٍ يَتَعَنَّى عَلَى قَعُودٍ لَهُ هُوَ يَقُولُ حَكِيمٌ وَ عَمَارُ الشَّجَا وَ مُحَمَّدٌ

فَقَالَ جَرِيرٌ يَا ابْنَ أَحِي مَنْ أَنْتَ فَقَالَ غُلَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَ أَصِيلِي مِنْ ثَقِيفٍ أَنَا ابْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ قُتِلَ أَبِي مَعَ عُثْمَانَ
يَوْمَ الدَّارِ فَعَجِبَ جَرِيرٌ

ص: ٨٦

١-١) كذا في ج، و صفين و في ا، ب: «تجيبوا»؛ و الغوارب: أعالى الموج.

مِنْ شِعْرِهِ وَقَوْلِهِ وَ كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ عَلِيُّ وَ اللَّهُ مَا أَخْطَأَ الْغَلَامُ شَيْئاً

٥٤٠

١- قَالَ نَضْرُ (١) وَ فِي حَدِيثِ صَالِحِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ أَبْطَأَ جَرِيرٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ حَتَّى اتَّهَمَهُ النَّاسُ وَ قَالَ عَلِيُّ ع قَدْ وَقَّتْ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَأَ يُقِيمَ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً وَ أَبْطَأَ عَلِيٌّ عَلِيٌّ حَتَّى آيَسَ مِنْهُ .

٥٤١

١- قَالَ وَ فِي حَدِيثِ مُحَمَّدٍ وَ صَالِحِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ فَكَتَبَ عَلِيُّ ع إِلَى جَرِيرٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلِيَّ الْفَضْلِ ثُمَّ خَيْرُهُ وَ خُذْهُ بِالْجَوَابِ بَيْنَ حَزْبِ مُخْزَبِيهِ (٢) أَوْ سَلِّمْ مُحْظِيهِ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَاذْبُدْ إِلَيْهِ وَ إِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْهُ بَيْنَعْتِهِ وَ السَّلَامَ .

قَالَ فَلَمَّا انْتَهَى الْكِتَابُ إِلَى جَرِيرٍ أَتَى مُعَاوِيَةَ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَ قَالَ لَهُ يَا مُعَاوِيَةَ إِنَّهُ لَا يُطْبَعُ عَلِيٌّ قَلْبٌ إِلَّا بِذَنْبٍ وَ لَا يُشْرَحُ صَدْرٌ إِلَّا بِتَوْبَةٍ وَ لَا أَظُنُّ قَلْبَكَ إِلَّا مَطْبُوعاً عَلَيْهِ أَرَاكَ قَدْ وَقَفْتَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ كَأَنَّكَ تَنْتَظِرُ شَيْئاً فِي يَدِ غَيْرِكَ .

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَلْفَاكَ بِالْفَضْلِ (٣) فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا بَاعَ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الشَّامِ بَعْدَ أَنْ ذَاقَهُمْ قَالَ يَا جَرِيرُ الْحَقُّ بِصَاحِبِكَ وَ كَتَبَ إِلَيْهِ بِالْحَرْبِ وَ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ شِعْرَ كَعْبِ بْنِ جُعَيْلٍ أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا

ص: ٨٧

١- ١) وقعه صفين ٦١.

٢- ٢) صفين: «مجلبه».

٣- ٣) صفين: «بالفيصل».

١- وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ (١) إِنَّ عَلِيًّا عَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ جَرِيرًا إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَذْجُرُكَ مِنْ نُصْرَتِي شَيْئًا وَمَا أَطْمَعُ لَكَ فِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ إِنَّمَا قَصَدِي حُجَّةً أُفِيئُهَا [عَلَيْهِ]

(٢) فَلَمَّا أَتَى جَرِيرٌ مُعَاوِيَةَ دَافَعَهُ بِأَيْدِيهِ فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ إِنَّ الْمُنَافِقَ لَا يُصِلُّ حَتَّى لَا يَجِدَ مِنَ الصَّلَاةِ بَدَأً فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِخُدَعَةِ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فَأَبْلَغْنِي رِيقِي (٣) إِنَّهُ أَمَرَ لَهُ مَا بَعْدَهُ.

قَالَ وَ كَتَبَ مَعَ جَرِيرٍ إِلَى عَلِيٍّ عَ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ إِلَيْهِ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَيْخُرٍ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمَا بَعِيدُ فَلَعَمْرِي لَوْ بَايَعَكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَبَايَعُونَكَ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ دَمِ عُمَيَّانَ كُنْتُ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَ لَكِنَّكَ أَعْرَيْتَ بَعَثْتَ الْمُهَاجِرِينَ وَ خَذَلْتَ عَنْهُ الْأَنْصَارَ فَأَطَاعَكَ الْجَاهِلُ وَ قَوَى بِكَ الضَّعِيفُ وَ قَدَّ أَبَى أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا قَتَالَكَ حَتَّى تَدْفَعَ إِلَيْهِمْ قَتْلَ عُمَانَ فَإِنْ فَعَلْتَ كَانَتْ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَعَمْرِي (٤) لَيْسَ حُجَّتُكَ عَلَيَّ كَحُجَّتِكَ عَلَيَّ طَلْحَةَ (٥) وَ الرَّبِيبُ لِأَنَّهَا بَايَعَاكَ وَ لَمْ أَبَايَعِكَ وَ مَا حُجَّتُكَ عَلَيَّ أَهْلُ الشَّامِ كَحُجَّتِكَ عَلَيَّ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ أَطَاعُوكَ وَ لَمْ يُطِيعَكَ أَهْلُ الشَّامِ فَأَمَّا شَرَفُكَ فِي الْإِسْلَامِ وَ قَرَابَتُكَ مِنَ النَّبِيِّ صَ وَ مَوْضِعُكَ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَسْتُ أَدْفَعُهُ.

ص: ٨٨

١- (١) الكامل ٣:٢٠٩ و ما بعدها- بشرح المرصفي؛ مع تصرف في الخبر.

٢- (٢) من كتاب الكامل.

٣- (٣) أى أنظرني بمقدار ما أبلغ ريقى.

٤- (٤-٤) الكاملى: «ما حججتك على كحججتك على طلحه...».

٥- (٤-٤) الكاملى: «ما حججتك على كحججتك على طلحه...».

ثُمَّ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ شِعْرَ كَعْبِ بْنِ جُعَيْلٍ الَّذِي أَوْلَهُ أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارَهُونَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٢) فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرِ بْنِ حِزْبٍ (٣) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ أَتَانِي مِنْكَ كِتَابٌ امْرِيٌّ لَيْسَ لَهُ بَصِيرٌ يَهْدِيهِ وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ دَعَاهُ الْهَوَى فَاجَابَهُ وَ قَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ زَعَمْتَ أَنَّكَ إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَيْكَ بَيْعَتِي خَطِيئَتِي فِي عُثْمَانَ وَ لَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ أُورِدْتُ كَمَا أُورِدُوا وَ أُصْدِرْتُ كَمَا أُصْدِرُوا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُجْمِعَهُمْ عَلَى الضَّلَالِ وَ لَا لِيُضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى وَ بَعْدُ فَمَا أَنْتَ وَ عُثْمَانُ إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَ بَنُو عُثْمَانَ أَوْلَى بِمُطَالَبِهِ دَمِهِ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَيَّ ذَلِكَ فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ثُمَّ حَاكِمَ الْقَوْمَ إِلَيَّ وَ أَمَّا تَمْيِيزُكَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَعَمْرِي مَا الْأَمْرُ فِيهَا هُنَاكَ إِلَّا سَوَاءٌ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ شَامِلَةٌ لَا يُسْتَشْنَى فِيهَا الْخِيَارُ وَ لَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا النَّظَرُ وَ أَمَّا شَرَفِي فِي الْإِسْلَامِ وَ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مَوْضِعِي مِنْ قُرَيْشٍ فَلَعَمْرِي لَوْ اسْتَطَعْتَ دَفَعَهُ لَدَفَعْتُهُ.

قَالَ ثُمَّ دَعَا النَّجَاشِيَّ أَحْمَدَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ ابْنَ جُعَيْلٍ شَاعِرُ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَنْتَ شَاعِرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْمِعْنِي قَوْلَهُ قَالَ إِذْ أَسْمِعُكَ شِعْرَ شَاعِرٍ ثُمَّ أَسْمَعُهُ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ يُجِيبُهُ

ص: ٨٩

١- ١) في الكامل ٣: ٢٢٤- بشرح المرصفي؛ و ذكره المنقري في كتاب صفين ٦٤، ٦٥.

٢- ٢- ٢) في الكامل: فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر.

٣- ٢- ٢) في الكامل: فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر.

قلت أبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات و أحبث مقصدا و أدهى و أحسن.

٥٤٣

١- وَ زَادَ نَضْرُ بْنُ مُزَاحِمٍ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ وَ لَا لِيُضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى وَ مَا أَلْبَتُ (١) فَتَلَزُمْنِي خَطِيئَةُ الْأَمْرِ وَ لَا قَتَلْتُ فَيَجِبُ عَلَيَّ
الْقِصَاصُ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ

ص: ٩٠

(١-١) لم يذكر المبرد في الكامل سوى البيتين الأولين، وقال: «و بعد هذا ما نمسك عنه».

أَهْلِيلَ الشَّامِ هُمُ الْحُكَّامُ عَلَى أَهْلِيلِ الْحِجَازِ فَهَيَاتِ رَجُلًا- مِنْ أَهْلِيلِ الشَّامِ يُقْبَلُ فِي الشُّورَى أَوْ تَحِلُّ لَهُ الْخِلَافَةُ فَإِنْ زَعَمْتَ ذَلِكَ
كَذَّبَكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَإِلَّا أَتَيْتَكَ بِهِ مِنْ قُرَيْشِ الْحِجَازِ وَ أَمَا وُلُوعُكَ بِي فِي أَمْرِ عُثْمَانَ فَمَا قُلْتَ ذَلِكَ عَنْ حَقِّ الْعِيَانِ وَ
لَا يَقِينِ الْخَبْرِ (١)

و هذه الزيادة التي ذكرها نصر بن مزاحم تقتضى أنه كان فى كتاب معاويه إليه ع أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز و
ما وجدنا هذا الكلام فى كتابه

أخبار متفرقة

٥٤٤

١- وَ رَوَى نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ قَالَ لَمَّا (٢) قُتِلَ عُثْمَانُ ضَرَبَتِ الرُّكْبَانُ إِلَى الشَّامِ بِقَتْلِهِ فَبَيْنَا مُعَاوِيَةُ يَوْمًا إِذَا أَقْبَلَ رَجُلٌ مُتَلَفِّفٌ فَكَشَفَ
عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ لِمُعَاوِيَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أ تَعْرِفُنِي قَالَ نَعَمْ أَنْتَ الْحَجَّاجُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ الصَّمَّةِ فَأَيْنَ تُرِيدُ قَالَ إِلَيْكَ الْقُرْبَانَ نَعَى
ابْنَ عَفَّانَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ بَيْنِي عَمَّكَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ

قَالَ يَغْنَى عَلِيًّا ع قُلْتُ الْمُتَلَبُّبُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُطْرَدُ يُقَالُ هَذَا قِيَاسٌ مُتَلَبُّبٌ أَيْ مُسْتَمِرٌّ مُطْرَدٌ

ص: ٩١

(١-١) الخبر: العلم.

(٢-٢) وقعه صفين ٨٦، ٨٧.

وَيُقَالُ مَكَانٌ شَأْسٌ أَيْ غَلِيظٌ صَلْبٌ وَ الشَّعْبُ الهَاجِعُ للشَّرِّ وَ مَنْ رَوَاهُ لِلشَّاسِيِ بِالْيَاءِ فَاصِلُهُ الشَّاصِيِ بِالصَّادِ وَ هُوَ الْمُتَرَفِّعُ يُقَالُ شَصَا السَّحَابُ إِذَا ارْتَفَعَ فَأُبْدِلَ الصَّادُ سِينًا وَ مُرَادُهُ هُنَا نِسْبُهُ عَلِيٍّ عِ إِلَى التِّيهِ وَ التَّرَفُّعِ عَنِ النَّاسِ .

قَالَ نَضِيرٌ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ أَيْفِكَ مَهْرٌ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَخْبِرِ النَّاسَ فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَمْ يُخَاطَبِ مُعَاوِيَةُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهَا إِنِّي كُنْتُ فِيْمَنْ حَرَجَ مَعَ يَزِيدِ بْنِ أَسِيدِ الْقَسِيرِيِّ مُعِينًا لِعُثْمَانَ فَتَقَدَّمْتُ أَنَا وَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ فَلَقِينَا رَجُلًا زَعَمَ أَنَّهُ مِمَّنْ قَتَلَ عُثْمَانَ فَتَقَاتَنَاهُ وَ إِنِّي أُخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ لَتَقْوَى عَلَى عَلِيٍّ بِدُونِ مَا يَقْوَى بِهِ عَلَيْكَ لِأَنَّ مَعَكَ قَوْمًا لَا يَقُولُونَ إِذَا قُلْتَ وَ لَا يَسْأَلُونَ إِذَا أَمَرْتَ وَ إِنَّ مَعَ عَلِيٍّ قَوْمًا يَقُولُونَ إِذَا قَالُوا وَ يَسْأَلُونَ إِذَا أَمَرَ فَبَقِيْلُ مِمَّنْ مَعَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ مَعَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَرْضَى عَلِيًّا إِلَّا بِالرِّضَا وَ إِنَّ رِضَاهُ سَيَخْطُكَ وَ لَسْتَ وَ عَلِيٌّ سِوَاءَ عَلِيٍّ لَا يَرْضَى بِالْعِرَاقِ دُونَ الشَّامِ وَ أَنْتَ تَرْضَى بِالشَّامِ دُونَ الْعِرَاقِ .

قَالَ نَضِيرٌ فَصَاقَ مُعَاوِيَةَ صَدْرًا بِمَا أَنَاهُ وَ نَدِمَ عَلَى خِذْلَانِ عُثْمَانَ (١) وَ قَالَ أَنَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ عُمَّةٌ

ص: ٩٢

(١-١) وقعه صفين ٨٨، وفيه: «وقال معاوية حين أتاه قتل عثمان».

قَالَ نَصْرٌ وَافْتَخَرَ الْحَجَّاجُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِمَا كَانَ مِنْ تَسْلِيمِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِإِمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ

١٤,١- قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا (١) صَالِحُ بْنُ صِدْقَةَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ خَالِدِ الْخَزَاعِيِّ وَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُتَّهَمُ أَنَّ عُثْمَانَ لَمَّا قُتِلَ وَ أُتِيَ مُعَاوِيَةَ بِكِتَابٍ عَلِيٌّ عِ بَعَزَلَهُ عَنِ الشَّامِ صَبَّحَ الْمُبَرَّ وَ نَادَى فِي النَّاسِ أَنْ يَخْضُرُوا فَحَضَرُوا فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّي خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ خَلِيفَةُ عُثْمَانَ وَ قَدْ قُتِلَ وَ أَنَا ابْنُ عَمِّهِ وَ وَلِيِّهِ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا (٢) وَ أَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعْلِمُونِي مَا فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ قَتْلِ خَلِيفَتِكُمْ.

١-١) وقعه صفيين: «سأبغى»، وسأبغى. أى سأطلب ثأره؛ وأبو عمرو كنيه عثمان.

٢-٢) تشجر الخيل: تطعن.

فَقَامَ مَرَّةً بِنُ كَعْبٍ (١) وَفِي الْمَسْجِدِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُمِائَةٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ص أَوْ نَحْوَهَا فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ قُمْتُ مَقَامِي هَذَا وَ
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ فِيكُمْ مَنْ هُوَ أَقْدَمُ صُحْبَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ص مِنِّي وَ لَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص نِصْفَ النَّهَارِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ وَ هُوَ
يَقُولُ لَتَكُونَنَّ فِتْنَةٌ حَاضِرَةٌ فَمَرَّ رَجُلٌ مُقْتَعٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَ هَذَا [الْمُقْتَعُ]

(٢) يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى فَتَمَّتْ فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبِهِ وَ حَسِرْتُ عَنْ رَأْسِهِ فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قُلْتُ هَذَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ نَعَمْ فَأَصْفَقَ أَهْلَ الشَّامِ مَعَ مُعَاوِيَةَ حِينَئِذٍ وَ بَايَعُوهُ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ أَمِيرًا لَا يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ ثُمَّ الْأَمْرُ سُورَى

٥٤٦

وَ رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دَيْرِزِيلٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهُدَلِيِّ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَسْتَبْطِئُهُ فِي الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ وَ يُحَرِّضُهُ وَ يَنْهَاهُ عَنْ قَطْعِ الْوَقْتِ بِالْمُكَاتَبَةِ إِلَّا أَبْلَغَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ

ص: ٩٤

١-١) وقعه صِفِّينَ: «كعب بن مره السلمى».

٢-٢) من صِفِّينَ.

قَالَ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ الْجَوَابَ بَيِّنًا مِنْ شِعْرِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ وَ مُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أُنَاتِنَا وَ لَوْ رَبَّنْتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتْرَمِرِم (١).

٥٤٧

١- وَ رَوَى ابْنُ دَيْرِبِيلَ قَالَ لَمَّا عَزَمَ عَلِيٌّ عَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ دَعَا رَجُلًا فَمَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّجَهَرَ وَ يَسِيرَ إِلَى دِمَشْقَ فَإِذَا دَخَلَ أَنَاخَ رَاحِلَتُهُ بِنَابِ الْمَسِيدِ جِدَ وَ لَا يُلْقَى مِنْ ثِيَابِ سَفَرِهِ شَيْئًا فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ آثَارَ الْعُزْبَةِ سَأَلُوهُ فَلْيَقُلْ لَهُمْ تَرَكْتُ عَلَيْهَا قَدْ نَهَدَ (٢) إِلَيْكُمْ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَنْظُرُوا مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِمْ فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَ سَأَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ فَكَثُرُوا عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ فَأَرْسَلَ

ص: ٩٥

١- ١) الحلم، بالتحريك: أن يفسد الجلد في العمل و يقع فيه دود فيثقب؛ تقول منه حلم، بالكسر، و الحلمه: دوده تقع في الجلد فتأكله؛ فإذا دبغ و هي موضع الأكل، فبقي رقيقاً؛ تقول منه: حلم الأديم؛ و معنى البيت: أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمه فنقبتة و أفسدته فلا ينتفع به. كذا فسره صاحب اللسان و استشهد بالبيت.

٢- ٢) في اللسان بعد هذا البيت: فقومك بالمدينة قد تردوا فهم صرعى كأنهم الهشيم فلو كنت المصاب و كان حياً تجرد لا ألف و لا سئوم يهنيك الإمارة كل ركب من الآفاق سيرهم الرسيم و زاد الطبري بعد البيت الثاني من زيادات اللسان: و لا نكل عن الأوتار حتى يبى بها و لا برم جثوم و ذكر الضبي في الفاخر ٣٠ بعض هذه الأبيات و نسبها إلى مروان بن الحكم.

إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ بِالْمَأْعُورِ السُّلَمِيِّ يَسْأَلُهُ فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ فَاتَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَهُ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ وَ قَالَ لَهُمْ إِنَّ عَلِيًّا قَدْ نَهَدَ إِلَيْكُمْ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ فَمَا تَرَوْنَ فَضَرَبَ النَّاسُ بِأَذْقَانِهِمْ عَلَى صُدُورِهِمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ فَقَامَ ذُو الْكَلَاعِ الْحَمِيرِيُّ فَقَالَ عَلَيْكَ أُمَّ رَأَى وَ عَلَيْنَا أُمَّ فِعَالٌ وَ هِيَ لُغَةُ حَمِيرٍ (١).

فَنَزَلَ وَ نَادَى فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ إِلَى مُعَسِي كَرِهِمْ وَ عَادَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَأَخْبَرَهُ فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَهُ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولٌ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ وَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ نَهَدَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَهْلِ الشَّامِ فَمَا الرَّأى.

قَالَ فَاضْطَرَبَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ هَذَا يَقُولُ الرَّأى كَذَا وَ هَذَا يَقُولُ الرَّأى كَذَا وَ كَثُرَ اللَّغَطُ وَ اللَّجْبُ فَلَمْ يَفْهَمِ عَلِيٌّ ع مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْئًا وَ لَمْ يَدْرِ الْمُصِيبَ مِنَ الْمُخْطِئِ فَنَزَلَ عَنِ الْمِئْبَرِ وَ هُوَ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذَهَبَ بِهَا ابْنُ آكَلِهِ الْأَكْبَادِ (٢) يَعْنِي مُعَاوِيَةَ

٥٤٨

١- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْبٍ عَنِ عُقْبَةَ بْنِ مُكْرَمٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ كَانَ أَبُو مَرْيَمَ صَدِيقًا لِعَلِيِّ ع فَسَمِعَ بِمَا كَانَ فِيهِ عَلِيٌّ ع مِنْ اخْتِلَافِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ فَجَاءَهُ فَلَمْ يَزَعْ عَلِيًّا ع إِلَّا وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْيَمَ مَا جَاءَ بِكَ نَحْوِي قَالَ مَا جَاءَ بِي غَيْرُكَ عَهْدِي بِكَ لَوْ وُلِّيتُ أَمْرَ الْأُمَّةِ كَفَيْتَهُمْ ثُمَّ سَمِعْتُ بِمَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فَقَالَ يَا أَبَا مَرْيَمَ إِنِّي مُنِيتُ بِشِرَارِ خَلْقِ اللَّهِ أُرِيدُهُمْ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ الرَّأى فَلَا يَتَّبِعُونَنِي

ص: ٩٦

١- (١) وهى لغة ثقلت عن طيء أيضا؛ وعليها ورد الحديث: «ليس من امير امصيام فى امسفر». مغنى اللبيب لابن هشام ١:٤٨.

٢- (٢) آكله الأكباد؛ هى هند بنت عتبة بن ربيعة، زوج أبى سفيان و أم معاوية.

١٤,١- وَ رَوَى ابْنُ دَرَيْزِيلَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ عَنْ عَلَاءِ بْنِ جَرِيرٍ الْعَنْبَرِيِّ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُمَيْرِ الثَّمَالِيِّ وَ كَانَتْ أُمُّهُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ كَيْفَ بِكُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِذَا وُلِّيتَ قَالَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا قَالَ فَكَيْفَ بِكُمْ يَا عُمَرُ إِذَا وُلِّيتَ (١) فَقَالَ آكُلُ حَجْرًا (٢) لَقَدْ لَقِيتُ إِذْنًا شَرًّا قَالَ فَكَيْفَ بِكُمْ يَا عُثْمَانُ إِذَا وُلِّيتَ قَالَ آكُلُ وَأُطْعِمُ وَأُقَسِّمُ وَلَا أَظْلِمُ قَالَ فَكَيْفَ بِكُمْ يَا عَلِيُّ إِذَا وُلِّيتَ قَالَ آكُلُ الْقُوتَ وَ أَحْمِي الْجَمْرَةَ وَ أُقَسِّمُ التَّمْرَةَ وَ أُخْفِي الصُّورَ قَالَ أَيُّ الْعَوْرَةِ فَصَالَ صَ أَمَّا إِنْكُمْ كُلُّكُمْ سَيَلِي وَ سَيَرِي اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاوِيَةُ كَيْفَ بِكُمْ إِذَا وُلِّيتَ قَالَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنْتَ رَأْسُ الْحُطَمِ وَ مِفْتَاحُ الظُّلْمِ حَصِيْبًا وَ حَقْبًا تَتَّخِذُ الْحَسَنَ قَبِيحًا وَ السَّيِّئَةَ حَسَنَةً يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ أَجْلَكَ يَسِيرٌ وَ ظَلْمَكَ عَظِيمٌ

وَ رَوَى ابْنُ دَرَيْزِيلَ أَيْضًا عَنْ عُمَرَ بْنِ عَوْنٍ عَنْ هُشَيْمٍ عَنْ أَبِي فَلَجٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَقِيتُكُمْ فَتَنَّهُ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ تَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ وَ يَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ قِيلَ هَذَا مُنْكَرٌ.

وَ رَوَى ابْنُ دَرَيْزِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ الْبَجَلِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّمَا نَذَهَبَنَّ بِكُمْ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٣) قَالَ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَ أَنْ يُرِيَهُ فِي أُمَّتِهِ مَا يَكْرَهُ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَ بَقِيَتِ النَّقْمَةُ.

١- ١- ١) في ا،ج: «فقال حجرا»، و في حاشيه ج: «يحتمل أن يكون بسكون الجيم، بمعنى المنع».

٢- ١- ١) في ا،ج: «فقال حجرا»، و في حاشيه ج: «يحتمل أن يكون بسكون الجيم، بمعنى المنع».

قَالَ ابْنُ دَيْرِيلَ وَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو (١) ابْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَسْبَاطُ عَنْ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي ثَلَاثَ خِلَالَ فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَ مَعْنَى وَاحِدَةً سَأَلْتُهُ أَلَّا تُكْفَرَ أُمَّتِي صِفَقَهُ وَاحِدَةً فَأَعْطَانِيهَا وَ سَأَلْتُهُ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَّمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا وَ سَأَلْتُهُ أَلَّا يُجْعَلَ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا.

١٤- قَالَ ابْنُ دَيْرِيلَ وَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَرَائِسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ زُرَيْقٍ عَنْ عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آمَنَّا أَنْ يَظْلِمَنَا وَ لَمْ يُؤْمِنَّا أَنْ يَفْتِنَنَا أَوْ رَأَيْتَ إِذَا أُنزِلَتْ فَتَنُهُ كَيْفَ أَصْبَحَ فَقَالَ عَلَيْكَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ أَوْ فَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ قَوْمٌ كُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الْحَقِّ يَعْنِي عَمَّارًا.

١٤- وَ رَوَى ابْنُ دَيْرِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا (٢) قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ طَارِقٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَلَّا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَسَاءَلْتُمْ عَلَيْهِ لَمْ تَهْلِكُوا إِنْ وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَ إِنْ إِمَامُكُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَصَاحُوهُ وَ صَدَّقُوهُ فَإِنَّ جَبْرِيْلَ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ .

فإن قلت هذا نص صريح في الإمامه فما الذي تصنع المعتزله بذلك.

قلت يجوز أن يريد أنه إمامهم في الفتاوى و الأحكام الشرعية لا في الخلافة.

و أيضا فإننا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصله إن الإمامه كانت لعلی

١- ١) ب: «عمر».

٢- ٢) ب: «زكريا بن يحيى».

ع إن رغب فيها و نازع عليها و إن أقرها في غيره و سكت عنها تولينا ذلك الغير و قلنا بصحة خلافته و أمير المؤمنين ع لم ينازع الأئمة الثلاثة و لا جرد السيف و لا استنجد بالناس عليهم فدل ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه فلذلك توليناهم و قلنا فيهم بالطهاره و الخير و الصلاح و لو حاربهم و جرد السيف عليهم و استصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعامله من التفسيق و التضليل.

٥٥٥

قَالَ ابْنُ دُرَيْبٍ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بْنُ شَيْبَانَ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا طُعِنَ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ تَنَاصَحُوا فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا غَلَبَكُمْ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ .

قلت إن محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد الإماميه قال في بعض كتبه إنّما أراد عمر بهذا القول إغراء معاويه و عمرو بن العاص بطلب الخلافه و إطماعهما فيها لأن معاويه كان عامله و أميره على الشام و عمرو بن العاص عامله و أميره على مصر و خاف أن يضعف عثمان عنها و أن تصير إلى علي ع فألقى هذه الكلمه إلى الناس لتنتقل إليهما و هما بمصر و الشام فيتغلبا على هذين الإقليمين إن أفضت إلى علي ع .

و هذا عندي من باب الاستنباطات التي يوجبها الشنآن و الحق و عمر كان أتقى الله من أن يخطر له هذا و لكنه من فراسته الصادقه التي كان يعلم بها كثيرا من الأمور المستقبليه كما قال عبد الله بن عباس في وصفه و الله ما كان أوس بن حجر عنى أحدا سواه بقوله الألعى الذي يظن بك الظنّ كان قد رأى و قد سمعا ديوانه (١)

ص: ٩٩

١-١ (١) ١٣.

١٤- وَ رَوَى ابْنُ دَرَيْزِيلَ عَنِ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ مَرَّةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا فَمَرَّ رَجُلٌ قَدْ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ فَقَالَ ع هَذَا وَ أَصِيحَابُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْحَقِّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبِهِ فَقُلْتُ هُوَ هَذَا فَقَالَ نَعَمْ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

قلت هذا الحديث قد رواه كثير من محققى أصحاب الحديث و رواه محمد بن إسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير بعده روايات و ليس لقائل أن يقول فهذا الحديث إذا صحتموه كان حجه للسفيانية لأننا نقول الخبر يتضمن أن عثمان و أصحابه على الحق و هذا مذهبنا لأننا نذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما و أنه و ناصريه يوم الدار على الحق و أن القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحق فأما معاوية و أهل الشام الذين حاربوا عليا بصفين فليسوا بداخلين فى الخبر و لا فى ألفاظ الخبر لفظ عموم يتعلق به ألا ترى أنه ليس فيه كل من أظهر الانتصار لعثمان فى حياته و بعد وفاته فهو على الحق و إنما خلاصته أنه ستقوم فتنه يكون عثمان فيها و أصحابه على الحق و نحن لا نأبى ذلك بل هو مذهبنا.

١- وَ رَوَى نَصِيرُ بْنُ مُزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ (١) لَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ أَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْيَا لَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِالشَّامِ بِقُدُومِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَ قَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أَقِيمَهُ خَطِيْبًا يَشْهَدُ عَلَى عَلِيٍّ بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَ يَنَالُ مِنْهُ فَقَالَ الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ لَكَ

اسم أبيك فانظر بملء عينيك و انطق بملء فيك فاننت المأمون المصدق فاصعد المنبر و اشتتم علياً و اشهد عليه أنه قتل عثمان
فقال أيها الأمير أما شتمه فإن أباه أبو طالب و أمه فاطمه بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول في حسبه و أما بأسه فهو الشجاع
المطرق و أما أيامه فما قد عرفت و لكني ملزمه دم عثمان فقال عمرو بن العاص قد و أبيك إذن نكأت القرحه.

فلما خرج عبيد الله بن عمر قال معاوية أما و الله لو لا قتله الهزمزان و مخافته علياً على نفسه ما أتانا أبداً ألا ترى إلى تفریطه علياً
فقال عمرو يا معاوية إن لم تغلب فاخلب قال و خرج حديثهما إلى عبيد الله فلما قام خطيباً تكلم بحاجته فلما انتهى إلى أمر علي
أمسك و لم يقل شيئاً فلما نزل بعث إليه معاوية يا ابن أخي إنك بين عي و خيانه فبعث إليه إني كرهت أن أقطع الشهادة على
رجل لم يقتل عثمان و عرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها.

قال فهجره معاوية و استخف به و فسقه فقال عبيد الله معاوية لم أحرص بخطبه خاطب

قَالَ فَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ شِعْرُهُ بَعَثَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ وَقَالَ حَسْبِيَ هَذَا مِنْكَ

٥٥٨

١- وَرَوَى نَضِيرٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى قَالَ سَمِعْتُ سَيْفِيَانَ بْنَ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفَ بِسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ مَا أَشْكُ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بَايَعَا عَلِيًّا وَ مَا نَقِمَا عَلَيْهِ جَوْرًا فِي حُكْمٍ وَلَا اسْتِثْنَاءً بَقِيَّةٍ وَ مَا قَاتَلَ عَلِيًّا أَحَدًا إِلَّا وَ عَلِيٌّ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ .

٥٥٩

٦- وَرَوَى نَضِيرٌ بْنُ مُزَاحِمٍ أَنَّ عَلِيًّا عَ قَدِمَ مِنَ الْبَصِيرَةِ فِي غُرَّةِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ إِلَى الْكُوفَةِ وَ أَقَامَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا تَجْرِي الْكُتُبُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ حَتَّى سَارَ إِلَى الشَّامِ .

قَالَ نَضْرٌ (١) وَ قَدْ رَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْكُنُودِ وَ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ الْكُوفَةَ بَعْدَ وَقْعِهِ الْجَمَلِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ .

قَالَ نَضِيرٌ فَدَخَلَ الْكُوفَةَ وَ مَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَ غَيْرِهِمْ فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَ فِيهِمْ قُرَآؤُهُمْ وَ أَشْرَافُهُمْ فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ وَ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَ تَنْزِلُ أ تَنْزِلُ الْقَصْرَ قَالَ لَا وَ لَكِنِّي أَنْزِلُ الرَّحْبَةَ فَنَزَلَهَا وَ أَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ صَعِدَ الْمِئْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ

ص: ١٠٢

(١-١) بعده في كتاب صفين: حرام على أهاله نتف شعره فكيف وقد جازوه ضربه لازب.

أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَضْلًا مَا لَمْ تُبَدِّلُوا وَتُغَيِّرُوا دَعْوَتَكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَأَجَبْتُمْ وَبَدَأْتُمْ بِالْمُنْكَرِ فَعَيَّرْتُمْ أَلَا إِنَّ فَضْلَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ فَأَمَّا فِي الْأَحْكَامِ وَالْقِسْمِ فَأَنْتُمْ أَسْوَأُ عَيْرِكُمْ مِمَّنْ أَجَابَكُمْ وَدَخَلَ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ أَلَا إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَطُولَ الْأَمَلِ أَمَّا اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ فَيُضَيِّدُ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولَ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَخْرَةَ أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُيَدْبِرَةً وَإِنَّ الْأَخْرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً وَلكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَخْرَةِ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَلَا حِسَابٌ وَلَا عَمَلُ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ وَلِيِّهِ وَخَذَلَ عَدُوَّهُ وَأَعَزَّ الصَّادِقَ الْمُحِقَّ وَأَذَلَّ النَّاكِثَ الْمُبْطِلَ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعِهِ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِطَاعَتِكُمْ فِيمَا أَطَاعُوا اللَّهَ فِيهِ مِنَ الْمُسْتَحْلِينَ الْمِدْعِينَ الْمُقَابِلِينَ (١) إِلَيْنَا يَتَفَضَّلُونَ بِفَضْلِنَا وَ يُجَادِدُونَنا أَمْرًا وَ يُنَازِعُونَنا حَقًّا وَ يُبَاعِدُونَنا عَنْهُ فَصَدِّ ذَاقُوا وَبَالَ مَا اجْتَرَحُوا فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا أَلَا إِنَّهُ قَدْ قَعَدَ عَنْ نُصْرَتِي رِجَالٌ مِنْكُمْ وَ أَنَا عَلَيْهِمْ غِيَابٌ زَارٍ فَاهْجُرُوهُمْ وَ أَسْمِعُوهُمْ مَا يَكْرَهُونَ حَتَّى يُعْتَبُوا (٢) لِيُعْرَفَ بِذَلِكَ حِزْبُ اللَّهِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ مَا لَيْكَ بِنُ حَبِيبِ الْبِرْبُوعِيِّ وَ كَانَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ فَقَالَ وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَرَى الْهَجْرَ وَ سَمَاعَ الْمَكْرُوهِ لَهُمْ قَلِيلًا وَ اللَّهُ لَوْ أَمَرْتَنَا لَنَقْتَلَنَّهُمْ فَقَالَ عَلِيُّ ع سُبْحَانَ اللَّهِ يَا مَالِ جُزْتِ الْمَدَى وَ عَدَوْتِ الْحَدِّ فَأَغْرَقَتْ (٣) فِي النَّزْعِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَبَعْضُ الْعَشْمِ أَبْلَغُ فِي أَمْرِ يُنُوبُكَ مِنْ مُهَادِنَةِ الْأَعَادِي فَقَالَ عَلِيُّ ع لَيْسَ هَكَذَا قَضَى اللَّهُ يَا مَالِ قَالَ سُبْحَانَهُ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ (٤) فَمَا بَالَ ذِكْرَ الْعَشْمِ -

ص: ١٠٣

(١-١) كذا في ج و صفين، و في ا، ب: «القائلين إلينا».

(٢-٢) الإعتاب: إعطاء العتبي، و هي الرضا.

(٣-٣) ا، ج: «و أغرقت».

(٤-٤) سورة المائدة ٤٥.

وَقَالَ تَعَالَى وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ (١) وَ الْإِسْرَافُ فِي الْقَتْلِ أَنْ تَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِكَ فَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَ ذَاكَ هُوَ الْغَشْمُ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ الْمَأَزِدِيُّ وَ كَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ الْقَتْلَى حَوْلَ عِرَائِشِهِ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ عَلَامَ قُتِلُوا أَوْ قَالَ بِمِ قُتِلُوا فَقَالَ عَلِيُّ ع قُتِلُوا بِمَا قُتِلُوا شَيْعَتِي وَ عَمَّالِي وَ قُتِلُوا أَخَا رِبِيعَةَ الْعَبْدِي فِي عِصَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا إِنَّا لَا نَنْكُثُ كَمَا نَكَثْتُمْ وَ لَا نَعْدِرُ كَمَا عَدَرْتُمْ فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ فَسَأَلْتُهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيَّ قَتْلَهُ إِخْوَانِي أَقْتُلُهُمْ بِهِمْ ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ حَكْمَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَأَبَوْا عَلَيَّ وَ قَاتَلُونِي وَ فِي أَعْنَاقِهِمْ بَيْعَتِي وَ دِمَاءُ قَرِيبٍ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ شَيْعَتِي فَقَتَلْتُهُمْ أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ قَدْ كُنْتُ فِي شَكِّ فَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ عَرَفْتُ وَ اسْتَبَانَ لِي خَطَأُ الْقَوْمِ وَ أَنْكَ الْمُهْتَدِي الْمُصِيبُ.

قَالَ نَصِيرٌ وَ كَانَ أَشْيَاخُ الْحَيِّ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ كَانَ عُمَيْيًّا وَ قَدْ شَهِدَ عَلِيٌّ ذَلِكَ صَفِينٍ مَعَ عَلِيٍّ ع وَ لَكِنَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ كَانَ يُكَاتِبُ مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا ظَهَرَ مُعَاوِيَةَ أَقْطَعَهُ قَطِيعَةً بِالْفُلُوجِ (٢) وَ كَانَ عَلَيْهِ كَرِيمًا.

قَالَ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا ع تَهَيَّأَ لِيَنْزِلَ وَ قَامَ رِجَالٌ لِيَتَكَلَّمُوا فَلَمَّا رَأَوْهُ نَزَلَ جَلَسُوا وَ سَكَنُوا.

قَالَ وَ نَزَلَ عَلِيُّ ع بِالْكَوْفَةِ عَلَيَّ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيَّ

(قلت جعده ابن أخته أم هانئ بنت أبي طالب كانت تحت هيبه بن أبي وهب المخزومي فأولدها جعده و كان شريفاً).

ص: ١٠٤

(١ - ١) سورة الإسراء ٣٣.

(٢ - ٢) في مراصد الاطلاع: الفلوجه الكبرى و الفلوجه الصغرى: قريتان كبيرتان من سواد بغداد و الكوفه قرب عين التمر. قلت: و المشهور هي هذه التي على شاطئ الفرات، عندها فم نهر الملك من الجانب الشرقى.

١,٢- قَالَ نَصِرٌ وَ لَمَّا (١) قَدِمَ عَلَيَّ عَ إِلَى الْكُوفَةِ نَزَلَ عَلَيَّ بَابَ الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ فَصَلَّى ثُمَّ تَحَوَّلَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَسَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مَنِ الصَّحَابَةِ كَانَ نَزَلَ الْكُوفَةَ فَقَالَ قَائِلٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ فَقَالَ عَلِيُّ عَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَا يَسْتَأْثِرُ بِأَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهِ إِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ حَيْلَ ذِكْرِهِ بِالمَوْتِ إِعْزَازَ نَفْسِهِ وَ إِذْلالَ خَلْقِهِ وَ قَرَأَ كُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْلِيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (٢) قَالَ نَصِرٌ فَلَمَّا لَحِقَهُ عَ ثَقَلَهُ قَالُوا أَنْزَلَ الْقَصْرَ فَقَالَ قَصَرَ الْخَبَالَ لَا تَنْزَلُوا فِيهِ (٣) .

قَالَ نَصِرٌ وَ دَخَلَ (٤) سُلَيْمَانُ بْنُ صَيْرِدٍ الْخَزَاعِيُّ عَلَيَّ عَ مَرْجِعُهُ (٥) مِنَ الْبَصِيرَةِ فَعَيَّابْتُهُ وَ عَيَّدَلُهُ وَ قَالَ لَهُ إِزْنَبَتْ وَ تَرَبَّصْتُ وَ رَاوَعْتُ وَ قَدْ كُنْتُ مِّنْ أَوْثَقِ النَّاسِ فِي نَفْسِي وَ أَسْرَعِهِمْ فِيْمَا أُظُنُّ إِلَى نَصْرَتِي فَمَا قَعَدَ بِكَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَ مَا زَهَّدَكَ فِي نَصْرَتِهِمْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَزِدَنَّ الْأُمُورَ عَلَيَّ أَغْصَابَهَا وَ لَا تُؤْنِنِي بِمَا مَضَى مِنْهَا وَ اسْتَيْتِقِ مَوَدَّتِي تَخْلُصُ لَكَ نَصْرَةَ يَحْتَنِي فَقَدْ بَقِيَتْ أُمُورٌ تُعْرَفُ فِيهَا عَدُوُّكَ مِنْ وَلِيِّكَ فَسَكَتَ عَنْهُ وَ جَلَسَ سُلَيْمَانُ قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضَ فَخَرَجَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَ وَ هُوَ قَاعِدٌ فِي بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَلَا أُعْجِبُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَا لَقِيتُ مِنْهُ مِنَ التَّوْبِيخِ وَ التَّنْبِيكِتِ فَقَالَ الْحَسَنُ إِنَّمَا يُعَاتَبُ مَنْ تَزَجَى مَوَدَّتَهُ وَ نَصِيحَتُهُ فَقَالَ لَقَدْ وَثِبْتُ أُمُورٌ سَتُشْرَعُ فِيهَا الْفَنَاءُ وَ تُنْتَضَى فِيهَا السُّيُوفُ وَ يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى أَشْبَاهِي فَلَا

ص: ١٠٥

١-١ (١) كتاب صفين ٨.

٢-٢ (٢) سورة البقرة ٢٨.

٣-٣ (٣) صفين: «لا تنزلونيه».

٤-٤ (٤) وقعه صفين ٩.

٥-٥ (٥) وقعه صفين: «بعد رجعتة».

تَسْتَغْشُوا عَتْبِي (١) وَلَا تَتَّهَمُوا نَصِيحِي فَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَكَ اللَّهُ مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِظَنِينٍ (٢) قَالَ نَصِيرٌ وَ دَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْأَزْدِيُّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ وَ عَلَيْكَ السَّلَامُ وَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ قَالَ حَاشَ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلِيكَ فَقَالَ لَعَلَّ اللَّهَ فَعَلَ ذَلِكَ

٥٦١

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا (٣) عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مِخْنَفٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَلِيٍّ عَ مَقْدَمَهُ (٤) مِنَ الْبَصِيرَةِ وَ هُوَ عِيَامٌ بَلَغَتْ الْحُلُمَ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالٌ يُؤْتَبُهُمْ وَ يَقُولُ لَهُمْ مَا أَبْطَأَ بِكُمْ عَنِّي وَ أَنْتُمْ أَشْرَافُ قَوْمِكُمْ وَ اللَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ ضَعْفِ النَّبِيِّ وَ تَقْصِيرِ الْبَصِيرَةِ إِنَّكُمْ لَبُورٌ (٥) وَ إِنْ كَانَ مِنْ شَكٍّ فِي فَضْلِي وَ مَظَاهِرِهِ عَلَيَّ إِنَّكُمْ لَعُدُوٌّ .

فَقَالُوا حَاشَ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ سَلَمُكَ وَ حَرْبُ عَدُوِّكَ ثُمَّ اعْتَدَرَ الْقَوْمُ فَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ عُذْرًا وَ مِنْهُمْ مَنْ اعْتَلَّ بِمَرَضٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ غَيْبَهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفْتُهُمْ فَإِذَا عَبْدُ (٦) اللَّهِ الْمُعْتَمُّ الْعَبْسِيُّ وَ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ وَ كِلَاهُمَا كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ وَ إِذَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ وَ إِذَا غَرِيبُ بْنُ سُرْحَيْبِلَ الْهَمْدَانِيُّ .

قَالَ وَ نَظَرَ عَلِيُّ عَ إِلَى أَبِي فَقَالَ وَ لَكِنْ مِخْنَفُ بْنُ مُسْلِمٍ وَ قَوْمُهُ لَمْ يَتَخَلَّفُوا وَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُمْ كَمَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَ إِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ

ص: ١٠٦

١- ١) لا تستغشوا عتبي؛ أي لا تظنوا عتابي لكم غشا.

٢- ٢) الظنين: المتهم؛ أو أصله: «مظنون».

٣- ٣) وقعه صفين ١٠.

٤- ٤) وقعه صفين: «حين قدم».

٥- ٥) لبور؛ أي هالكون، جمع بلفظ المفرد.

٦- ٦) في الأصول: «عبيد الله» صوابه من صفين.

أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَتْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (١)

٥٦٢

١- قَالَ نَضْرُثُمَّ (٢) إِنَّ عَلِيًّا عَمَكَثَ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ الشُّنِّيُّ فِي ذَلِكَ [شُنُّ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ]

(٣) قُلْ لِهَذَا الْأَمَامِ قَدْ خَبَتِ الْحَرْبُ

ص: ١٠٧

١-١) سورة النساء ٧٣، ٧٢.

٢-٢) كتاب صفين ١١، ١٢.

٣-٣) تكمله من كتاب وقعه صفين؛ وهو الأعور الشني، واسمه بشر بن منقذ، أحد بني شن بن أقصى بن عبد القيس. وانظر المؤلف والمختلف للآمدى ٣٨.

قَالَ نَصْرٌ وَ أَتَمَّ عَلِيُّ ع صِيْلَاتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْكُوفَةَ فَلَمَّا كَانَتْ الْجُمُعَةُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْمَدُهُ (١) وَ اسْتَعِينَهُ وَ أَشِيْتَهْدِيهِ وَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَنْتَجَبُهُ لِأَمْرِهِ وَ اخْتَصَّهُ بِنُبُوَّتِهِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ وَ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ فَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ وَ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ أَوْصِيَتْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ وَ أَقْرَبُهُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَ خَيْرُهُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ وَ بِتَقْوَى اللَّهِ أُمُوتُمْ وَ لِلْإِحْسَانِ وَ الطَّاعَةِ خُلِقْتُمْ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ حَذَرَ بَأْسًا شَدِيدًا وَ اخْشَوْا خَشْيَةَ لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ (٢) وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَ كَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَمِلَ لَهُ وَ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ مُخْلِصًا تَوَلَّى اللَّهُ أَجْرَهُ أَشْفَقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِكُمْ سِيْءًا قَدْ سَمِيَ آثَارَكُمْ وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آخِرَ الْكُفْرِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِالْدُنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ لِأَهْلِهَا مَغْرُورٌ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا وَ إِلَى فَنَاءٍ مَا هِيَ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَعِيْشَةَ السُّعْدَاءِ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَ لَهُ (٣) .

قَالَ نَصْرٌ ثُمَّ (٤) اسْتَعْمَلَ عَلِيُّ ع الْعَمَالَ وَ فَرَّقَهُمْ فِي الْبِلَادِ وَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ

ص: ١٠٨

١-١ (١) صفين: «إن الحمد لله أحمد». .

٢-٢ (٢) التعذير هنا: الإهمال و التقصير.

٣-٣ (٣) صفين ١٣.

٤-٤ (٤) كتاب صفين ١٤؛ و فيه: «ثم إن عليا أقام بالكوفة و استعمل العمال».

قَالَ نَصِيرٌ (١) وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو بَيْنَ الْعِاصِ أَيَّامَ كَمَا كَانَ جَرِيرٌ عِنْدَهُ يَنْتَظِرُ حِوَابَهُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ نُلْقَى إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كِتَابًا نَذُرُ فِيهِ أَمْرَ عُثْمَانَ فَإِنَّمَا أَنْ نَذُرِكَ بِهِ حَاجَتَنَا أَوْ نَكْفُ الْقَوْمَ عَنَّا فَقَالَ لَهُ عَمْرٍو إِنَّمَا تَكْتُبُ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ رَجُلٍ رَاضٍ بِعَلِيٍّ فَلَا- يَزِيدُهُ كِتَابُكَ إِلَّا بَصِيرَةً فِيهِ أَوْ رَجُلٍ يَهْوَى عُثْمَانَ فَلَنْ يَزِيدَهُ كِتَابُكَ عَلَيَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ أَوْ رَجُلٍ مُعْتَرِلٍ فَلَسْتُ فِي نَفْسِهِ بِأَوْثَقٍ مِنْ عَلِيٍّ. قَالَ عَلِيٌّ ذَاكَ فَكَتَبْنَا أَمَّا بَعِيدٌ فَإِنَّهُ مَهْمَا غَابَ عَنَّا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَغِبْ عَنَّا أَنْ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ وَ الدَّلِيلُ عَلَيَّ ذَلِكَ مَكَانُ قَتْلِهِ مِنْهُ وَ إِنَّمَا نَطَلْبُ قَتْلَهُ حَتَّى يَدْفَعُوا إِلَيْنَا فَنَقْتُلَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنْ دَفَعَهُمْ عَلِيٌّ إِلَيْنَا كَفَفْنَا عَنْهُ وَ جَعَلْنَا شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيَّ مَا جَعَلَهَا عَلَيْهِ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ فَأَمَّا الْخِلَافَةُ فَلَسْنَا نَطَلُبُهَا فَأَعِينُونَا عَلَيَّ أَمْرِنَا هَذَا وَ انْهَضُوا مِنْ نَاحِيَتِكُمْ فَإِنَّ أَيْدِينَا وَ أَيْدِيَكُمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ أَمْرٍ وَاحِدٍ هَابَ عَلِيٌّ مَا هُوَ فِيهِ وَ السَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَمَّا بَعِيدٌ فَلَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتُمَا مَوْضِعَ النُّصَيْرَةِ وَ تَنَاوَلْتُمَاهَا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَ مَا زَادَ اللَّهُ مِنْ شَكِّ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِكِتَابِكُمَا إِلَّا شَكًّا وَ مَا أَنْتُمَا وَ الْمَشُورَةُ وَ مَا أَنْتُمَا وَ الْخِلَافَةُ أَمَّا أَنْتَ يَا مُعَاوِيَةَ فَطَلَبْتُكَ وَ أَمَّا أَنْتَ يَا عَمْرٍو فَظَنِينُ (٢) أَلَا فَكُفَّا أَنْفُسَكُمَا فَلَيْسَ لَكُمْ فِيْنَا وَلِيٌّ وَ لَا نَصِيرٌ وَ السَّلَامُ.

قَالَ نَصِيرٌ وَ كَتَبَ (٣) رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَيْهِمَا مَعَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

ص: ١٠٩

١-١ (١) كتاب صفين ٧١، ٧٠.

٢-٢ (٢) كتاب صفين: «فظنون»، و الظنين و الظنون بمعنى المتهم.

٣-٣ (٣) صفين ٧١.

مُعَاوِيَ إِنَّ الْحَقَّ أَبْلَجٌ وَاضِحٌ

يَعْنِي طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فَهَذَا كَهَذَاكَ الْبَلَا حَذُو نَعْلِهِ

قَالَ نَضْرٌ (١) وَقَامَ عَيْدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِنْدِي رَجُلًا لَا يُوَازِي (٢) بِهِ رَجُلٌ وَ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزُورَ ابْنَ عَمِّهِ حَابِسَ بْنَ سَعْدِ الطَّائِيِّ بِالشَّامِ فَلَوْ أَمَرْنَاهُ أَنْ يَلْقَى مُعَاوِيَةَ لَعَلَّهُ أَنْ يَكْسِرَهُ وَ يَكْسِرَ أَهْلَ الشَّامِ فَقَالَ عَلِيٌّ

ص: ١١٠

١- ١) كتاب صفين: «إذ زحرف الأمر».

٢- ٢) الرقراق: ما يتراءى للمسافر من رمال الصحراء كأنها الماء.

نَعَمْ فَأَمَرَهُ عَدِيٌّ بِذَلِكَ (١) وَكَانَ اسْمُ الرَّجُلِ خُفَافَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَدِمَ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ حَابِسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الشَّامِ وَحَابِسِ سَيْدِ طَيْءٍ بِهَا فَحَدَّثَتْ خُفَافٌ حَابِسًا أَنَّهُ شَهِدَ عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ وَ سَارَ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى الْكُوفَةِ وَ كَانَ لِيُخْفَافِ لِسَانًا وَ هَيْئَةً وَ شِعْرًا فَعَدَا حَابِسٌ بِخُفَافٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا ابْنُ عَمِّ لِي قَدِمَ الْكُوفَةَ مَعَ عَلِيٍّ وَ شَهِدَ عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ وَ هُوَ ثِقَةٌ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ هَاتِ حَدِيثَنَا عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ نَعَمْ حَصْرَهُ الْمَكْشُوحُ وَ [حَكَمَ فِيهِ حُكَيْمٌ وَ وَلِيَهُ عَمَّارٌ وَ تَجَرَّدَ فِي أَمْرِهِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ]

(٢) وَ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ وَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ وَ حَيْدٌ فِي أَمْرِهِ رَجُلَانِ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ أُبْرَأُ النَّاسِ مِنْهُ عَلِيٌّ قَالَ ثُمَّ مَهْ قَالَ ثُمَّ تَهَيَّأَتْ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْبَيْعَةِ تَهَيَّأَتْ الْفَرَاشِ حَتَّى ضَاعَتِ النَّعْلُ (٣) وَ سَقَطَ الرَّذَاءُ وَ وُطِئَ الشَّيْخُ وَ لَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانَ وَ لَمْ يَذْكُرْ لَهُ ثُمَّ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ وَ خَفَّ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ كَرِهَ الْقِتَالَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَلَمْ يَسْتَكْرِهُ أَحَدًا وَ اسْتَعْنَى بِمَنْ خَفَّ مَعَهُ عَمَّنْ ثَقُلَ ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى جَبَلَ طَيْءٍ فَآتَتْهُ مِنْهَا جَمَاعَةٌ كَانَ ضَارِبًا بِهِمُ النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِنِغْصِ الطَّرِيقِ أَتَاهُ مُسَيِّرُ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ عَائِشَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَسَرَّحَ رِجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ يَدْعُونَهُمْ فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ فَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَإِذَا هِيَ فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَدِمَ الْكُوفَةَ فَحَمِلَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَ دَبَّتْ إِلَيْهِ الْعُجُوزُ وَ حَرَجَتْ إِلَيْهِ الْعُرُوسُ فَرَحًا بِهِ وَ شَوْقًا إِلَيْهِ وَ تَرَكْتُهُ وَ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الشَّامَ .

فَدَعَرَ مُعَاوِيَةَ مِنْ قَوْلِهِ وَ قَالَ حَابِسٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أَسْمَعَنِي شِعْرًا غَيْرَ بِهِ حَالِي فِي عُثْمَانَ وَ عَظَّمَ بِهِ عَلِيًّا عِنْدِي.

ص: ١١١

١-١) صفين: «فمره بذلك».

٢-٢) ما بين العلامتين تكمله من كتاب صفين.

٣-٣) صفين: «حتى ضلت النعل».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَسْمِعْنِيهِ يَا خُفَّافُ فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا أَوَّلُهُ قُلْتُ وَاللَّيْلُ سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَ لَجَنِّي عَنِ الْفِرَاشِ تُجَافُ.
يَذْكُرُ فِيهِ حَالُ عُمَانَ وَ قَتْلَهُ وَ فِيهِ إِطَالَةٌ عَدَلْنَا عَنْ ذِكْرِهِ (١) ... وَ مِنْ جُمْلَتِهِ قَدْ مَضَى مَا مَضَى وَ مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ
قَالَ فَانكسرَ مُعَاوِيَةُ وَ قَالَ يَا حَابِسُ إِنِّي لَأُظُنُّ هَذَا عَيْنًا لِعَلِّي أَخْرِجُهُ عَنْكَ لِنَلَّا يُفْسِدَ عَلَيْنَا أَهْلَ الشَّامِ

ص: ١١٢

(١ - ١) كلمه غير واضحه في جميع الأصول.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ غُنَيْيٍّ (١) عَنْ زِيَادِ بْنِ رُسْتَمٍ قَالَ (٢) كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ حَاصَةً وَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ دُونَ كِتَابِهِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَكَانَ كِتَابُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدًا مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ (٣) بَعِيدَ قَتْلِ عُثْمَانَ مِنْكَ ثُمَّ ذَكَرْتُ حَذْلَكَ إِيَّاهُ وَ طَعَنَكَ عَلَى أَنْصَارِهِ فَتَغَيَّرْتُ لَكَ وَ قَدْ هَوَّنَ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِكَ عَلَى عَلِيٍّ وَ مَحَا عَنْكَ بَعْضَ مَا كَانَ مِنْكَ فَأَعِنَّا رَحِمَكَ اللَّهُ عَلَى حَقِّ هَذَا الْخَلِيفَةِ الْمَظْلُومِ فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ الْإِمَارَةَ عَلَيْكَ وَ لَكِنِّي أُرِيدُهَا لَكَ فَإِنْ أَتَيْتَ كَأَنَّتَ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (٤) .

فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ الرَّأْيَ الَّذِي أَطْمَعُكَ فِيهِ هُوَ الَّذِي صَيَّرَكَ إِلَيَّ مَا صَيَّرَكَ إِلَيْهِ أَنْتَ كُ عَلِيًّا فِي الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ وَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَتْبَعِيكَ وَ أَمَّا زَعْمِيكَ أَنِّي طَعَنْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَلَعَمْرِي مَا أَنَا كَعَلِيٍّ فِي الْإِيْمَانِ وَ الْهَجْرَةِ وَ مَكَانِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ نِكَائِهِ فِي الْمُشْرِكِينَ وَ لَكِنِّي عُهِدَ (٥) إِلَيَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ عُهِدٌ فَفَزِعْتُ فِيهِ إِلَى الْوُقُوفِ وَ قُلْتُ إِنْ كَانَ هَذَا هُدًى فَفَضَّلْتُ تَرْكُوتَهُ وَ إِنْ كَانَ ضَلَالًا فَشَرُّ نَجْوَتْ مِنْهُ فَأَعْنِ عَنَّا نَفْسَكَ وَ السَّلَامُ (٦) .

ص: ١١٣

١-١ (١) كذا في ا، و صفين، و في ب: «غناء»، و في ج: «معنى».

٢-٢ (٢) كتاب صفين ٧٩، ٨٠.

٣-٣ (٣) صفين: «الأمه».

٤-٤ (٤) ذكر في كتاب صفين أبياتا مطلعها: ألا قل لعبد الله و اخصص محمدا و فارسنا المأمون سعد بن مالك.

٥-٥ (٥) صفين: «و لكن حدث أمر لم يكن من رسول الله إلى فيه عهد».

٦-٦ (٦) في كتاب صفين: «ثم قال لابن أبي غزويه: أجب الرجل -و كان أبوه ناسكا، و كان من أشعر قريش فقال... و ذكر أبياتا مطلعها: معاوي لا ترجو الذي لست نائلا و حاول نصيرا غير سعد بن مالك» .

قَالَ وَ كَانَ كِتَابُ مُعَاوِيَةَ إِلَى سَعْدٍ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِنَصْرِ عُمَانَ أَهْلُ الشُّورَى مِنْ قُرَيْشِ الَّذِينَ أُتْبِتُوا حَقَّهُ وَ اخْتَارُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَ قَدْ نَصَرَهُ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ هُمَا شَرِيكَانِ فِي الْأَمْرِ وَ نَظِيرَاكَ فِي الْإِسْلَامِ وَ خِفْتُ لِدَلِيكَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا تَكْرَهَنَّ مَا رَضُوا وَ لَا تَرُدِّيَنَّ مَا قَبِلُوا فَإِنَّا نَرُدُّهَا شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (١).

فَأَجَابَهُ سَعْدٌ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ عُمَرَ لَمْ يُدْخِلْ فِي الشُّورَى إِلَّا مَنْ تَحَلَّى لَهُ الْخِلَافَةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَحَقَّ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِنَا (٢) عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ عَلِيًّا كَانَ فِيهِ مَا فِيْنَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا مَا فِيهِ وَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ كَرِهْتُ أَوَّلَهُ وَ كَرِهْتُ آخِرَهُ فَأَمَّا طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ فَلَوْ لَزِمَا يُبَيِّتُهُمَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمَا وَ اللَّهُ يَعْفِرُ لَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ وَ السَّلَامُ (٣).

قَالَ وَ كَانَ كِتَابُ مُعَاوِيَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَرْجُو مُبَايَعَتَكَ (٤) وَ لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَذْكُرَكَ النُّعْمَةَ الَّتِي حَرَجْتَ مِنْهَا وَ الشُّكَّ الَّذِي صَبَرْتَ إِلَيْهِ إِنَّكَ فَارِسُ الْأَنْصَارِ وَ عُمِدَةُ الْمُهَاجِرِينَ وَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ أَمْرًا لَمْ تَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ تَمْضِيَ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَّهُ نَهَاكَ عَنْ قِتَالِ أَهْلِ الْقَبَلَةِ (٥) أَوْ فَلَا نَهَيْتَ أَهْلَ الْقَبَلَةِ (٦) عَنْ قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا

ص: ١١٤

١-١) في كتاب صفين: ٨٣ «و قال شعرا»؛ و ذكر أبياتا أولها. ألا يا سعد قد أظهرت شكا و شك المرء في الأحداث داء.

٢-٢) كتاب صفين: «باجتماعنا».

٣-٣) في كتاب صفين: ٨٤؛ ثم أجابه في الشعر»؛ و ذكر أبياتا أولها: معاوى داؤك الداء العياء فليس لما تجيء به دواء.

٤-٤) كتاب صفين: «متابعتك».

٥-٥) كتاب صفين: «الصلاه».

٥-٦) كتاب صفين: «الصلاه».

فَقَدْ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَكْرَهُ لَهُمْ مَا كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الدَّارِ مِنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ (١) فَأَمَّا قَوْمُكَ فَقَدْ عَصَوْا اللَّهَ وَخَذَلُوا عُثْمَانَ وَاللَّهُ سَائِلُهُمْ وَسَائِلُكَ عَمَّا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّلَامُ.

قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ اعْتَرَلَ هَذَا الْأَمْرَ مَنْ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ الَّذِي فِي يَدِهِ قَدْ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي هُوَ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَلَمَّا كَانَ كَسِيرَتْ سَيِّفِي وَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي وَاتَّهَمْتُ الرَّأْيَ عَلَى الدِّينِ إِذْ لَمْ يَصِحَّ لِي مَعْرُوفٌ أَمْرٌ بِهِ وَلَا مُنْكَرٌ أَنْهَى عَنْهُ وَأَمَّا أَنْتَ فَلَعَمْرِي مَا طَلَبْتَ إِلَّا الدُّنْيَا وَلَا اتَّبَعْتَ إِلَّا الْهَوَىٰ وَإِنْ تَنْصُرُ عُثْمَانَ مِثًّا فَقَدْ خَذَلْتَهُ حَيًّا وَالسَّلَامُ (٢)

مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لعلی

قد أتينا على ما أردنا ذكره من حال أمير المؤمنين ع منذ قدم من حرب البصره إلى الكوفه و ما جرى بينه و بين معاويه من المراسلات و ما جرى بين معاويه و بين غيره من الصحابه من الاستنجاد و الاستصراخ و ما أجابوه به و نحن نذكر الآن ما جرى لجرير بن عبد الله عند عوده إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بممالأه معاويه عليهم و مفارقتة جنبه أمير المؤمنين .

٥٤٤

١- قَالَ نَصْرُ بْنُ مَرْجَمٍ (٣) حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ صَدَقَةَ بِإِسْنَادِهِ قَالَ قَالَ لَمَّا رَجَعَ جَرِيرٌ

ص: ١١٥

(١-١) كتاب صفين: «الصلاه».

(٢-٢) تتمه الرساله كما في كتاب صفين ٨٦: «فما أخرجني الله من نعمه، و لا- صيرني إلى شك؛ إن كنت أبصرت خلاف ما تحبني به و من قبلنا من المهاجرين و الأنصار، فنحن أولى بالصواب منك».

(٣-٣) كتاب صفين ٦٦-٦٨.

إِلَى عَلِيٍّ عَ كَثُرَ قَوْلِ النَّاسِ فِي التُّهْمَةِ لِجَرِيرٍ فِي أَمْرِ مُعَاوِيَةَ فَاجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْمَأْشُرُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَ فَقَالَ الْمَأْشُرُ أَمَّا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَوْ كُنْتُ أُرْسِلْتُنِي إِلَى مُعَاوِيَةَ لَكُنْتُ خَيْرًا لَكَ مِنْ هَذَا الَّذِي أَرُحَى خِنَاقَهُ (١) وَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى لَمْ يَدْعُ أَبَا يَزْجُو فَتَحَهُ إِلَّا فَتَحَهُ وَلَا أَبَا يَخَافُ أَمْرَهُ إِلَّا سَدَّهُ.

فَقَالَ جَرِيرٌ لَوْ كُنْتُ وَاللَّهِ أَتَيْتُهُمْ لَقَتُلُوكَ وَخَوْفَهُ بَعْمَرُو وَذِي الْكَلَّاعِ وَحَوْشِبِ (٢) وَقَالَ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ مِنْ قَتْلِهِ عُثْمَانَ فَقَالَ الْمَأْشُرُ وَاللَّهِ لَوْ أَتَيْتُهُمْ يَا جَرِيرٌ لَمْ يُعِينِي جَوَابَهَا وَلَمْ يَنْقُلْ عَلَيَّ مَحْمِلَهَا وَلَحَمَلْتُ مُعَاوِيَةَ عَلَيَّ خُطَّةً أُعْجِلُهُ فِيهَا عَنِ الْفِكْرِ.

قَالَ فَاتَيْتُهُمْ إِذَا قَالَ الْآنَ وَقَدْ أَفْسَدْتُهُمْ وَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرُّ

٥٦٥

١- وَرَوَى نَصِيرٌ عَنْ نُمَيْرِ بْنِ وَعْلَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ (٣) اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْمَأْشُرُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَ فَقَالَ الْمَأْشُرُ أَلَيْسَ قَدْ نَهَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَبْعَثَ جَرِيرًا وَأَخْبَرْتُكَ بِعِدَاوَتِهِ وَغِيْهِ وَأَقْبَلَ الْمَأْشُرُ يَشْتِمُهُ وَيَقُولُ يَا أَخَا بَجِيلِهِ إِنَّ عُثْمَانَ اشْتَرَى مِنْكَ دِينَكَ بِهِمَدَانَ (٤) وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَهْلٍ أَنْ تُتْرَكَ تَمْشِي فَوْقَ الْأَرْضِ إِنَّمَا أَتَيْتُهُمْ لِتَسْجُدَ عِنْدَهُمْ يَدًا بِمَسِيرِكَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ رَجَعْتَ إِلَيْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ تُهَدِّدُنَا بِهِمْ وَأَنْتَ وَاللَّهِ مِنْهُمْ وَلَا أَرَى سَعْيِكَ إِلَّا لَهُمْ لَنْ أَطَاعَنِي فِيكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِيَحْبِسَنَّكَ وَأَشْبَاهَكَ فِي حَبْسٍ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهُ حَتَّى تَسْتَيْمَ هَذِهِ الْأُمُورُ وَيُهْلِكَ اللَّهُ الظَّالِمِينَ.

قَالَ جَرِيرٌ وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي بُعِثْتُ إِذْنًا وَاللَّهِ لَمْ تَرْجِعْ.

ص: ١١٦

١-١ (١) صفين: «من خناقه».

٢-٢ (٢) صفين: «و حوشب بن ظليم».

٣-٣ (٣) كتاب صفين ٦٨، ٦٧.

٤-٤ (٤) كذا في ب و صفين، و في ج: «بهمدان».

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ جَرِيرٌ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فَارَقَ عَلِيًّا عَ فَلِحَقَّ بِقَرْقِيسِيَاءَ (١) وَ لِحَقَّ بِهِ نَاسٌ مِنْ قَسْرِ (٢) مِنْ قَوْمِهِ فَلَمْ يَشْهَدْ صَفِيْنَ مِنْ قَسْرِ غَيْرِ تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا وَ لَكِنْ شَهِدَهَا مِنْ أَحْمَسَ (٣) سَبْعُمِائَةٍ رَجُلٍ.

قَالَ نَضْرُ وَ قَالَ الْأَشْتَرُ فِيمَا كَانَ مِنْ تَخْوِيفٍ مِنْ جَرِيرٍ إِيَّاهُ بَعْمُرُو وَ حَوْشَبِ [وَ ذِي الْكَلَاعِ]

(٤) لَعْمُرُكَ يَا جَرِيرُ لَقَوْلُ عَمْرُو

[نسب جرير بن عبد الله البجلي و بعض أخباره]

٥٤٤

١٤،١- وَ ذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ أَنَّ جَرِيرًا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص

ص: ١١٧

١-١) قرقيسياء: بلد بالخابور عند مصبه.

٢-٢) قسر: رهط جرير بن عبد الله البجلي.

٣-٣) أحمس: بطن في بجيله.

٤-٤) من كتاب صفين.

سَنَهُ عَشْرٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَبَايَعَهُ وَاسْتَلِمَ وَكَانَ جَرِيرٌ صَبِيحَ الْوَجْهِ جَمِيلًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص كَانَ عَلِيٌّ وَجْهَهُ مَسِيحَهُ
مَلَائِكَةٍ وَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ جَرِيرٌ يُوسُفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَكَانَ طَوَالًا يَفْتَلُ فِي ذُرْوَةِ الْبَعِيرِ مِنْ طُولِهِ وَكَانَتْ نَعْلُهُ ذِرَاعًا وَكَانَ يَخْضِبُ
لِحْيَتَهُ بِالزَّرْعَمَرَانِ مِنَ اللَّيْلِ وَيُعَسِّلُهَا إِذَا أَصْبَحَ فَتَخْرُجُ مِثْلَ لَوْنِ التَّبَرِ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ وَاعْتَزَلَ عَلِيًّا عَ
بِالشَّرَاهِ سَنَهُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ فِي وِلَايَةِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى الْكُوفَةِ (١).

فَأَمَّا نَسَبُهُ فَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي جَمَهَرِهِ الْأَنْسَابِ فَقَالَ هُوَ جَرِيرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْرٍ بْنِ ثَعْلَبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ
عُوَيْفِ بْنِ حَرْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ يَدِيرِ بْنِ قَسِيرٍ وَاسْمُهُ مَلَكٌ بْنُ عَبْقَرِ بْنِ أَنْمَارِ بْنِ إِرَاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعُوْثِ بْنِ
نَبْتِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ .

وَ يَذْكُرُ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ عَلِيًّا عَ هَدَمَ دَارَ جَرِيرٍ وَ دُورَ قَوْمٍ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ حَيْثُ فَارَقَ عَلِيًّا عَ مِنْهُمْ أَبُو أَرَاكَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ عِيَامِرِ
الْقَسْرِيُّ كَانَ حَتْنَهُ عَلَى ابْنَتِهِ وَ مَوْضِعَ دَارِهِ بِالْكُوفَةِ كَانَ يُعْرَفُ بِدَارِ أَبِي أَرَاكَةَ قَدِيمًا وَ لَعَلَّهُ الْيَوْمَ نُسِيَ ذَلِكَ الْإِسْمَ

ص: ١١٨

وَ كَانَ قَدْ ابْتِاعَ سَبِيَّ بِنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ أَعْتَقَهُ فَلَمَّا طَالَ بِهِ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَ هَرَبَ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ قَبِحَ اللَّهُ
مَصْقَلَهُ فَعَلَّ فِعْلَ السَّادَةِ [السَّادَاتِ]

وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ فَمَا أَنْطَقَ مَادِحُهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ وَ لَا صَدَقَ وَاصِفُهُ حَتَّى بَكَتَهُ وَ لَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَ انْتَهَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ .

خاس به يخيس و يخوس أى غدر به و خاس فلان بالعهد أى نكث .

و قبح الله فلانا أى نحاه عن الخير فهو مقبوح .

و التبكيت كالتقريع و التعنيف و الوفور مصدر وفر المال أى تم و يجيء متعديا و يروى موفوره و الموفور التام و قد أخذ هذا
المعنى بعض الشعراء فقال يا من مدحناه فأكذبنا

فأما القول فى نسب بنى ناجيه فإنهم ينسبون أنفسهم إلى سامه بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و قريش تدفعهم عن هذا النسب و يسمونهم بنى ناجيه و هى أمهم و هى امرأه سامه بن لؤى بن غالب و يقولون إن سامه خرج إلى ناحيه البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤى فى مماظه (١) كانت بينهما فطأطأت ناقته رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعى ثم عطفت على قتبها فحكته به فذب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامه فقتله فقال أخوه كعب بن لؤى يرثيه (٢) عين جودى لسامه بن لؤى

قالوا و كانت معه امرأته ناجيه فلما ماتت تزوجت رجلا فى البحرين فولدت منه الحارث و مات أبوه و هو صغير فلما ترعرع طمعت أمه أن تلحقه بقريش فأخبرته أنه ابن سامه بن لؤى بن غالب فرحل من البحرين إلى مكه و معه أمه فأخبر كعب بن لؤى أنه ابن أخيه سامه فعرف كعب أمه ناجيه فظن أنه صادق فى دعواه فقبله و مكث عنده مده حتى قدم مكه ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلموا عليه و حادثوه فسألهم كعب بن لؤى من أين يعرفونه فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان و شرحوا له خبره فنفاه كعب عن مكه و نفى أمه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك و تزوج الحارث فأعقب هذا العقب.

ص: ١٢٠

١-١) المماظه:المخاصمه و المنازعه.

٢-٢) و يروى أن قائله هذا الشعر امرأه أزدية كان سامه نزل بزوجهها،فى خبر و أبيات أخرى ذكره صاحب اللسان فى ١٢:١٩٥.

إِنَّهُ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ عَمِّي سَامَهُ لَمْ يُعْقِبْ (١).

و زعم ابن الكلبي أن سامه بن لؤى ولد غالب بن سامه و الحارث بن سامه و أم غالب بن سامه ناجيه ثم هلك سامه فخلف عليها ابنه الحارث بن سامه نكاح مقت (٢) ثم هلك ابنا سامه و لم يعقبا و إن قوما من بنى ناجيه بن جرم بن ربان بن علاف ادعوا أنهم بنو سامه بن لؤى و أن أمهم ناجيه هذه و نسبوها هذا النسب و انتموا إلى الحارث بن سامه و هم الذين باعهم على ع على مصقله بن هبيرة و هذا هو قول الهيثم بن عدى كل هذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير (٣).

و وجدت أنا في جمهره النسب لابن الكلبي كلاما قد صرح فيه بأن سامه بن لؤى أعقب فقال ولد سامه بن لؤى الحارث و أمه هند بنت تيم و غالب بن سامه و أمه ناجيه بنت جرم بن بابان من قضاعه فهلك غالب بعد أبيه و هو ابن اثنتي عشرة سنه فولد الحارث بن سامه لؤيا و عبيده و ربيعه و سعدا و أمهم سلمى بنت تيم بن شيان بن محارب بن فهر و عبد البيت و أمه ناجيه بنت جرم خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مقت فهم الذين قتلهم على ع .

قال أبو الفرج الأصفهاني أما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش و هم قريش العازبه قال و إنما سموا العازبه لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجيه بنت جرم بن ربان بن علاف و هو أول من اتخذ الرحال العلافيه فنسبت إليه

ص: ١٢١

١-١) بقيه الخبر كما في الأغاني: «و كان بنو ناجيه ارتدوا عن الإسلام، و لما ولى عليّ بن أبي طالب رضى عنه الخلاقه دعاهم إلى الإسلام، فأسلم بعضهم و أقام الباقر على الرده، فسيأهم و استرقهم، فاشتراهم مصقله ابن هبيرة منه، و أدى ثلث ثمنهم و أشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم و هرب من تحت ليله إلى معاويه، فصاروا أحرارا، و لزمه الثمن، فشعت عليّ بن أبي طالب شيئا من داره، و قيل بل هدمها. فلم يدخل مصقله الكوفه حتى قتل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه».

٢-٢) نكاح المقت: أن يتزوج الرجل امرأه أبيه إذا طلقها أو مات عنها؛ و كان يفعل في الجاهليه و حرمة الإسلام.

٣-٣) الأغاني ٢٠٥: ١٠-٢٠٧ (طبعه الدار).

و اسم ناجيه ليلي و إنما سميت ناجيه لأنها سارت مع سامه في مفازه فعطشت فاستسقته فقال لها الماء بين يديك و هو يريها السراب حتى أتت إلى الماء فشربت فسميت ناجيه .

قال أبو الفرج و للزبير بن بكار في إدخالهم في قريش مذهب و هو مخالفه أمير المؤمنين علي ع و ميله إليهم لإجماعهم على بغضه ع حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك

[نسب علي بن الجهم و ذكر طائفه من أخباره و شعره]

و من المنتسبين إلى سامه بن لؤي علي بن الجهم الشاعر و هو علي بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينه بن كراز بن كعب بن جابر بن مالك بن عتب (١) بن الحارث بن عبد البيت بن سامه بن لؤي بن غالب . هكذا ينسب نفسه و كان مبغضا لعلي ع ينحو نحو مروان بن أبي حفصه في هجاء الطالبين و ذم الشيعة و هو القائل و رافضه تقول بشعب رضوى

و قد هجاه أبو عباده البحترى فقال فيه إذا ما حصلت عليا قريش

ص: ١٢٢

١-١) في الأغاني: «عينيه».

و سمع أبو العيناء على بن الجهم يوما يطعن على أمير المؤمنين فقال له أنا أدري لم تطعن على أمير المؤمنين فقال أ تعنى قصه
بيعه أهلى من مصقله بن هبيرة قال لا أنت أوضع من ذلك و لكنه ع قتل الفاعل من قوم لوط و المفعول به و أنت أسفلهما و من
شعر على بن الجهم لما حبسه المتوكل (١) أ لم تر مظهرين على عتبا (٢)

ص: ١٢٣

١ - ١) الديوان و الأغاني: «و ما رغثاؤك» و فى حواشى الأغاني: «الرغثاء أصلها عصب أو عرق فى الشدى يدرب اللبن؛ و استعملها
البحترى هنا فى الأب».

٢ - ٢) من قصيده طويله فى ديوانه ٨١-٨٥؛ و فى الأغاني ٢٠٦: ١٠-٢٠٨: «كان على بن الجهم قد هجا بختيشوع، فسبه عند
المتوكل، فحبسه المتوكل، فقال على بن الجهم فى حبسه عدة قصائد كتب بها إلى المتوكل، فأطلقه بعد سنه ثم نفاه بعد ذلك إلى
خراسان. فقال أول ما حبس قصيده كتب بها إلى أخيه؛ أولها قوله: توكلنا على رب السّماء و سلّمنا لأسباب القضاء ثم أورد
القصيده.

و عابونى و ما ذنبى إليهم

سوى علمى بأولاد الزناء.

يعنى بالروافض نجاح بن مسلمه (١) و النصارى بختيشوع (٢) و أهل الاعتزال على (٣) بن يحيى بن المنجم (٤).

قال أبو الفرج (٥) و كان على بن الجهم من الحشويه (٦) شديد النصب (٧) عدوا للتوحيد و العدل فلما سخط المتوكل على أحمد بن أبى دواد و كفاه (٨) شمت به على بن الجهم فهجاه و قال فيه (٩) يا أحمد بن أبى دواد دعوه

ص: ١٢٤

١-١) نجاح بن مسلمه؛ كان على ديوان التوقيع و التببع على العمال فى عهد المتوكل؛ فكان جميع للعمال يتقونه؛ و كان المتوكل ربما نادمه؛ و توفى منكبوا سنه ٢٤٥. تاريخ الطبرى (وفيات سنه ٢٤٥).

٢-٢) هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطب.

٣-٣) على بن يحيى بن أبى متصدر المنجم، نديم المتوكل و أحد خواصه المتقدمين عنده؛ توفى سنه ٢٧٥. ابن خلكان ٣٥٦:١.

٤-٤) فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٢٠: «و إنما عنى بالروافض الطاهرين؛ و بأهل الاعتزال بنى دواد، و بالنصارى بختيشوع بن جبريل؛ فإنه كان يعاديه».

٥-٥) الأغانى ٢١٧:١٠.

٦-٦) الحشويه: فرقه من المرجئه يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد؛ و عندهم أن تارك النفل كتارك الفرض، تفسير القرطبي ١٦٢:٤.

٧-٧) النواصب: قوم يتدينون ببغضه على.

٨-٨) كفاه، أى طرده و أبعده.

٩-٩) ذكر صاحب الأغانى فى هذا الخبر أنه لما حبس المتوكل على بن الجهم مدح أحمد بن أبى دواد عدده مدائح، و سأله أن يقوم بأمره؛ منها قوله: يا أحمد بن أبى دواد إنما تدعى لكلّ عظيمه يا أحمد أبلغ أمير المؤمنين و دونه خوض الردى و مخاوف لا تنفذ أنتم بنو عمّ النبى محمد أولى بما شرع النبى محمد فلم يفعل و قعد عنه؛ فلما نفى المتوكل أحمد بن أبى دواد شمت به على بن الجهم، و هجاه بهذه الأبيات.

أبو الوليد بن أحمد بن أبي دواد و كان رتبه قاضيا (١) لا محكما جلدا و لا مستطرفا

و قال يهجوهُ لما فلج (٢) لم يبق منك سوى خيالك لامعا

ص: ١٢٥

١-١) و كان يتولى المظالم سرا بسامراء، و عزله المتوكل سنه ٢٣٧.

٢-٢) الديوان و الأغاني: «لا محكما جزلا» و الجزل هنا: الجيد الرأي.

و روى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني في ترجمه مروان بن أبي حفصه (١) الأصغر أن على بن الجهم خطب امرأه من قريش فلم يزوجه و بلغ المتوكل ذلك فسأل عن السب فحدث بقصه بنى سامه بن لؤى و أن أبا بكر و عمر لم يدخلاهم في قريش و أن عثمان أدخلهم فيها و أن عليا ع أخرجهم منها فارتدوا و أنه قتل من ارتد منهم و سبى بقيتهم فباعهم من مصقله بن هبيرة فضحك المتوكل و بعث إلى على بن الجهم فأحضره و أخبره بما قال القوم و كان فيهم مروان بن أبي حفصه المكنى أبا السمط و هو مروان الأصغر و كان المتوكل يغريه بعلى بن الجهم و يضعه على هجائه و ثلثه فيضحك منهما فقال مروان إن جهما حين تنسبه

فغضب على بن الجهم و لم يجبه لأنه كان يستحقره فأوماً إليه المتوكل أن يزيد فقال أ أنتم يا ابن جهم من قريش

فلم يجبه ابن الجهم فقال فيه أيضا على تعرضت لى ضله

ص: ١٢٤

(١ - ١) لم أجد هذا الخبر و هذا الشعر فيما طبع من كتاب الأغاني.

فأما نسب مصقله بن هبیره فإن ابن الكلبي قد ذكره في جمهره النسب فقال هو مصقله بن هبیره بن شبل بن يثربي بن إمري القيس بن ربيعه بن مالك بن ثعلبه بن شيبان بن ثعلبه بن عكابه بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديله بن أسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان

[خبر بني ناجيه مع علي]

و أما خبر بني ناجيه مع أمير المؤمنين ع

٥٦٨

١- فَقَدْ ذَكَرَهُ إِبرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الثَّقَفِيُّ فِي كِتَابِ الْغَمَارَاتِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ نَصْرِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِمَّنْ أَدْرَكَ أَمْرَ بَنِي نَاجِيَةَ قَالَ لَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلِيًّا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ دَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ غَيْرَ بَنِي نَاجِيَةَ فَأَنْتَهُمْ عَسِيكِرُوا فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ ع رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي خَيْلٍ لِيُقَاتِلَهُمْ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ مَا بِالْكُمْ عَسَكِرْتُمْ وَ قَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي الطَّاعَةِ غَيْرَكُمْ فَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ فِرْقَةٌ قَالُوا كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا وَ دَخَلْنَا فِيمَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَ نَحْنُ نُبَايِعُ كَمَا بَايَعَ النَّاسُ فَأَمَرَهُمْ فَاغْتَرَلُوا وَ فِرْقَةٌ قَالُوا كُنَّا نَصِيَارَى فَلَمْ نُسَلِمْ وَ خَرَجْنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا قَهْرُونَ فَأَخْرَجُونَا كُرْهًا فَخَرَجْنَا مَعَهُمْ فَهَزَمُوا فَنَحْنُ نَدْخُلُ فِيمَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ وَ نُعْطِيكُمْ الْجِزْيَةَ كَمَا أُعْطِينَاهُمْ فَقَالَ اغْتَرَلُوا فَاغْتَرَلُوا وَ فِرْقَةٌ قَالُوا كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا فَلَمْ يُعْجِبْنَا إِلَّا سِلَامٌ فَرَجَعْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ فَنَحْنُ نُعْطِيكُمْ الْجِزْيَةَ كَمَا أُعْطَاكُمْ النَّصَارَى فَقَالَ لَهُمْ تَوَبُوا وَ ارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَقَتَلَ مَقَاتِلَهُمْ وَ سَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَ قَدَّمَ بِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ ع

١- قَالَ ابْنُ هِلَالٍ الثَّقَفِيُّ وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي سَيِّفٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ الْأَزْدِيِّ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَعِينِ الْأَزْدِيِّ قَالَ (١) كَانَ الْخَرِيثُ بْنُ رَاشِدِ النَّاجِيِّ أَحَدَ بَنِي نَاجِيَةَ قَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ عَ صِفِّينَ فَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ عَ بَعْدَ انْقِضَاءِ صِفِّينَ وَ بَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَضِحَابِهِ يَمْشِي بَيْنَهُمْ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أُطِيعُ أَمْرَكَ وَلَا أُصَلِّيُ خَلْفَكَ وَ إِنِّي غَدًا لَمُفَارِقٌ لَكَ فَقَالَ لَهُ تَكَلُّتُكَ أُمَّكَ إِذَا تَنَقَّضَ عَهْدَكَ وَ تَعَصَّي رَبِّكَ وَ لَا تُضَيِّرْ إِلَّا نَفْسَكَ أَخْبِرْنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ وَ ضَمَمْتَ عَنِ الْحَقِّ إِذْ جَدَّ الْجِدُّ وَ رَكَنْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَنَا عَلَيْكَ رَادٌّ وَ عَلَيْهِمْ نَاقِمٌ وَ لَكُمْ جَمِيعًا مُبَايِنٌ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَ وَيَحِيكَ هَلُمَّ إِلَيَّ أَدَارِسِيكَ وَ أَنَاظِرُكَ فِي السُّنَنِ وَ أَفَاتِحِكَ أُمُورًا مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ فَلَعَلَّكَ تَعْرِفُ مَا أَنْتَ الْآنَ لَهُ مُنْكَرٌ وَ تُبْصِرُ مَا أَنْتَ الْآنَ عَنْهُ عَمَّ وَ بِهِ جَاهِلٌ فَقَالَ الْخَرِيثُ فَإِنِّي غَادٍ عَلَيْكَ غَدًا فَقَالَ عَلِيٌّ عَ أُعِدُّ وَ لَا يَسِيْ تَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ وَ لَا يَتَفَحَّمَنَّ بِكَ رَأْيُ السُّوءِ وَ لَا يَسِيْ تَخْفَنَّكَ الْجُهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَوَاللَّهِ إِنْ اشْتَرَشَدْتَنِي وَ اسْتَنْصَحْتَنِي وَ قَبِلْتَ مِنِّي لِأَهْدِيَنَّكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ.

فَخَرَجَ الْخَرِيثُ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا إِلَى أَهْلِهِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَعِينِ فَعَجَلْتُ فِي أَثَرِهِ مُسِيرِعًا وَ كَانَ لِي مِنْ بَنِي عَمِّهِ صَيْدِيْقُ فَارَدْتُ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَمِّهِ فِي ذَلِكَ فَأَعْلَمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَمْرَ ابْنِ عَمِّهِ أَنْ يَشْتَدَّ بِلِسَانِهِ عَلَيْهِ وَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنَاصِيحَتِهِ وَ يُخْبِرَهُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ الْآخِرَةِ.

قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ قَدَّ سَبَقَنِي فَقُمْتُ عِنْدَ بَابِ دَارِ فِيهَا رِجَالٌ مِنْ أَضِحَابِهِ لَمْ يَكُونُوا شَاهِدُوا مَعَهُ دُخُولَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَ

ص: ١٢٨

(١-١) و انظر الخبر أيضا في تاريخ الطبري ٥: ١١٣ و ما بعدها.

وَلَا نَدِمَ عَلَيَّ مَا قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ وَ لَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ يَا هَؤُلَاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ وَقَدْ فَارَقْتُهُ عَلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ مِنْ غَدٍ وَلَا أَرَى إِلَّا الْمَفَارِقَةَ فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ لَا تَفْعَلْ حَتَّى تَأْتِيَهُ فَإِنْ أَتَاكَ بِأَمْرٍ تَعْرِفُهُ قَبِلْتُمْ مِنْهُ وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى فَمَا أَقْدَرَكُ عَلَيَّ فِرَاقِهِ قَالَ لَهُمْ نَعَمْ مَا رَأَيْتُمْ قَالَ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِمْ فَأَذِنُوا لِي فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ ابْنَ عَمِّهِ وَهُوَ مُدْرِكُ بَنِي الرَّيَّانِ النَّاجِيَّ وَكَانَ مِنْ كِبَرَاءِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا لِإِحْسَانِكَ وَوَدِّكَ وَحَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَيَّ الْمُسْلِمِ (١) إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ ذَكَرَ لِمَكَ فَأَخْلَجَ بِهِ فَارْدُودٌ عَلَيْهِ رَأْيُهُ وَعَظُمَ عَلَيْهِ مَا أَتَى وَاعْلَمْ أَنِّي خَائِفٌ إِنْ فَارَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلَكَ وَنَفْسَهُ وَعَشِيرَتَهُ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ إِنْ أَرَادَ فِرَاقَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَفَى ذَلِكُ هَلَاكُهُ وَإِنْ اخْتَارَ مُنَاصِبَ حَتْمِهِ وَالْإِقَامَةَ مَعَهُ فَفِي ذَلِكَ حِطَّةٌ وَرُشْدَةٌ.

قَالَ فَأَرَدْتُ الرُّجُوعَ إِلَى عَلِيٍّ عَ لِأَعْلِمَهُ الَّذِي كَانَ ثُمَّ اطْمَأْنَنْتُ إِلَى قَوْلِ صَاحِبِي فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَبِتُّ ثُمَّ أَصِيبُحْتُ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ سَاعَةً وَ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِالَّذِي كَانَ عَلَيَّ خَلْوَهُ فَأَطْلُتُ الْجُلُوسَ وَلَا يَزِدَادُ النَّاسُ إِلَّا كَثْرَةً فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ وَرَاءَهُ فَأَصِغَى إِلَيَّ بِرَأْسِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْخَرِيَّتِ وَمَا قُلْتُ لِابْنِ عَمِّهِ وَمَا رَدَّ عَلَيَّ فَقَالَ عَ دَعُهُ فَإِنَّ قَبْلَ الْحَقِّ وَرَجَعَ عَرَفْنَا لَهُ ذَلِكَ وَقَبَلْنَا مِنْهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلِمَ لَا تَأْخُذُهُ الْآنَ فَتَسْتَتَوِّقُ مِنْهُ فَقَالَ إِنَّا لَوْ فَعَلْنَا هَذَا بِكُلِّ مَنْ يُتَّهَمُ مِنَ النَّاسِ مَلَأْنَا السُّجُونَ مِنْهُمْ وَلَا أَرَانِي يَسْعَى الْوُثُوبُ بِالنَّاسِ وَالْحَبْسُ لَهُمْ وَعُقُوبَتُهُمْ حَتَّى يُظْهِرُوا لِي الْخِلَافَ.

قَالَ فَسَكَتُ عَنْهُ وَتَنَحَّيْتُ فَجَلَسْتُ مَعَ أَصْحَابِي هُنَيْهَةً فَقَالَ لِي عَ

ص: ١٢٩

(١-١) في الطبري: «بعد حقَّ المسلم على المسلم».

أَذُنْ مِنْى فَدَنَوْتُ فَقَالَ لى مُسِرًّا إِذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ فَاعْلَمْ مَا فَعَلَ فَإِنَّهُ قَلَّ يَوْمَ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينى فِىهِ قَبْلَ هِذِهِ السَّاعَةِ فَاتَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَبَادَا لَيْسَ فى مَنْزِلِهِ مِنْهُمْ دَيَّارٌ فَدَرْتُ عَلَى أَبْوَابِ دُورٍ أُخْرى كَمَا فِىهَا طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَبَادَا لَيْسَ فِىهَا دَاعٍ وَ لَا مُجِيبٌ فَأَقْبَلْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ لى حِينَ رَأَيْتُ أَوْطَنُوا (١) فَأَقَامُوا أَمْ جَبَنُوا فَطَعَنُوا قُلْتُ لَا بَلْ طَعَنُوا فَقَالَ أْبَعْدَهُمُ اللَّهُ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ قَدْ أَشْرَعَتْ لَهُمُ الْأَسِنَّةُ وَ صُيِّبَتْ عَلَى هَامِهِمُ السُّيُوفُ لَقَدْ نَدِمُوا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدِ اسْتَهْوَاهُمْ وَ أَضَلَّهُمْ وَ هُوَ غَدَاً مُتَّبِرٌ مِنْهُمْ وَ مَحَلٌّ عَنْهُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ زِيَادُ بْنُ خَصِيفَةَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَضَرَّةِ هَؤُلَاءِ إِلَّا فِرَاقُهُمْ إِيَّانَا لَمْ يَعْظُمَ فَقَدْهُمْ عَلَيْنَا فَإِنَّهُمْ قَلَّمَا يَزِيدُونَ فِى عِدَدِنَا لَوْ أَقَامُوا مَعَنَا وَ قَلَّمَا يَنْقُصُونَ مِنْ عِدَدِنَا بِخُرُوجِهِمْ مِنَّا وَ لَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْسِدُوا عَلَيْنَا جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِمَّنْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ فَأَنْذَرْتُ لى فِى اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى أَرُدَّهُمْ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقَالَ لَهُ عَ فَاخْرُجْ فِى آثَارِهِمْ رَاشِدًا فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَخْرُجَ قَالَ لَهُ وَ هَلْ تَدْرِى أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ قَالَ لَا وَ اللَّهُ وَ لَكِنِّى أَخْرُجُ فَاسْأَلْ وَ اتَّبِعِ الْمَأْتِرَ فَقَالَ أَخْرُجْ رَحِمَكَ اللَّهُ حَتَّى تَنْزِلَ دَيْرُ أَبِي مُوسَى ثُمَّ لَا تَبْرَحْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرى فَإِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا خَرَجُوا ظَاهِرِينَ بِيَارِزِينَ لِلنَّاسِ فِى جَمَاعَةٍ فَإِنَّ عَمَالى سَيَكْتُبُ إِلَيْ بِذَلِكَ وَ إِنْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ مُسْتَخْفِينَ فَذَلِكَ أَخْفَى لَهُمْ وَ سَأَكْتُبُ إِلَيْ مَنْ حَوْلى مِنْ عَمَالى فِيهِمْ.

فَكُتِبَ نُسخَهُ وَاحِدَةً وَ أَخْرَجَهَا إِلَى الْعَمَالِ:

مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قُرئَ عَلَيْهِ كِتَابى هَذَا مِنَ الْعَمَالِ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ رِجَالًا لَنَا عِنْدَهُمْ تَبِعَهُ خَرَجُوا هَرَابًا نَظُّهُمْ خَرَجُوا نَحْوَ بِلَادِ الْبَصْرَةِ فَاسْأَلْ عَنْهُمْ أَهْلَ بِلَادِكَ وَ اجْعَلْ عَلَيْهِمُ الْعِيُونَ فِى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِكَ ثُمَّ اكْتُبْ إِلَيْ بِمَا يَنْتَهى إِلَيْكَ عَنْهُمْ وَ السَّلَامُ.

ص: ١٣٠

فَخَرَجَ زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ حَتَّى أَتَى دَارَهُ وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَدَيْتَنِي لِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ مُهِمٌّ لَهُ وَ أَمَرَنِي بِالْإِنكِمَاشِ فِيهِ بِالْعَشِيرَةِ حَتَّى آتَيْتُ أَمْرَهُ وَ أَنْتُمْ شَيْعَتُهُ وَ أَنْصَارُهُ وَ أَوْثَقُ حَتَّى مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي نَفْسِهِ فَانْتَدَبُوا مَعِيَ السَّاعَةَ وَ عَجَّلُوا فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِائَةٌ وَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَقَالَ اكْتَفَيْنَا لَا نُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَخَرَجَ حَتَّى قَطَعَ الْجِسْرَ ثُمَّ أَتَى دَيْرَ أَبِي مُوسَى فَزَلَّهُ فَأَقَامَ بِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ذَلِكَ يَنْتَظِرُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

٥٧٠

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ فَخَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ أَبِي سَيْفٍ عَنِ أَبِي الصَّلْتِ التَّيْمِيِّ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَأَلِ التَّيْمِيِّ قَالَ إِنِّي لَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا فَيُجَّحُ (١) قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى بِكِتَابٍ مِنْ قَرظَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ وَ كَانَ أَحَدَ عَمَّالِهِ فِيهِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرظَةَ بْنِ كَعْبٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ خَيْلًا مَرَّتْ مِنْ قَبْلِ الْكُوفَةِ [مُتَوَجِّهَةً]

(٢) نَحْوَ نَهْرٍ وَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ دَهَاقِينَ أَسْفَلَ الْفُرَاتِ قَدْ أَسْلِمَ وَ صِلَى يُقَالُ لَهُ زَادَانُ فَرُوخٌ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِ أَخْوَالِهِ لَهُ فَلَقُوهُ فَقَالُوا لَهُ أَسْلِمْتَ أَنْتَ أَمْ كَافِرٌ قَالَ بَلْ مُسْلِمٌ قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَالَ أَقُولُ فِيهِ خَيْرًا أَقُولُ إِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالُوا كَفَرْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنْهُمْ فَفَطَعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَ أَخَذُوا مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ يَهُودِيًّا فَقَالُوا لَهُ مَا دِينُكَ قَالَ يَهُودِيٌّ فَقَالُوا

ص: ١٣١

١- (١) الفيح: رسول السلطان على رجليه؛ فارسي معرب «بيك». تاج العروس ٢: ٨٩.

٢- (٢) تكمله من تاريخ الطبري. و نفر: بلده على نهر النرس.

خَلَوْا سَبِيلَ هَذَا لَا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا ذَلِكَ الدَّمِيُّ فَأَخْبَرَنَا الْخَبَرَ وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُمْ فَلَمْ يُخْبِرْنِي أَحَدٌ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ فَلْيَكْتُبْ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ بِرَأْيِ أُنْتَهُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ فَهَمْتُ مِمَّا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَابِ الَّتِي مَرَّتْ بِعَمَلِكَ فَقَتَلْتَ الْبُرِّ الْمُسْلِمَ وَ أَمِنْ عِنْدَهُمْ
الْمُخَالِفُ الْمَشْرِكُ (١) وَإِنَّ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ اسْتَهْوَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَضَلُّوا كَالَّذِينَ حَسَبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَ صَمُّوا فَ أَسْمِعْ بِهِمْ وَ
أَبْصِرْ يَوْمَ تُخْبَرُ (٢) أَعْمَالُهُمْ فَالزَّمْ عَمَلَكَ وَ أَقْبَلْ عَلَى خِرَاجِكَ فَإِنَّكَ كَمَا ذَكَرْتَ فِي طَاعَتِكَ وَ نَصِيحَتِكَ وَ السَّلَامُ قَالَ فَكَتَبَ
عَلِيٌّ عَ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصِيفَةَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَ أَلِ التَّيْمِيِّ كِتَابًا تُشِيخَتُهُ أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكَ أَنْ تَنْزِلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى حَتَّى
يَأْتِيكَ أَمْرِي وَ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ أَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ وَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ أَحْمَدُوا نَحْوَ قَوْمِهِ مِنْ قَوْمِ السَّوَادِ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ وَ سَبَلُوا
عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مُسْلِمًا مُصَلِّيًا فَإِذَا أَنْتَ لِحَقَّتْ بِهِمْ فَارُدُّهُمْ إِلَيَّ فَإِنْ أَبَوْا فَتَاجِزْهُمْ وَ اسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ
فَإِنَّهُمْ قَدْ فَارَقُوا الْحَقَّ وَ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَ أَخَافُوا السَّبِيلَ وَ السَّلَامُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَ أَلِ فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ عَ وَ أَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ فَمَضَيْتُ بِهِ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا
أَمْضَيْتَ مَعَ زِيَادِ بْنِ خَصِيفَةَ إِلَى عَدُوِّكَ إِذَا دَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَكَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَفَعَلْ قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى
الْحَقِّ وَ أَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِمَقَالَتِهِ

ص: ١٣٢

١- (١) الطبري: «الكافر».

٢- (٢) كذا في ج و الطبري، و في ا، ب تحشر: «».

تِلْكَ حُمْرُ النَّعَمِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلِيكَ أَنَا وَاللَّهِ حَيْثُ تُحِبُّ.

ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى زِيَادٍ بِالْكِتَابِ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ رَائِعٍ كَرِيمٍ وَعَلَى السَّلَاحِ فَقَالَ لِي زِيَادُ يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ مَا لِي عَنْكَ مِنْ غَنَى (١) وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ مَعِي فِي وَجْهِ هَذَا فَقُلْتُ إِنِّي قَدْ اسْتَأْذَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي فَسِرَّ بِذَلِكَ ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَسَأَلْنَا عَنْهُمْ فَقِيلَ أَخَذُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ فَلَحِقْنَاهُمْ وَهُمْ نُزُولٌ بِالْمَدَائِنِ وَقَدْ أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً وَقَدْ اسْتَرَاخُوا وَعَلَفُوا خِيُولَهُمْ فَهُمْ جَامُونَ مُرِيحُونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَقَدْ تَقَطَّعْنَا وَلَعَبْنَا وَنَصْنَا [نَصَبْنَا]

فَلَمَّا رَأَوْنَا وَبَّوْا عَلَيَّ خِيُولَهُمْ فَاسْتَوَوْا عَلَيْهَا فَجِئْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ فَنَادَى الْخَرِيتُ بِنِ رَاشِدٍ يَا عُمَيَانَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ أَمَعَ اللَّهُ وَكِتَابِهِ أَنْتُمْ أَمْ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ بْنُ حَصِيْفَةَ بَلْ مَعَ اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَسِينَةِ رَسُولِهِ وَمَعَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ آثَرٌ عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا ثَوَابًا وَلَوْ أَنَّهَا مِنْذُ يَوْمِ خُلِقَتْ إِلَى يَوْمِ تَفْنَى لَأَثَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَيُّهَا الْعُمَى الْأَبْصَارُ الصُّمُّ الْأَسْمَاعُ.

فَقَالَ الْخَرِيتُ فَأَخْبَرُونَا مَا تَرِيدُونَ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ وَكَانَ مُجْرَبًا رَفِيقًا قَدْ تَرَى مَا بِنَا مِنَ النَّصَبِ وَاللُّغُوبِ (٢) وَالَّذِي جِئْنَا لَهُ لَا يَصْلُحُ فِيهِ الْكَلَامُ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ أَصْحَابِكَ وَ لَكِنْ تَنْزِلُونَ وَنَنْزِلُ ثُمَّ نَخْلُو جَمِيعًا فَتَتَذَكَّرُ أَمْرَنَا وَنَنْظُرُ فِيهِ فَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا جِئْنَا لَهُ حَظًّا لِنَفْسِكَ قَبْلَتَهُ وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا أَسْمَعُ مِنْكَ أَمْرًا أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَ لَكَ لَمْ أَرُدَّهُ عَلَيْكَ.

فَقَالَ الْخَرِيتُ انزِلْ فَانزِلْ فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادٌ فَقَالَ انزِلُوا عَلَيَّ هَذَا الْمَاءِ فَأَقْبَلْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ فَانزَلْنَا بِهِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا فَتَفَرَّقْنَا فَتَحَلَّفْنَا عَشْرَةَ وَتِسْعَةَ وَ ثَمَانِيَةَ وَ سَبْعَةَ تَضَعُ كُلُّ حَلْقَةٍ طَعَامَهَا بَيْنَ أَيْدِيهَا لِتَأْكُلَ ثُمَّ تَقُومُ إِلَى الْمَاءِ فَتَشْرَبُ.

ص: ١٣٣

١-١) الطبري: «غناء».

٢-٢) الطبري: «من السغوب و اللغوب».

وَقَالَ لَنَا زِيَادٌ عَلَّقُوا عَلَيَّ خِيُولَكُمْ فَعَلَقْنَا عَلَيْهَا مَخَالِيهَا وَوَقَفَ زِيَادٌ فِي خَمْسَةِ فَوَارِسَ أَحَدُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَآلِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ وَ انْطَلَقَ الْقَوْمُ فَتَنَحَّوْا فَتَزَلُّوا وَ أَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادٌ فَلَمَّا رَأَى تَفَرَّقْنَا وَ تَحَلَّقْنَا قَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْتُمْ أَصْحَابُ حَرْبٍ وَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاءُواكُمْ السَّاعَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَا أَرَادُوا مِنْ غَرَّتِكُمْ أَفْضَلَ مِنْ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عَجَّلُوا قَوْمُوا إِلَى خِيُولِكُمْ فَأَسْرَعْنَا فَمِنَّا مَنْ يَتَوَضَّأُ وَ مِنَّا مَنْ يَشْرَبُ وَ مِنَّا مَنْ يَسْقِي فَرَسَهُ حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ أَتَيْنَا زِيَادًا وَ إِنَّ فِي يَدِهِ لَعَرْقًا (١) يَنْهَسُهُ فَنَهَسَ مِنْهُ نَهْسَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ثُمَّ أَتَى بِإِدَاوِهِ فِيهَا مَاءً فَشَرِبَ ثُمَّ أَلْقَى الْعَرَقَ مِنْ يَدِهِ وَ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ إِنَّا قَدْ لَقِينَا الْعَدُوَّ وَ إِنَّ الْقَوْمَ لَفِي عُدَّتِكُمْ وَ لَقَدْ حَزَرْتُهُمْ فَمَا أَطْرُقُ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ يَزِيدٌ عَلَى الْآخِرِ خَمْسَةَ نَفَرٍ فَإِنِّي أَرَى أَمْرَكُمْ وَ أَمْرَهُمْ سَيَصِيرُ إِلَى الْقِتَالِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَلَا تَكُونُوا أَعْجَزَ الْفَرِيقَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فَإِذَا دَنَوْتُ مِنْهُمْ وَ كَلَّمْتُ صَاحِبَهُمْ فَإِنْ تَابَعَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ وَ إِلَّا فَإِذَا دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَبَوْا عَلَى مُتُونِ خَيْلِكُمْ ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعًا غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ ثُمَّ اسْتَتَقَدَمَ أَمَامَنَا وَ أَنَا مَعَهُ فَسَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ يَقُولُ جَاءَكُمْ الْقَوْمُ وَ هُمْ كَالْوَنِ مُعَيُونَ وَ أَنْتُمْ جَائُونَ (٢) مَرِيحُونَ (٣) فَتَرَكْتُمُوهُمْ حَتَّى نَزَلُوا فَأَكَلُوا وَ شَرَبُوا وَ أَرَاخُوا دَوَابَّهُمْ هَذَا وَ اللَّهُ سُوءُ الرَّأْيِ.

قَالَ وَ دَعَا زِيَادٌ صَاحِبَهُمُ الْخَرِيبَ فَقَالَ لَهُ اعْتَرَلْ نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ فَقُلْتُ لِرِيَادٍ أَدْعُو لِمَكَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا حَتَّى نَلْقَاهُمْ فِي عَدَدِهِمْ فَقَالَ أَدْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ فَدَعَوْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ فَكُنَّا خَمْسَةَ وَ هُمْ خَمْسَةُ.

فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ مَا الَّذِي نَقَمْتَ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ عَلَيْنَا حَتَّى فَارَقْتَنَا فَقَالَ لَمْ أَرْضَ

ص: ١٣٤

١-١) العرق بالفتح: العظم بلحمه، و يقال: نهش اللحم، أى أخذه بمقدم أسنانه.

٢-٢) جم، من الجمام، و هو الراحه.

٣-٣) مريحون؛ من قولهم: أراح فلان: إذا رجعت إليه نفسه بعد الإعياء.

صَاحِبِكُمْ إِمَامًا وَ لَمْ أَرْضَ بِسَيَرَتِكُمْ سَيَرَهُ فَرَأَيْتُ أَنْ أَعْتَرِلَ وَ أَكُونَ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى الشُّورَى بَيْنَ النَّاسِ فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ هُوَ لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ رِضًا كُنْتُ مَعَ النَّاسِ.

فَقَالَ زِيَادٌ وَيَحْكُ وَ هَلْ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ يُدَانِي عَلِيًّا عَالِمًا بِاللَّهِ وَ بِكِتَابِهِ وَ سُنَّتِهِ رَسُولِهِ مَعَ قَوَائِمِهِ وَ سَابِقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ الْخَزِيئَةُ هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ فَقَالَ فَيَمِمْ قَتَلْتُمْ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ فَقَالَ الْخَزِيئَةُ مَا أَنَا قَتَلْتُهُ قَتَلْتَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِي قَالَ فَادْفَعْتُمْ إِلَيْنَا قَالَ مَا إِلَيْ ذَلِكُ مِنْ سَبِيلٍ قَالَ أَوْ هَكَذَا أَنْتَ فَاعِلٌ قَالَ هُوَ مَا تَسْمَعُ.

قَالَ فَادْعُونَا أَصِيحَابَنَا وَ دَعَا الْخَزِيئَةُ أَصِيحَابَهُ ثُمَّ افْتَتَلْنَا فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ قِتَالًا مِثْلَهُ مُنْذُ خَلَقَنِي اللَّهُ لَقَدْ تَطَاعْنَا (١) بِالرِّمَاحِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِينَا رُمْحٌ ثُمَّ اضْطَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ حَتَّى انْحَنَّتْ وَ عُقِرَتْ (٢) عِيَامُهُ خَيْلَنَا وَ خَيْلِهِمْ وَ كَثُرَتِ الْجِرَاحُ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ وَ قُتِلَ مِنَّا رَجُلَانِ مَوْلَى لَزِيَادٍ كَانَتْ مَعَهُ رَأْيَتُهُ يُدْعَى سُوَيْدًا وَ رَجُلٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ يُدْعَى وَاقِدَ بْنَ بَكْرٍ وَ صِيرِعَ مِنْهُمْ خَمْسَهُ نَفْرٍ وَ حَالَ اللَّيْلِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ وَ قَدْ وَ اللَّهُ كَرِهُونَا وَ كَرِهْنَاهُمْ وَ هَرُونَا وَ هَرَزْنَاهُمْ (٣) وَ قَدْ جَرِحَ زِيَادٌ وَ جَرِحْتُ ثُمَّ إِنَّا بَنْنَا فِي جَانِبٍ وَ تَنَحَّوْا فَمَكَّثُوا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ مَضَوْا فَذَهَبُوا وَ أَصِيحْبَانَا فَوَجَدْنَاهُمْ قَدْ ذَهَبُوا فَوَ اللَّهُ مَا كَرِهْنَا ذَلِكُ فَمَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْبُصَيْرَةَ وَ بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ أَتَوْا الْأَهْوَازَ (٤) فَنَزَلُوا فِي جِرَانِبٍ مِنْهَا وَ تَلَا حَقَّ بِهِمْ نَاسٌ مِنْ أَصِيحَابِهِمْ نَحْوَ مِائَتَيْنِ كَانُوا مَعَهُمْ بِالْكَوْفَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَنْهَضُونَ بِهِ (٥) مَعَهُمْ حِينَ نَهَضُوا فَاتَّبَعُوهُمْ مِنْ بَعْدِ لُحُوقِهِمْ بِالْأَهْوَازِ فَأَقَامُوا مَعَهُمْ.

قَالَ وَ كَتَبَ زِيَادٌ بُنْ خَصِيْفَهُ إِلَى عَلِيٍّ عَ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّا لَقِينَا عِدُوَّ اللَّهِ النَّاجِيَّ وَ أَصِيحَابَهُ بِالْمَيْدَانِ فَادْعُونَاهُمْ إِلَى الْهُدَى وَ الْحَقِّ وَ كَلِمَةِ

ص: ١٣٥

١-١ (١) الطبري: «اطعنا».

٢-٢ (٢) عقرت الدابة؛ إذا قطعت قوائمها بالسيف.

٣-٣ (٣) هزونا و هزوناهم؛ أي كرهونا و كرهناهم.

٤-٤ (٤) الأهواز: سبع كور بين البصرة و فارس.

٥-٥ (٥) الطبري: «ما ينهضهم».

السَّوَاءِ فَتَوَلَّوْا عَنِ الْحَقِّ وَ أَخَذَتْهُمُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَبَّ دَهُمَ عَنِ السَّبِيلِ فَقَصَبَ دُونَا وَ صَبَّ مَدَنَا صَبَّ مَدَّهُمْ فَاقْتُلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا مَا بَيْنَ قَائِمِ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ دَلَّكَتِ (١) الشَّمْسُ وَ اسْتَشْهَدَ مِنَّا رَجُلَانِ صَالِحَانِ وَ أُصِيبَ مِنْهُمُ خَمْسَةٌ نَفَرٍ وَ خَلَّوْا لَنَا الْمَعْرَكَةَ وَ قَدْ فَشَتْ فِيْنَا وَ فِيهِمُ الْجِرَاحُ ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَدْرَكُوا اللَّيْلَ خَرَجُوا مِنْ تَحْتِهِ مُتَنَكِّرِينَ إِلَى أَرْضِ الْأَهْوَازِ وَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ نَزَلُوا مِنَ الْأَهْوَازِ جَانِبًا وَ نَحْنُ بِالْبَصْرَةِ نُدَاوِي جِرَاحَنَا وَ نَنْتَظِرُ أَمْرَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ فَقَالَ أَصِيْلِحَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَكَانَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَعَثْتَهُمْ فِي طَلِبِهِمْ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا لِحِقُوهُمْ اسْتَأْصَلُوا شَأْفَتَهُمْ (٢) وَ قَطَعُوا دَابِرَهُمْ فَإِنَّمَا أَنْ تَلْقَاهُمْ بِأَعْدَادِهِمْ فَلَعَمْرِي لِيَصْبِرَنَّ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ وَ الْعِدَّةُ تَصْبِرُ لِلْعِدَّةِ فَيَقَاتِلُونَ كُلَّ الْقِتَالِ.

قَالَ فَقَالَ ع لَهُ تَجَهَّزْ يَا مَعْقِلُ إِلَيْهِمْ وَ نَدَبَ مَعَهُ أَلْفَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِيهِمْ يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ وَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بِالْبَصْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمَّا بَعِيدُ فَابْعَثْ رَجُلًا مِنْ قَيْلِكَ صَدِيقًا مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ فِي أَلْفِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلْيَتَّبِعْ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ فَهُوَ أَمِيرٌ أَصِيْحَابِهِ حَتَّى يَلْقَى مَعْقِلًا فَإِذَا لَقِيَهُ فَمَعْقِلُ أَمِيرُ الْفَرِيقَيْنِ فَلْيَسْمَعْ (٣) مِنْهُ وَ لِيُطِغَهُ وَ لَا يُخَالَفُهُ وَ مُزِيَادُ بْنُ حَصَفَةَ فَلْيُقْبَلْ إِلَيْنَا فَنَعْمَ الْمَرْءُ زِيَادٌ وَ نَعْمَ الْقَيْلُ قَيْلُهُ وَ السَّلَامُ

ص: ١٣٦

١-١) دلكت الشمس: اصفرت و جنحت للمغيب.

٢-٢) الشأفه في الأصل: قرحه تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب؛ و إذا قطعت مات صاحبها؛ و قولهم: استأصل الله شأفته؛ أي أذهب كما تذهب القرحة، و معناه أزاله من أصله.

٣-٣) الطبري: «فليسمع من معقل».

قَالَ وَ كَتَبَ عَ إِلَى زِيَادِ بْنِ خَصِيْفِهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ وَ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ بِهِ النَّاجِيَّ وَ أَصِيْحَابَهُ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَى اللَّهُ لَهُمْ فَهُمْ حَيَارَى عَمُونَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ صِنْعًا وَ وَصَيْفَتْ مَا بَلَغَ بِكَ وَ بِهِمُ الْأَمْرُ فَأَمَّا أَنْتَ وَ أَصِيْحَابُكَ فَلِلَّهِ سَعْيُكُمْ وَ عَلَيْهِ جَزَاؤُكُمْ وَ أَيْسَرُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي يُقْبَلُ الْجَاهِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَلَيْهَا فَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَ لَنْجَزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١) وَ أَمَّا عَدُوُّكُمْ الَّذِينَ لَقِيتُمْ فَحَسِبْتُمْ خُرُوجَهُمْ مِنَ الْهُدَى وَ ارْتِكَاسَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَ رُدُّهُمْ الْحَقَّ وَ جَمَاحَهُمْ فِي التَّبِيهِ فَذَرَهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ وَ دَعَهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ فَ أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ فَكَأَنَّكَ بِهِمْ عَنْ قَلِيلٍ بَيْنَ أَسِيرٍ وَ قَتِيلٍ فَاقْبَلْ إِلَيْنَا أَنْتَ وَ أَصِيْحَابُكَ مَا جُورِينَ فَقَدْ أَطَعْتُمْ وَ سَجَّعْتُمْ وَ أَحْسَنْتُمْ الْبَلَاءَ وَ السَّلَامَ.

قَالَ وَ نَزَلَ النَّاجِيَّ جَانِبًا مِنَ الْأَهْوَاِ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عُلُوجٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا مِمَّنْ أَرَادَ كَسِيرَ الْخُرَاجِ وَ مِنَ اللَّصُوصِ وَ طَائِفَةٍ أُخْرَى مِنَ الْأَعْرَابِ تَرَى رَأْيَهُ-

٥٧١

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ فَخَرَدْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَيْفٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُعَيْنٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَ أَخِي كَعْبُ بْنُ قُعَيْنٍ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ أَنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ع يُوَدِّعُهُ فَقَالَ يَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْغِ عَلَى أَهْلِ الْقَبْلَةِ وَ لَا تَظْلِمِ أَهْلَ الدِّمَةِ وَ لَا تَتَكَبَّرِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ مَعْقِلُ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ فَقَالَ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ .

ص: ١٣٧

١-١) سورة النحل ٩٦.

٢-٢) الطبري: «أقبل إلى علي».

ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ الْأَهْوَازَ فَأَقَمْنَا نَنْتَظِرُ بَعَثَ الْبَصِيرَةَ فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَقَامَ مَعْقِلٌ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدِ انْتِظَرْنَا أَهْلَ الْبَصِيرَةَ وَ قَدْ أَبْطَأُوا عَلَيْنَا وَ لَيْسَ بِنَا بِحَمِيدِ اللَّهِ قَلْبُهُ وَ لَا وَحْشَهُ إِلَى النَّاسِ فَسَيُرُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْعِمْدِ وَالْقَلِيلِ الدَّلِيلِ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْصُرَكُمْ اللَّهُ وَ يُهْلِكَهُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ أَخِي كَعْبُ بْنُ قَعِينٍ فَقَالَ أَصِيبَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَأَيْنَا رَأْيَكَ وَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ إِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَإِنَّ فِي الْمَوْتِ عَلَى الْحَقِّ لَتَعْزِيهِ عَنِ الدُّنْيَا فَقَالَ سَيُرُوا عَلَى بَرَكَهِ اللَّهُ فَسَيُرْنَا فَوَ اللَّهُ مَا زَالَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ لِي وَ لِأَخِي مُكْرَمًا وَ إِذَا مَا يَعِيدُ بِنَا أَحَدًا مِنَ الْجُنْدِ وَ لَا يَزَالُ يَقُولُ لِأَخِي كَيْفَ قُلْتَ إِنْ فِي الْمَوْتِ عَلَى الْحَقِّ لَتَعْزِيهِ عَنِ الدُّنْيَا صَدَقْتَ وَ اللَّهُ وَ أَحْسَنْتَ وَ وَفَّقْتَ وَ وَفَّقَكَ اللَّهُ قَالَ فَوَ اللَّهُ مَا سِرْنَا يَوْمًا وَ إِذَا بَفَيْحٍ (١) يَشْتَدُّ بِصَحيفِهِ فِي يَدِهِ.

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنْ أَدْرَكَكَ رَسُولِي بِالْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ مُقِيمًا بِهِ أَوْ أَدْرَكَكَ وَ قَدْ شَخَّصَيْتَ مِنْهُ فَلَا تَبْرَحَنَّ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْكَ رَسُولِي وَ أَنْتَ فِيهِ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ بَعُثْنَا الَّذِي وَجَّهْنَا إِلَيْكَ فَتَمُدَّ وَجْهَهُ إِلَيْكَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ الطَّائِيَّ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَ الصَّلَاحِ وَ النَّجْدِ فَاسْمَعْ مِنْهُ وَ اعْرِفْ ذَلِكَ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ السَّلَامُ.

قَالَ فَقَرَأَهُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَسَرُّوا بِهِ وَ حَمِدُوا اللَّهَ وَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ الْوَجْهَ هَالَهُمْ وَ أَقَمْنَا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ الطَّائِيَّ وَ جَاءَنَا حَتَّى دَخَلَ عَلَى صَاحِبِنَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ وَ اجْتَمَعْنَا جَمِيعًا فِي عَشِيرِكِ وَاحِدٍ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى النَّجَاجِيِّ وَ أَصْحَابِهِ فَأَخَذُوا يَزْتَفِعُونَ نَحْوَ جِبَالِ رَامَهْرُمَزٍ يُرِيدُونَ قَلْعَهُ حَصَبِيَّةً وَ جَاءَنَا أَهْلُ الْبَلَدِ فَأَخْبَرُونَا بِذَلِكَ فَخَرَجْنَا فِي آثَارِهِمْ فَلَحِقْنَاهُمْ وَ قَدْ دَنَوْا مِنَ الْجَبَلِ فَصَيَّفْنَا لَهُمْ ثُمَّ أَقْبَلْنَا نَحْوَهُمْ فَجَعَلَ مَعْقِلٌ عَلَى مَيْمَنَتِهِ يَزِيدُ بْنُ الْمَعْقِلِ الْأَزْدِيُّ وَ عَلَى مَيْسَرَتِهِ مِنْجَابُ بْنُ رَاشِدٍ الصَّبِيِّ وَ وَفَّقَ

ص: ١٣٨

الْخَرِيْتُ بْنُ رَاشِدِ النَّاجِيِّ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ فَكَانُوا مَيْمَنَةً وَجَعَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ وَالْعُلُوجَ وَمَنْ أَرَادَ كَسِيرَ الْخَرَاجِ وَجَمَاعَهُ مِنَ الْأَكْرَادِ مَيْسِرَةً.

قَالَ وَسَارَ فِينَا مَعْقِلٌ يُحْرَضُنَا وَيَقُولُ يَا عِبَادَ اللَّهِ لَا تَبِيدُوا الْقَوْمَ وَغَضُوا الْأَبْصَارَ وَأَقْلُوا الْكَلَامَ وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَأَبْشَرُوا فِي قِتَالِهِمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مَارِقَهُ مَرَقَتْ وَعُلُوجًا (١) مَنَعُوا الْخَرَاجَ وَلُصُوصًا وَأَكْرَادًا فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَإِذَا حَمَلَتْ فَشَدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

قَالَ فَمَرَّ فِي الصَّفِّ يُكَلِّمُهُمْ يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَقْبَلَ فَوَقَفَ وَسَطَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ وَنَظَرْنَا إِلَيْهِ مَا يَضِيغُ فَحَرَكَ رَأْسَهُ تَحْرِيكَتَيْنِ ثُمَّ حَمَلَ فِي الثَّلَاثَةِ وَحَمَلْنَا مَعَهُ جَمِيعًا فَوَلَّى اللَّهُ مَا صَبَرُوا لَنَا سَاعَةً حَتَّى وَلَّوْا وَانْهَزَمُوا وَقَتَلْنَا سَبْعِينَ عَرَبِيًّا مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ وَمِنْ بَعْضِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَنَحْوِ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْعُلُوجِ وَالْأَكْرَادِ.

قَالَ كَعْبٌ وَنَظَرْتُ فَإِذَا صَيْدِيْقِي مُيْدِرِكُ بْنُ الرَّيَّانِ قَتِيلًا وَخَرَاجَ الْخَرِيْتُ مُنْهَزِمًا حَتَّى لَحِقَ بِسَيْفِ (٢) مِنْ أَسْيَافِ الْبَحْرِ وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ كَثِيرٌ فَمَا زَالَ يَسِيرُ فِيهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى خِلَافِ عَلِيٍّ عَ وَيَزِيْنُ لَهُمْ فِرَاقَهُ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْهُدَى فِي حَزْبِهِ وَمُخَالَفَتِهِ حَتَّى اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وَأَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ بِالْفَتْحِ وَكُنْتُ أَنَا الَّذِي قَدِمَ بِالْكِتَابِ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي الْكِتَابِ لِعَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا لَقَيْنَا الْمَارِقِينَ وَ قَدِ اسْتَظْهَرُوا عَلَيْنَا بِالْمُشْرِكِينَ

ص: ١٣٩

١-١) العلوج: كفار العجم؛ واحده علج.

٢-٢) السيف، بالكسر: ساحل البحر.

فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا وَ لَمْ نَعُدْ فِيهِمْ سِيرَتَكَ فَلَمْ نَقْتُلْ مِنْهُمْ مُدِيرًا وَلَا أَسِيرًا وَ لَمْ نُدْفِ (١) مِنْهُمْ عَلَى جَرِيحٍ وَ قَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قَالَ فَلَمَّا قَدِمْتُ بِالْكِتَابِ عَلَى عَلِيٍّ عَ قَرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ اسْتَشَارَهُمْ فِي الرَّأْيِ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ عَامَّتِهِمْ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ قَالُوا نَرَى أَنْ تَكْتُبَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ يَتَّبِعُ آثَارَهُمْ وَ لَا يَزَالُ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَنْفِيَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يُفْسِدُوا عَلَيْكَ النَّاسَ .

قَالَ فَزِدْنِي إِلَيْهِ وَ كَتَبَ مَعِيَ أَمَّا بَعِيدٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَ خَدْلِهِ أَعْدَاءَهُ جَزَاكَ اللَّهُ وَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ الْبَلَاءَ وَ قَضَيْتُمْ مَا عَلَيْكُمْ فَاسْأَلْ عَنْ أَخِي بَنِي نَاجِيَةَ فَإِنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ فَيَسِّرْ إِلَيْهِ حَتَّى تَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيَهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا وَ لِلْفَاسِقِينَ وَلِيًّا وَ السَّلَامُ .

قَالَ فَسَأَلَ مَعْقِلٌ عَنْ مَسِيرِهِ وَ الْمَكَانِ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ فُتِبِّي بِمَكَانِهِ بِسَيْفِ الْبَحْرِ بِفَارِسَ وَ أَنَّهُ قَدْ رَدَّ قَوْمَهُ عَنْ طَاعِهِ عَلِيٍّ عَ وَ أَفْسَدَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ وَ مَنْ وَالَاهُمْ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ وَ كَانَ قَوْمُهُ قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ عَامَ صَفِيْنِ وَ مَنَعُوهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ أَيْضًا فَسَارَ إِلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَ الْبَصْرَةِ فَأَخَذُوا عَلَى أَرْضِ فَارِسَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَسْيَافِ الْبَحْرِ فَلَمَّا سَمِعَ الْخَزِيْبَةُ بْنُ رَاشِدٍ بِمَسِيرِهِ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ فَاسِيرًا إِلَيْهِمْ أَنِّي أَرَى رَأْيَكُمْ وَ إِنَّ عَلِيًّا مَا كَانَ يُنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْكَمَ الرُّجَالُ فِي دِينِ اللَّهِ وَ قَالَ لِمَنْ يَرَى رَأْيَ عُثْمَانَ وَ أَصْحَابِهِ أَنَا عَلَى رَأْيِكُمْ وَ إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا مَعْقُولًا وَ قَالَ لِمَنْ مَنَعَ الصَّدَقَةَ

ص : ١٤٠

شُدُّوا أَيْدِيَكُمْ عَلَىٰ صَدَقَاتِكُمْ ثُمَّ صَلُّوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ وَاعْبُدُوا إِنْ شِئْتُمْ عَلَىٰ فَقْرَائِكُمْ فَأَرْضِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِضَرْبٍ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ فِيهِمْ نَصِيحَةٌ كَثِيرَةٌ وَقَدْ كَانُوا أَسْلَمُوا فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ قَالُوا وَاللَّهِ لَمَدِينَا الَّذِي خَرَجْنَا مِنْهُ خَيْرٌ وَأَهْدَىٰ مِنْ دِينِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَنْهَاهُمْ دِينُهُمْ عَنِ سَفْكِ الدَّمَاءِ وَإِخَافِهِ السُّبُلِ فَرَجَعُوا إِلَىٰ دِينِهِمْ.

فَلَقِيَ الْخَزِيئَةَ أَوْلَيْتَكَ فَصَالَ وَيُحْكِمُ إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنَ الْقَتْلِ إِلَّا الصَّبْرُ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلِقَاتِلِهِمْ أَتَدْرُونَ مَا حَكَمَ عَلَيَّ فِيْمَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَىٰ ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ لَا وَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ لَهُ قَوْلًا وَلَا يَرَىٰ لَهُ عُذْرًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةً وَلَا يَدْعُوهُ إِلَيْهَا وَإِنَّ حُكْمَهُ فِيهِ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ سَاعَهُ يَسْتَيْمِكُنْ مِنْهُ فَمَا زَالَ حَتَّىٰ خَدَعَهُمْ وَجَاءَهُمْ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي نَاجِيَةَ فِي تِلْكَ النَّاجِيَةِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَكَانَ مُنْكَرًا دَاهِيًا.

قَالَ فَلَمَّا رَجَعَ مَعْقِلٌ قَرَأَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ كِتَابًا مِنْ عَلِيٍّ فِيهِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَيَارِقِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُزْتَدِينَ سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ وَابْتِغَىٰ بَعْدَ الْمَوْتِ وَافِيًا بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَائِنِينَ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَأَنْ أَعْمَلَ فِيكُمْ بِالْحَقِّ وَبِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ فَمَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ إِلَىٰ رَحْلِهِ وَكَفَّ يَدَهُ وَاعْتَزَلَ هَذَا الْمَارِقَ (١) الْهَالِكِ الْمُحَارِبِ (٢) الَّذِي حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَسَعَىٰ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَلَهُ الْأَمَانُ عَلَىٰ مَالِهِ وَدَمِهِ وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَىٰ حَرْبِنَا وَالْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِ وَجَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَالسَّلَامُ.

قَالَ فَاخْرَجَ مَعْقِلٌ رَأْيَهُ أَمَانٍ فَصَبَّ بِهَا وَقَالَ مَنْ أَتَاهَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا الْخَزِيئَةَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ نَابَدُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَتَفَرَّقَ عَنِ الْخَزِيئَةِ كُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ وَعَبَأَ مَعْقِلٌ بِنُ قَيْسِ أَصْحَابَهُ ثُمَّ زَحَفَ بِهِمْ نَحْوَهُ وَقَدْ حَضَرَ مَعَ الْخَزِيئَةِ جَمِيعٌ

ص: ١٤١

١ - ١) «الفاسق».

٢ - ٢) ساقطه من ج.

قَوْمِهِ مُسْلِمُهُمْ وَ نَصْرَائِيَّهُمْ وَ مَا نَعِيَ الصَّدَقَةَ مِنْهُمْ فَجَعَلَ مُسْلِمِيَهُمْ يَمْنَهُ وَ النَّصَارَى وَ مَا نَعِيَ الصَّدَقَةَ يَسْرَهُ وَ جَعَلَ يَقُولُ لِقَوْمِهِ امْنَعُوا
الْيَوْمَ حَرِيمَكُمْ وَ قَاتِلُوا عَنْ نِسَائِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ وَ اللّٰهَ لَئِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَيَقْتُلَنَّكُمْ وَ لَيَسْلُبَنَّكُمْ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ هَذَا وَ اللّٰهَ مَا جَرَّتْهُ عَلَيْنَا يَدُكَ وَ لِسَانُكَ فَقَالَ لَهُمْ قَاتِلُوا فَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدَلَ.

قَالَ وَ سَارَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ يُحَرِّضُ أَصْحَابَهُ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَ الْمَيْسِرَةِ وَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَا تَدْرُونَ مَا سَبَقَ إِلَيْكُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ
مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ إِنَّ اللّٰهَ سَاقَكُمْ إِلَى قَوْمٍ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ وَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَ نَكثُوا الْبَيْعَةَ ظُلْمًا وَ عُدْوَانًا إِنِّي شَهِيدٌ لِمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ
بِالْجَنَّةِ وَ مَنْ عَاشَ بِإِنِّ اللّٰهَ يُقَرُّ عَيْنُهُ بِالْفَتْحِ وَ الْغَنِيمَةِ فَفَعِلَ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّ بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ثُمَّ وَقَفَ فِي الْقَلْبِ بِرَأْيَتِهِ وَ بَعَثَ إِلَى
يَزِيدَ بْنِ الْمَعْقِلِ الْأَزْدِيِّ وَ هُوَ فِي الْمَيْمَنَةِ أَنْ أَحْمِلْ عَلَيْهِمْ فَحَمَلُوا لَهُ فَقَاتَلَ طَوِيلًا وَ قَاتَلُوهُ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى وَقَفَ مَوْقِفَهُ الَّذِي
كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَيْمَنَةِ ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْمِنْجَابِ بْنِ رَاشِدِ الصَّبِيِّ وَ هُوَ فِي الْمَيْسِرَةِ أَنْ أَحْمِلْ عَلَيْهِمْ فَحَمَلُوا لَهُ فَقَاتَلَ طَوِيلًا وَ قَاتَلُوهُ
ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى وَقَفَ مَوْقِفَهُ الَّذِي كَانَ فِي الْمَيْسِرَةِ ثُمَّ بَعَثَ مَعْقِلُ إِلَى مَيْمَنَتِهِ وَ مَيْسِرَتِهِ إِذَا حَمَلْتُمْ فَاحْمِلُوا جَمِيعًا ثُمَّ أُجْرِي فَرَسَهُ وَ
ضَرَبَهَا وَ حَمَلَ أَصْحَابَهُ فَصَبَرُوا لَهُمْ سَاعَةً.

ثُمَّ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ صُهَبَانَ الرَّاسِبِيَّ بَصَرَ بِالْخَرِيَّتِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ عَنْ فَرَسِهِ ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ وَ قَدْ جَرَحَهُ فَاخْتَلَفَا بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ فَقَتَلَهُ
النُّعْمَانُ وَ قُتِلَ مَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ سَبْعُونَ وَ مِائَةٌ وَ ذَهَبَ الْبَاقُونَ فِي الْأَرْضِ يَمِينًا وَ شِمَالًا وَ بَعَثَ مَعْقِلُ الْخَيْلَ إِلَى رِحَالِهِمْ فَسَبَى (١)
مَنْ أَدْرَكَ فِيهَا رِجَالًا وَ نِسَاءً وَ صَبِيَانًا ثُمَّ نَظَرَ فِيهِمْ فَمَنْ كَانَ مُسْلِمًا خَلَاهُ وَ أَخَذَ

ص: ١٤٢

بِيعْتَهُ وَخَلَى سَبِيلَ عِيَالِهِ وَ مَنْ كَانَ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ عَرَضَ عَلَيْهِ الرَّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ إِلَّا الْقَتْلَ فَأَسْلَمُوا فَخَلَى سَبِيلَهُمْ وَ سَبِيلَ عِيَالَتِهِمْ إِلَّا شَيْخًا مِنْهُمْ نَصْرَانِيًّا يُقَالُ لَهُ الرَّمَاحِسُ (١) بَنُ مَنْصُورٍ فَإِنَّهُ قَالَ وَ اللَّهُ مَا زِلْتُ (٢) مُصِيبًا مُذْ عَقَلْتُ إِلَّا فِي خُرُوجِي مِنْ دِينِي دِينَ الصِّدْقِ إِلَى دِينِكُمْ دِينَ السُّوءِ لَا وَ اللَّهُ لَا أَدْعُ دِينِي وَ لَا أَقْرُبُ دِينَكُمْ مَا حَيِّثُ.

فَقَدَّمَهُ مَعْقِلٌ فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ أَدُّوا مَا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ السِّنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَخَذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِقَالَيْنِ وَ عَمَدَ إِلَى النَّصَارَى وَ عِيَالَتِهِمْ فَاحْتَمَلَهُمْ مَعَهُ وَ أَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ يُشِيْعُونَهُمْ فَأَمَرَ مَعْقِلٌ بِرَدِّهِمْ فَلَمَّا ذَهَبُوا لِيَنْصَرِفُوا تَصَايَحُوا وَ دَعَا الرَّجَالُ وَ النِّسَاءُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

قَالَ فَلَقَدْ رَحِمْتُهُمْ رَحْمَةً مَا رَحِمْتَهَا أَحَدًا قَبْلَهُمْ وَ لَا بَعْدَهُمْ وَ كَتَبَ مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ عَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جُنْدِهِ وَ عَنْ عِدْوِهِ إِنَّا دَفَعْنَا إِلَى عِدْوِنَا بِأَسْيَافِ الْبُحْرِ فَوَجَدْنَا بِهَا قَبَائِلَ ذَاتَ حَدٍّ وَ عَدَدٍ وَ قَدْ جَمَعُوا لَنَا فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَ الطَّاعَةِ وَ إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَ السُّنَنِ وَ قَرَأْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ وَ رَفَعْنَا لَهُمْ رَايَةَ أَمِيَانٍ فَمِائَتِ الْإِنْيَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَ تَبَتَّ طَائِفَةٌ أُخْرَى فَقَبَلْنَا أَمْرَ النَّبِيِّ أَقْبَلْتُ وَ صِيَمَدْنَا إِلَى النَّبِيِّ أَذْبَرْتُ فَضَرَبَ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ وَ نَصَرْنَا عَلَيْهِمْ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَإِنَّا مَنَّا عَلَيْهِ وَ أَخَذْنَا بِيَعْتَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ وَ أَمَّا مَنْ ارْتَدَّ فَعَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الرَّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ إِلَّا فَتَلْنَاهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَفَتَلْنَاهُ وَ أَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّا سَبَيْنَاهُمْ وَ أَقْبَلْنَا بِهِمْ لِيَكُونُوا نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ كَيْ لَا يَمْنَعُوا الْجَزِيَّةَ وَ لَا يَجْتَرِئُوا عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَ هُمْ لِلصَّغَارِ وَ الدَّلَّةِ

ص: ١٤٣

١-١) كذا في تاريخ الطبري ١٢٨: ٥، و في الأصول: «الرماحس»، تحريف.

٢-٢) و في الأصول: «ما ظلت»، و الصواب ما أثبتته من الطبري.

أَهْلٌ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ عَلَيْكَ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَ أَوْجِبَ لَكَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالسَّلَامُ.

قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ بِالْأَسَارَى حَتَّى مَرَّ عَلَى مَضِيقِ بَنِي هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ وَ هُوَ عَامِلٌ لِعَلِيِّ ع عَلَى أَرْدَشِيرِ خَرَهُ (١) وَ هُمْ خَمْسِي مِائَةَ إِنْسَانٍ فَبَكَى إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَ الصَّبِيَّانُ وَ تَصَاحَى الرَّجَالُ يَا أَبَا الْفَضْلِ يَا حَامِلَ (٢) الثَّقَلِ يَا مُؤْوَى الضَّعِيفِ وَ فَكَأكَ الْعَصَاهِ امْتُنْ عَلَيْنَا فَاشْتَرْنَا وَ أَعْتَقْنَا فَقَالَ مَضِيقَهُ أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَتَصِدَّقَنَّ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصِدِّقِينَ فَبَلَغَ قَوْلَهُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَهُ قَالَهَا تَوَجُّعًا لَهُمْ وَ إِزْرَاءَ عَلِيٍّ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَ إِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَنَاءٌ بَيْنِي وَ بَيْنَ بَنِي وَائِلٍ .

ثُمَّ إِنْ مَضِيقَهُ بَعَثَ ذُهَيْلَ بْنَ الْحَارِثِ الدُّهْلِيِّ إِلَى مَعْقِلٍ فَقَالَ بَغْنَى نَصَارَى نَاجِيَهُ فَقَالَ أبيعُكُم بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَأَبَى عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يُرَاوِدُهُ حَتَّى بَاعَهُ إِيَاهُمْ بِخَمْسِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَ دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ وَ قَالَ عَجَلُ بِالْمِالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقَالَ مَضِيقَهُ أَنَا بَاعْتُ الْآنَ بِصِدْرٍ مِنْهُ ثُمَّ أَتْبَعُكَ بِصِدْرٍ آخَرَ ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ وَ أَقْبَلَ مَعْقِلٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ فَقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ وَ أَصَبْتَ وَ وَفَّقْتَ.

وَ انْتَهَرَ عَلِيٌّ ع مَضِيقَهُ أَنْ يَبْعَثَ بِالْمِالِ فَابْطَأَ بِهِ وَ بَلَغَ عَلِيًّا ع أَنَّ مَضِيقَهُ خَلَى الْأَسَارَى وَ لَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ فِي فَكَأكَ أَنْفُسِهِمْ بِشَيْءٍ فَقَالَ مَا أَرَى مَضِيقَهُ إِلَّا قَدْ حَمَلَ حَمَالَهُ وَ لَا أَرَاكُمْ إِلَّا سَتْرُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ مُبْلَدِحًا (٣) ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ

ص: ١٤٤

١ - ١) أردشير خره، بالفتح ثم السكون وفتح الدال المهملة و كسر الشين المعجمه و ياء ساكنه وراء، و خاء معجمه مضمومه، و راء مفتوحه مشدده و هاء: من كور فارس (مراصد الاطلاع).

٢ - ٢) الثقل. متاع الإنسان و حشمه.

٣ - ٣) المبلدح: الملقى على الأرض من الضرب.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَةِ خِيَانَةَ (١) الْأُمَّةِ وَ أَعْظَمِ الْغِشِّ عَلَى أَهْلِ الْمِصْرِ غِشُّ الْإِمَامِ وَ عِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ خَمْسٌ جَاءَهُ
أَلْفٌ دِرْهَمٌ فَابْعَثْ بِهَا إِلَى حِينَ يَأْتِيكَ رَسُولِي وَإِلَّا- فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَى رَسُولِي إِلَّا يَدْعُكَ
سَاعَةً وَاحِدَةً تُقِيمُ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَبْعَثَ بِالْمَالِ وَ السَّلَامِ.

وَ كَانَ الرَّسُولُ أَبُو جَرَّةَ الْحَنْفِيُّ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَرَّةَ إِنَّ تَبَعْتَ بِهَذَا الْمَالِ وَإِلَّا فَاشْخَصْ مَعِيَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ أَقْبَلَ
حَتَّى نَزَلَ الْبَصِيرَةَ وَ كَانَ الْعُمَالُ يَحْمِلُونَ الْمَالَ مِنْ كُورِ الْبَصِيرَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَكُونُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَ ثُمَّ أَقْبَلَ مِنَ الْبَصِيرَةِ حَتَّى أَتَى عَلِيًّا عَ بِالْكُوفَةِ فَأَقْرَهُ أَيَّامًا لَمْ يَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا ثُمَّ سَأَلَهُ الْمَالَ فَأَدَّى إِلَيْهِ مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَ
عَجَزَ عَنِ الْبَاقِي

٥٧٢

١- قَالَ فَرَوَى ابْنُ أَبِي سَيْفٍ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ عَنْ ذُهَلِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ دَعَانِي مَصِيْقَلُهُ إِلَى رَحْلِهِ فَقَدَّمَ عَشَاءً فَطَعِمْنَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ وَ
اللَّهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ يَشِيْءُ لِي هَذَا الْمَالَ وَ وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ لَوْ شِئْتُ لَمْ يَمُضِ عَلَيْكَ جُمُعُهُ حَتَّى تَجْمَعَ هَذَا الْمَالَ
فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَحْمِلَهَا قَوْمِي وَ لَا أَطْلُبُ فِيهَا إِلَى أَحَدٍ.

ثُمَّ قَالَ وَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ ابْنَ هِنْدٍ مُطَالِبِي بِهَا أَوْ ابْنُ عَفَّانٍ لَتَرَكَهَا لِي أَلَمْ تَرَ إِلَى عُثْمَانَ كَيْفَ أَعْطَى الْأَشْعَثَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ خَرَجِ
أَدْرِيْجِيَّانَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا لَا- يَرَى ذَلِكَ الرَّأْيَ وَ مَا هُوَ بِتَارِكٍ لَكَ شَيْئًا فَسَيَكْتُ سَاعَةً وَ سَيَكْتُ عَنْهُ فَمَا مَكَثَ لَيْلَةً
وَاحِدَةً (٢) بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا عَ فَقَالَ مَا لَهُ تَرَخَهُ اللَّهُ فَعَلَ السَّيِّدِ وَ فَرَّارَ الْعَبِيدِ وَ خَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زِدْنَا عَلَى حَبْسِهِ
فَإِنَّ وَجَدْنَا لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ

ص: ١٤٥

١- ١) كلمه «خيانته» ساقطه من ا،ب؛ ثابتة في ج و الطبري.

٢- ٢) الطبري: «فلا و الله ما مكث إلا ليله واحده».

وَإِنْ لَمْ نَجِدْ لَهُ مَالًا تَرَكَنَاهُ ثُمَّ سَارَ عَلِيٌّ ع إِلَى دَارِهِ فَهَدَمَهَا.

وَكَانَ أَخُوهُ نَعِيمٌ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ شَيْعَةً لِعَلِيٍّ ع مُنَاصِحًا حَافِكْتَبَ إِلَيْهِ مَصْقَلَهُ مِنَ الشَّامِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ نَصَارَى تَغْلِبَ يُقَالُ لَهُ حُلْوَانُ
أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَلَّمْتُ مُعَاوِيَةَ فِيكَ فَوَعَدَكَ الْكِرَامَةَ وَ مَنَّاكَ الْإِمَارَةَ فَأَقْبَلَ سَاعَةً تَلَقَى رَسُولِي وَ السَّلَامُ.

فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ فَسَرَّحَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ع فَأَخَذَ كِتَابَهُ فَقَرَأَهُ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَقَطَعَ يَدَهُ فَمَاتَ وَ كَتَبَ نَعِيمٌ إِلَى أَخِيهِ مَضِيْقَلَهُ
شِعْرًا لَمْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ (١) لَا تَزْمِينَنَّ هَذَاكَ اللَّهُ مُعْتَرِضًا

ص: ١٤٦

(١ - ١) الأبيات في تاريخ الطبري ١٣٠: ٥ و ما بعدها.

فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّ النَّصِيرَانِيَّ قَدْ هَلَكَ (١) وَ لَمْ يَلْبَثِ التَّغْلِيْبُونَ إِلَّا قَلِيْلًا حَتَّى بَلَغَهُمْ هَلَاكُ صَاحِبِهِمْ فَأَتَوْا مَضِيْقَهُ فَقَالُوا أَنْتَ أَهْلَكْتَ صَاحِبَنَا فِيمَا أَنْ تَحِيْنَا (٢) بِهِ وَ إِمَّا أَنْ تَدِيَهُ فَقَالَ أَمَّا أَنْ أَجِيءَ (٣) بِهِ فَلَسْتُ أَسْتَطِيْعُ ذَلِكُ وَ أَمَّا أَنْ أَدِيَهُ فَنَعْمَ فَوَدَاهُ

٥٧٣

١- قَالَ إِبْرَاهِيْمُ وَ حَدَّثَنِي إِبْنُ أَبِي سَيِّفٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قِيلَ لِعَلِيٍّ ع حِينَ هَرَبَ مَضَقَلَهُ ارْدُدِ الَّذِينَ سُبُوا وَ لَمْ تَسِيْتَوْفِ أَثْمَانَهُمْ فِي الرَّقِّ فَقَالَ لَيْسَ ذَلِكُ فِي الْقَضَاءِ بِحَقٍّ قَدْ عَتَقْتُمَا إِذْ أَعْتَقْتَهُمُ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ وَ صَارَ مَالِي دَيْنًا عَلَى الَّذِي اشْتَرَاهُمْ .

٥٧٤

١- وَ رَوَى إِبْرَاهِيْمُ أَيْضًا عَنْ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَبِيْبِ التَّمَارِ عَنْ عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ قَالَ لَمَّا هَرَبَ مَضَقَلَهُ قَالَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ع لَهُ يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ فَيَتَنَا قَالَ إِنَّهُ قَدْ صَارَ عَلَى غَرِيْمٍ مِنَ الْغُرَمَاءِ فَاطْلُبُوهُ .

وَ قَالَ ظِيَانُ بْنُ عَمَارَةَ أَحَدِ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ فِي بَنِي نَاجِيَةَ هَلَا صَبَرْتَ لِلْقِرَاعِ نَاجِيَا

وَ قَالَ ظِيَانُ أَيْضًا أَلَا فَاصْبِرُوا لِلطَّعْنِ وَ الضَّرْبِ نَاجِيَا

ص: ١٤٧

١- (١) الطبري: «فلما وقع الكتاب إليه علم أن رسوله قد هلك».

٢- (٢) الطبري: «تحية».

٣- (٣) الطبري: «أحيه».

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا عَ مُصَابَ بَنِي نَاجِيَةَ وَ قَتَلَ صَاحِبِهِمْ قَالَ هَوْتُ أُمُّهُ
مِا كَمَا أَنقَصَ عَقْلُهُ وَ أَجْرَاهُ إِنَّهُ جَاءَنِي مَرَّةً فَقَالَ إِنَّ فِي أَصْحَابِكَ رِجَالًا قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُفَارِقُوكَ فَمَا تَرَى فِيهِمْ فَقُلْتُ إِنِّي لَا
أَخْذُ عَلَى التَّهْمَةِ وَلَا أَعِاقِبُ عَلَى الظَّنِّ وَلَا أَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ خَالَفَنِي وَ نَاصِيَ بَنِي وَ أَظْهَرَ الْعِدَاوَةَ لِي ثُمَّ لَسْتُ مُقَاتِلَهُ حَتَّى أَدْعُوهُ وَ
أُعْذِرَ إِلَيْهِ (١) فَإِنْ تَابَ وَ رَجَعَ قَبْلَنَا مِنْهُ وَ إِنْ أَبِي إِلَّا الْإِعْتِزَامَ عَلَى حَرْبِنَا اسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِ وَ نَاجِزْنَاهُ فَكَفَّ عَنِّي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ
جَاءَنِي مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ لِي إِنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ وَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ الطَّائِفِيُّ إِنِّي سَمِعْتُهُمَا يَذْكُرَانِكَ
بِأَشْيَاءَ لَوْ سَمِعْتُهُمَا لَمْ تُفَارِقَهُمَا حَتَّى تَقْتُلَهُمَا أَوْ تُوثِقَهُمَا فَلَا يَزَالَانِ بِمَحْبِسِكَ أَبَدًا فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِيهِمَا فَمَاذَا تَأْمُرُنِي بِهِ
فَالَ إِنِّي أَمُرُكَ أَنْ تَدْعُو بِهِمَا فَتَضْرِبَ رِقَابَهُمَا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا وَرَعَ لَهُ وَ لَا عَقْلَ فَقُلْتُ لَهُ وَ اللَّهُ مَا أَظُنُّ لَكَ وَرَعًا وَ لَا عَقْلًا لَقَدْ
كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي لَا أَقْتُلُ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْنِي وَ لَمْ يُظْهِرْ لِي عِدَاوَتَهُ لِلَّذِي كُنْتُ أَعْلَمْتُكَ مِنْ رَأْيِي حَيْثُ جِئْتَنِي فِي الْمَرَّةِ
الْأُولَى وَ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ لَوْ أَرَدْتَ قَتْلَهُمْ أَنْ تَقُولَ لِي اتَّقِ اللَّهَ بِمِ تَسْتَحِلُّ قَتْلَهُمْ وَ لَمْ يَقْتُلُوا أَحَدًا وَ لَمْ يُنَابِدُوكَ وَ لَمْ يَخْرُجُوا
مِنْ طَاعَتِكَ

فأما ما يقوله الفقهاء في مثل هذا السبى فقبل أن نذكر ذلك نقول إن الرواية قد

ص: ١٤٨

(١-١) أى يكون لى عنده عذر.

اختلفت في المرتدين من بنى ناجيه فالروايه الأولى التي رواها محمّد بن عبد الله بن عثمان عن نصر بن مزاحم تتضمن أن الأمير الذي من قبل علي ع قتل مقاتله المرتدين منهم بعد امتناعهم من العود إلى الإسلام و سبى ذراريهم فقدم بها علي علي ع فعلى هذه الروايه يكون الذين اشتراهم مصقله ذراري أهل الرده .

و الروايه الثانيه التي رواها محمّد بن عبد الله عن ابن أبي سيف تتضمن أن معقل بن قيس الأمير من قبل علي ع لم يقتل من المرتدين من بنى ناجيه إلا- رجلا- واحدا و أمّا الباقيون فرجعوا إلى الإسلام و الاسترقاق إنمّا كان للنصارى الذين ساعدوا في الحرب و شهروا السيف على جيش الإمام و ليسوا مرتدين بل نصارى في الأصل و هم الذين اشتراهم مصقله .

فإن كانت الروايه الأولى هي الصحيحه ففيها إشكال لأن المرتدين لا يجوز عند الفقهاء استرقاقهم و لا أعرف خلافا في هذه المسأله و لا- أظن الإماميه أيضا (١) تخالف فيها و إنمّا ذهب أبو حنيفه إلى أن المرأه المرتده إذا لحقت بدار الحرب جاز استرقاقها و سائر الفقهاء على خلافه و لم يختلفوا في أن الذكور البالغين من المرتدين لا يجوز استرقاقهم فلا أعلم كيف وقع استرقاق المرتدين من بنى ناجيه على هذه الروايه على أنى أرى أن الروايه المذكوره لم يصرح فيها باسترقاقهم و لا بأنهم بيعوا على مصقله لأن لفظ الراوى فأبوا فقتل مقاتلتهم و سبى ذراريهم فقدم بهم علي علي ع و ليس في الروايه ذكر استرقاقهم و لا بيعهم على مصقله بل فيها ما ينافى بيعهم على مصقله و هو قوله فقدم بهم علي علي ع فإن مصقله ابتاع السبى من الطريق في أردشيرخره قبل قدومه علي علي ع و لفظ الخبر فقدم بهم علي علي ع .و إنمّا يبقى الأشكال على هذه الروايه أن يقال إذا كان قد قدم بهم علي علي ع

ص: ١٤٩

فمصقله من اشترى و لا يمكن دفع كون مصقله اشترى قوما في الجملة فإن الخير بذلك مشهور جدا يكاد يكون متواترا.

فإن قيل فما قولكم فيما إذا ارتد البالغون من الرجال و النساء ثم أولدوا ذريه صغارا بعد الرده هل يجوز استرقاق الأولاد فإن كان يجوز فهلا- حملتم الخبر عليه قيل إذا ارتد الزوجان فحملت منه في حال الرده و أتت بولد كان محكوما بكفره لأنه ولد بين كافرين.

و هل يجوز استرقاقه فيه للشافعي قولان و أما أبو حنيفة فقال إن ولد في دار الإسلام لم يجز استرقاقه و إن ولد في دار الحرب جاز استرقاقه فإن كان استرقاق هؤلاء الذريه موافقا لأحد قولي الشافعي فلعله ذاك.

و أما الروايه الثانيه فإن كانت هي الصحيحه و هو الأولى فالفقه في المسأله أن الذمي إذا حارب المسلمين فقد نقض عهده فصار كالمشركين الذين في دار الحرب فإذا ظفر به الإمام جاز استرقاقه و بيعه و كذلك إذا امتنع من أداء الجزيه أو امتنع من التزام أحكام الإسلام .

و اختلف الفقهاء في أمور سبعة هل ينتقض بها عهدهم و يجوز استرقاقهم أم لا و هي أن يزني الذمي بمسلمه أو يصيبها باسم نكاح أو يفتن مسلما عن دينه أو يقطع الطريق على المسلمين أو يؤوى (١) للكفار عينا أو يدل على عورات المسلمين أو يقتل مسلما .

فأصحاب الشافعي يقولون إن شرط عليهم في عقد الذمه الكف عن ذلك فهل ينتقض عهدهم بفعله فيه و جهان و إن لم يشترط ذلك في عقد الذمه لم ينتقض عهدهم بذلك.

و قال الطحاوي من أصحاب أبي حنيفة ينتقض عهدهم بذلك سواء شورتوا عن

ص: ١٥٠

(١ - ١) ب: «يؤدى»، تحريف.

الكف عنه فى عقد الذمه أو لم يشارطوا عليه.

فنصارى

بنى ناجيه على هذه الروايه قد انتقض عهدهم بحرب المسلمين فأبيحت دماؤهم و جاز للإمام قتلهم و جاز له استرقاقهم كالمشركين الأصليين فى دار الحرب و أمّا استرقاق أبى بكر بن أبى قحافه لأهل الرده و سبيه ذراريهم فإن صح كان مخالفا لما يقول الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين إلا أن يقولوا إنه لم يسب المرتدين و إنما سبى من ساعدتهم و أعانهم فى الحرب من المشركين الأصليين و فى هذا الموضع نظر

ص: ١٥١

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَخْلُوقٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَ لَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ وَ الدُّنْيَا دَارٌ مِئِي لَهَا الْفَنَاءُ وَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَ هِيَ حُلُوهُ [خَضِرَةٌ]

خَضِرَاءُ وَ قَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ وَ التَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ فَارْتَحَلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَ لَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَ لَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ .

منى لها الفناء

أى قدر و الجلاء بفتح الجيم الخروج عن الوطن قال سبحانه وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ (١) .

و حلوه خضره مأخوذ من

٥٧٦

قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهُ خَضِرَةٌ وَ إِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاطِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .

و الكفاف من الرزق قدر القوت و هو ما كف عن الناس أى أغنى .

و البلاغ و البلغه من العيش ما يتبلغ به .

ص: ١٥٢

و اعلم أن هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين ع أحدهما حمد الله و الثناء عليه إلى قوله و لا تفقد له نعمه و الفصل الثاني ذكر الدنيا إلى آخر الكلام و أحدهما غير مختلط بالآخر و لا منسوق عليه و لكن الرضى رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين ع التقاطا و لا- يقف مع الكلام المتوالى لأن غرضه ذكر فصاحته ع لا غير و لو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذى جمعه

[فصل بلاغى فى الموازنه و السجع]

فأما الفصل الأول فمشتمل من علم البيان على باب كبير يعرف بالموازنه و ذلك غير مقنوط فإنه وازنه فى الفقره الثانيه بقوله و لا مخلو أ لا- ترى أن كل واحده منهما على وزن مفعول ثم قال فى الفقره الثالثه و لا مأىوس فجاء بها على وزن مفعول أيضا و لم يمكنه فى الفقره الرابعه ما أمكنه فى الأولى فقال و لا مستنكف فجاء به على وزن مستفعل و هو و إن كان خارجا عن الوزن فإنه غير خارج عن المفعوليه لأن مستفعل مفعول فى الحقيقه كقولك زيد مستحسن أ لا ترى أن مستحسنا من استحسنة فهو أيضا غير خارج عن المفعوليه .

ثم وازن ع بين قوله لا تبرح و قوله لا تفقد و بين رحمه و نعمه فأعطت هذه الموازنات الكلام من الطلاوه و الصنعه ما لا تجده عليه لو قال الحمد لله غير مخلو من نعمته و لا مبعده من رحمته لأن مبعده بوزن مفعول و هو غير مطابق و لا مماثل لمفعول بل هو بناء آخر.

و كذلك لو قال لا تزول منه رحمه فإن تزول ليست فى المماثله و الموازنه

لتفقد كتبرح ألا ترى أنّها معتله و تلك صحيحه و كذلك لو قال لا تبرح منه رحمه و لا يفقد له أنعام فإن أنعاما ليس فى وزن رحمه و الموازنه مطلوبه فى الكلام الذى يقصد فيه الفصاحه لأجل الاعتدال الذى هو مطلوب الطبع فى جميع الأشياء و الموازنه أعم من السجع لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل لو أوردتها على حرف واحد نحو القريب و الغريب و النسيب و ما أشبه ذلك و أمّا الموازنه فنحو القريب و الشديد و الجليل و ما كان على هذا الوزن و إن لم يكن الحرف الآخر بعينه واحدا و كل سجع موازنه و ليس كل موازنه سجعا و مثال الموازنه فى الكتاب العزيز وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١) و قوله تعالى لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ثُمَّ قَالَ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا ثُمَّ قَالَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا ثُمَّ قَالَ نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٢) فهذه الموازنه.

و ممّا جاء من المثال فى الشعر قوله بأشدهم بأسا على أعدائهم و أعزهم فقدا على الأصحاب.

فقوله و أعزهم بإزاء أشدهم و قوله فقدا بإزاء بأسا.

و الموازنه كثيره فى الكلام و هى فى كتاب الله تعالى أكثر

نبد من كلام الحكماء فى مدح القناعه و ذمّ الطمع

فأما الفصل الثانى فيشتمل على التحذير من الدنيا و على الأمر بالقناعه و الرضا بالكفاف فأما التحذير من الدنيا فقد ذكرنا و نذكر منه ما يحضرنا و أمّا القناعه فقد ورد فيها شىء كثير.

ص: ١٥٤

١-١) سورة الصافات ١١٨، ١١٧.

٢-٢) سورة مريم ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَخَوَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا تَيْئَسَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ مَا تَهَزُّهَزَتْ رُءُوسُكُمْ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ يُوَلَدُ لَا فِشْرَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَكْسُوهُ اللَّهُ وَ يَرْزُقُهُ.

وَ عَنْهُ ص وَ يُعَزِّي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع
الْقَنَاعَةُ كَثْرًا لَا يَنْفَدُ .

وَ مَا يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ كَفَى بِالْقَنَاعَةِ عِزًّا وَ بِطِيبِ النَّفْسِ نَعِيمًا.

وَ مِنْ كَلَامِ عِيسَى ع اتَّخِذُوا الْبُيُوتَ مَنَازِلَ وَ الْمَسَاجِدَ مَسَاجِنَ وَ كُلُوا مِنْ بَقْلِ الْبَرِّيَّةِ وَ اشْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَ اخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِسَلَامٍ لَعَمْرِي لَقَدْ انْقَطَعْتُمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَمَا ضَيَّعَكُمْ أَ فَتَخَافُونَ الضَّيْعَةَ إِذَا انْقَطَعْتُمْ إِلَيْهِ.

وَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ الْقَدِيمَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ أَ تَخَافُ أَنْ أَقْتَلَكَ بِطَاعَتِي هَزْلًا وَ أَنْتَ تَتَفَتَّقُ بِمَعْصِيَتِي سِمَنًا.

١٤- قَالَ أَبُو وَائِلٍ ذَهَبْتُ أَنَا وَ صَاحِبٌ لِي إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فَجَلَسْنَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَوْ لَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَهَى عَنِ التَّكْلِيفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ ثُمَّ حَيَاءٌ بِخُبْرٍ وَ مَلْحٌ سِادِجٌ لَا- أَبْرَارَ عَلَيْهِ فَقَالَ صَاحِبِي لَوْ كَانَ لَنَا فِي مَلِحِنَا هَذَا سِعْتَرٌ (١) فَبَعَثَ سَلْمَانُ بِمِطْهَرَتِهِ فَرَهْنَهَا عَلَيَّ سَعْتَرٍ فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَنَعَنَا بِمَا رَزَقَنَا فَقَالَ سَلْمَانُ لَوْ قَبِعْتَ بِمَا رَزَقَكَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتِي مَرْهُونَهُ

عباد بن منصور لقد كان بالبصرة من هو أفقه من عمرو بن عبيد و أفصح و لكنه كان أصبرهم عن الدينار و الدرهم فساد أهل البصرة. قال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فقال لا يأخذ أحد من أحد إلا ذل له و أنا أكره أن أذل لغير الله.

١-١) السعتر: نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبر.

كان معاش عمرو بن عبيد من دار ورثها كان يأخذ أجرتها في كل شهر ديناراً واحداً فيتبلغ به.

الخليل بن أحمد كان الناس يكتسبون الرغائب بعلمه و هو بين أخصاص البصره لا يلتفت إلى الدنيا و لا يطلبها.

وهب بن منبه أرملت مره حتى كدت أقنط فأتاني آت في المنام و معه شبه لوزه فقال افضض ففضضتها فإذا حريره فيها ثلاثه أسطر لا ينبغي لمن عقل عن الله أمره و عرف الله عدله أن يستبطئ الله في رزقه فقنعت و صبرت ثم أعطاني الله فأكثر.

٥٨٣

٢- قِيلَ لِلْحَسَنِ عِ إِنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ يَقُولُ الْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى وَالسُّقْمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ فَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ أَمَا أَنَا فَأَقُولُ مَنْ اتَّكَلَ إِلَى حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ فِي غَيْرِ الْحَيَالِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ لَهُ لَعَمْرِي يَا ابْنَ آدَمَ الطَّيْرُ لَا تَأْكُلُ رَعْدًا وَلَا تَخْبَأُ لِعَدِّهِ وَأَنْتَ تَأْكُلُ رَعْدًا وَتَخْبَأُ لِعَدِّهِ فَالطَّيْرُ أَحْسَنُ ظَنًّا مِنْكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

حبس عمر بن عبد العزيز الغداء عن مسلمته حتى برح به الجوع ثم دعا بسويق فسقاه فلما فرغ منه لم يقدر على الأكل فقال يا مسلمته إذا كفاك من الدنيا ما رأيت فعلام التهافت في النار .

عبد الواحد بن زيد ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا- الرضا و القناعه و لا أعلم درجه أرفع من الرضا و هو رأس المحبه.

قال ابن شبرمه في محمد بن واسع لو أن إنسانا اكتفى بالتراب لاكتفى به.

٥٨٤

يُقَالُ مِنْ جُمْلِهِ مَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى ع قُلْ لِعِبَادِي الْمُنْسَخَاتِينَ لِرِزْقِي إِيَّاكُمْ أَنْ أَعْصَبَ فَأَبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا.

ص: ١٥٦

كان لبعض الملوك نديم فسكّر ففاتته الصلاه فجاءت جاريه له بجمره نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا و انتقطع إلى العباده و قعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل و ابن عينه فإذا تحت رأسه لبنه و ليس تحت جنبه حصير فقالا له إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيرا منه فما عوضك قال القناعه و الرضا بما أنا فيه.

أصاب داود الطائي ضائقه شديده فجاء حماد بن أبي حنيفه بأربعمائه درهم من تركه أبيه فقال داود هي لعمرى من مال رجل ما أقدم عليه أحدا فى زهده و ورعه و طيب كسبه و لو كنت قابلا من أحد شيئا لقبقتها إعظاما للميت و إيجابا للحى و لكنى أحب أن أعيش فى عزّ القناعه.

سفيان الثورى ما أكلت طعام أحد قط إلا هنت عليه.

مسعر بن كدام من صبر على الخل و البقل لم يستعبد.

فضيل أصل الزهد الرضا بما رزقك الله أ لا تراه كيف يصنع بعبده ما تصنع الوالده الشقيقه بولدها تطعمه مره خبيصا (١) و مره صبرا تريد بذلك ما هو أصلح له.

٥٨٥

الْمَسِيحُ ع

أَنَا الَّذِي كَبَيْتُ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَ قَدَّرْتُهَا بِقَدْرِهَا لَيْسَ لِي وَلَدٌ يَمُوتُ وَ لَا يَبِيتُ يَخْرُبُ وَ سَادِي الْحَجْرُ وَ فِرَاشِي الْمَدْرُ وَ سِرَاجِي الْقَمْرُ.

٥٨٦

١- أمير المؤمنين ع أَكَلَ تَمْرَ دَقْلٍ (٢) ثُمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ مَاءً وَ مَسِيحَ بَطْنِهِ وَ قَالَ مَنْ أَدْخَلَتْهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَنْشَدَ فَإِنَّكَ إِِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَ فَرَجَكَ نَالًا مُتْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا (٣).

ص: ١٥٧

١-١) الخبيص: التمر المعمول من السمن و العسل.

٢-٢) الدقل: أرداد التمر.

٣-٣) البيت لحاتم الطائي، ديوانه ١٧ (طبع بيروت).

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ.

من كلام الحكماء من ظفر بالقناعه فقد ظفر بالكيماء الأعظم.

الحسن الحريص الراغب و القانع الزاهد كلاهما مستوف أجله مستكمل أكله غير مزداد و لا منتقص مما قدر له فعلام التفحم في النار .

إِنَّ مَسِيحُودَ رَفَعَهُ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ بِأَكْبَسَ مِنْ أَحَدٍ قَدْ كُتِبَ النَّصِيبُ وَ الْأَجَلَ وَ قُسِمَتِ الْمَعِيشَةُ وَ الْعَمَلُ وَ النَّاسُ يُجْرُونَ مِنْهُمَا إِلَى مُنْتَهَى مَعْلُومٍ.

الْمَسِيحُ ع

انظروا إلى طير السماء تغدو و تروح ليس معها شيء من أزراقها لا تحرث و لا تحصد و الله يرزقها فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير فهذه الوحوش من البقر و الحمير لا تحرث و لا تحصد و الله يرزقها.

سويد بن غفله كان إذا قيل له قد ولي فلان يقول حسبى كسرتى و ملحى.

وفد عروه (١) بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه خلته فقال له أ لست القائل لقد علمت و ما الإشراف من خلقى

فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق ثم اشتغل عنه فخرج و قعد على ناقته و نصها راجعا إلى الحجاز فذكره هشام فى الليل فسأل عنه فقيل إنه رجع إلى الحجاز فتدمر و ندم و قال رجل قال حكمه و وفد على مستجديا فجبته

ص: ١٥٨:

و رددته ثم وجه إليه بألفى درهم فجاء الرسول و هو بالمدينه فدفعها إليه فقال له قل لأمير المؤمنين كيف رأيت سعيت فأكدت و قعدت فى منزلى فأتانى رزقى.

عمر بن الخطاب تعلم أن الطمع فقر و أن اليأس غنى و من يئس من شىء استغنى عنه

٥٩٠

١٤- أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص طَائِرَانِ فَأَكَلَ أَحَدُهُمَا عَشِيَّةً فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلَبَ غَدَاءً فَأَتَتْهُ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ بِالطَّائِرِ الْآخَرَ فَقَالَ أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تَزْعِمَنِي شَيْئًا لَعْدٍ فَإِنَّ مَنْ خَلَقَ الْغَدَّ خَلَقَ رِزْقَهُ .

٥٩١

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزِقَ كَفَافًا وَ قَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ.

٥٩٢

مِنْ حِكْمِهِ سُلَيْمَانَ ع قَدْ جَرَّبْنَا لِيْنَ الْعَيْشِ وَ شِدَّتَهُ فَوَجَدْنَا أَمْنًا أَدْنَاهُ.

وهب فى قوله تعالى فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (١) قال القناعه.

بعض حكماء الشعراء فلا تجزع إذا أعسرت يوما

٥٩٣

١٤- عِبَائِشَةُ قَالَتْ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ أَرَدْتَ اللَّحُوقَ بِي فَيَكْفِيكَ مِنَ الدُّنْيَا زَادُ الرَّاِكِبِ وَ لَا تُخْلِقِي نَوْبًا حَتَّى تَزْعِمِيهِ وَ إِيَّاكَ وَ مُجَالَسَةَ الْأَغْيَاءِ .

ص: ١٥٩

يُقَالُ إِنَّ جَبْرَائِيلَ عَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا بَلْ جَوَعَتَانِ وَ شُبْعَةٌ.

وجد مكتوبا على صخره عاديه (١) يا ابن آدم لست ببالغ أملك و لا سابق أجلك و لا مغلوب على رزقك و لا مرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك.

الحسين بن الضحّاك

يا روح من عظمت قناعته

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ أَ تَدْرِي لِمَ رَزَقْتُ الْأَحْمَقَ قَالَ لَا قَالَ لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالِاحْتِمَالِ.

١٦- قَنَطَ (٢) يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ ع فِي الْجُبِّ لِجُوعِ اعْتِرَافِهِ فَأَوْحَى إِلَيْهِ انْظُرْ إِلَى حَائِطِ الْبَيْتِ فَنَظَرَ فَمَا نَفَرَ حِجَابُ الْحَائِطِ عَنْ ذَرَّةٍ عَلَى صَخْرِهِ مَعَهَا طَعَامُهَا فَقِيلَ لَهُ أَ تَرَانِي لَا أَغْفُلُ عَنْ هَذِهِ الذَّرَّةِ وَ أَغْفُلُ عَنْكَ وَ أَنْتَ نَبِيُّ ابْنِ نَبِيِّ .

١- دَخَلَ عَلِيُّ ع الْمَسْجِدَ وَ قَالَ لِرَجُلٍ أَمْسِكْ عَلَيَّ بَغْلَتِي فَخَلَعَ لِجَامَتِهَا وَ ذَهَبَ بِهِ فَخَرَجَ عَلِيُّ ع بَعِيدًا مَا قَضَى صِيْلَاتَهُ وَ بِيَدِهِ دِرْهَمَيْنِ إِنْ لِي دَفْعُهُمَا إِلَيْهِ مُكَافَأَةً لَهُ فَوَجِدَ الْبَغْلَةَ عَطْلًا فَدَفَعَ إِلَى أَحَدِ غُلَمَائِهِ الدَّرْهَمَيْنِ لِيَشْتَرِيَ بِهِمَا لِجَامًا فَصَادَفَ الْغُلَامَ اللَّجَامَ الْمُسِيرُوقَ فِي السُّوقِ قَدْ بَاعَهُ الرَّجُلُ بِدِرْهَمَيْنِ فَأَخَذَهُ بِالْدَّرْهَمَيْنِ وَ عَادَ إِلَى مَوْلَاهُ فَقَالَ عَلِيُّ ع إِنَّ الْعَبْدَ لِيَحْرَمُ نَفْسَهُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ

ص: ١٦٠

(١-١) عاديه، أى قديمه؛ نسبه إلى قبيله عاد البائده.

(٢-٢) من أبيات فى الحيوان ٥:٤٨٠؛ قال الجاحظ: «و هذا شعر رويته له على وجه الدهر، و زعم حسين بن الضحّاك أنه له، و كان يدعى ما ليس له».

سليمان بن المهاجر البجلي

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه

وقف بعض الملوكة على سقراط وهو في المشرقه (١) فقال له سل حاجتك قال حاجتي أن تزيل عني ظلك فقد منعتني الرفق (٢) بالشمس فأحضر له ذهباً و كسوه ديباج فقال إنه لا حاجه بسقراط إلى حجاره الأرض و لعاب الدود إنما حاجته إلى أمر يصحبه حيثما توجه.

صلى معروف الكرخي خلف إمام فلما انفتل سأل ذلك الإمام معروفاً من أين تأكل قال اصبر على حتى أعيد ما صليته خلفك قال لما ذا قال لأن من شك في الرزق شك في الرازق قال الشاعر ولا تهلكن النفس وجدا و حسره

٥٩٨

١- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَدْ مَلَأْتُ النَّاسَ وَ أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْحِقَ بِصِيحَابِي فَقَالَ إِنْ سَيَّرَكَ اللَّهُ بِهَمِّي فَقَصِّرْ أَمْلَكَ وَ كُلْ دُونَ الشُّبْعِ وَ اخْصِفِ النَّعْلَ (٣) وَ كُنْ كَمَيْشِ (٤) الْإِزَارِ مَرْقُوعِ الْقَمِيصِ تَلْحَقُ بِهِمَا .

ص: ١٦١

١-١) المشرقه: موضع القعود في الشمس في الشتاء.

٢-٢) الرفق بالشيء: الانتفاع به.

٣-٣) ا: «سداه لغيرك»؛ أي أعطاه.

٤-٤) خصف النعل: خرزها بالمخصف.

١- قِيلَ لِعَلِيٍّ ع لَوْ سُدَّ عَلَيَّ رَجُلٌ بَابُ بَيْتٍ وَ تُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ قَالَ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَأْتِيهِ أَجْلُهُ .

قال بعض الشعراء صبرت النفس لا أجزع

جاء فتح بن شخرف إلى منزله بعد العشاء فلم يجد عندهم ما يتعشى به و لا وجد دهنا للسراج و هم في الظلمه فجلس ليله يبكي من الفرح و يقول بأى يد قد كانت منى بأى طاعه تنعم على بأن أترك على مثل هذه الحال.

لقى هرم بن حيان أويسا القرني فقال السلام عليك يا أويس بن عامر فقال و عليك السلام يا هرم بن حيان فقال هرم أما إننى عرفتك بالصفه فكيف عرفتني قال إن أرواح المؤمنين لتشام كما تشام الخيل فيعرف بعضها بعضا قال أوصنى

قال عليك بسيف البحر قال فمن أين المعاش قال أف لك خالطت الشك الموعظه أ تفر إلى الله بدينك و تتهمه في رزقك.

منصور الفقيه

الموت أسهل عندي

أعرابي أتيس أن يقارنك النجاح فأين الله و القدر المتأ (١) ح

٦٠٠

١٤- قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ص أَوْصِنِي قَالَ إِيَّاكَ وَ الطَّمَعُ فَإِنَّهُ فَقَرٌ حَاضِرٌ وَ عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ

حكيم أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك و لا يحقرك لها من فوقك.

أبو العلاء المعري

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً

خالد بن صفوان كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مالا فإن الكريم من كرمته عند الحاجه خلته (٢) و اللئيم من لؤمته عند الفاقه طعمته.

ص: ١٦٣

١-١) المتاح:المهياً.

٢-٢) شروح سقط الزند ٥٥٢.

شعر و كم ملك جانبته من كراهه

بعض الحكماء ينبغي للعاقل أن يكون في دنياه كالمدعو إلى الوليمه إن أته صحفه تناولها و إن جازته لم يرصدها و لم يطلبها

ص: ١٦٤

إشاره

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَ كَأَابِهِ الْمُنْقَلَبِ وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَ الْمَالِ وَ الْوَلَدِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَ لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا وَ الْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

[قال الرضى رحمه الله و ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله ص و قد قفاه أمير المؤمنين ع بأبلغ كلام و تممه بأحسن تمام من قوله و لا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل]

وعثاء السفر

مشقته و أصل الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام و يشق على من يمشى فيه أوعث القوم أى وقعوا فى الوعث و الكآبه الحزن و المنقلب مصدر من انقلب منقلبا أى رجع و سوء المنظر قبح المرأى .

ص: ١٦٥

و صدر الكلام مروى عن رسول الله ص فى المسانيد الصحيحه و ختمه أمير المؤمنين ع و تممه بقوله و لا يجمعهما غيرك و هو الصحيح لأن من يستصحب لا يكون مستخلفا فإنه مستحيل أن يكون الشىء الواحد فى المكانين مقيما و سائرا و إنما تصح هذه القضية فى الأجسام لأن الجسم الواحد لا يكون فى جهتين فى وقت واحد فأما ما ليس بجسم و هو البارئ سبحانه فإنه فى كل مكان لا على معنى أن ذاته ليست مكانيه و إنما المراد علمه و إحاطته و نفوذ حكمه و قضائه و قدره فقد صدق ع أنه المستخلف و أنه المستصحب و أن الأمرين مجتمعان له جل اسمه .

و هذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين ع بعد وضع رجله فى الركاب من منزله بالكوفة متوجها إلى الشام لحرب معاويه و أصحابه ذكره نصر بن مزاحم فى كتاب صفين (١) و ذكره غيره أيضا من رواه السيره

[أدعيه على عند خروجه من الكوفة لحرب معاويه]

٦٠١

١- قَالَ نَصْرٌ لَمَّا وَضَعَ عَلِيُّ ع رِجْلَهُ فِي رِكَابِ دَابَّتِهِ يَوْمَ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى صِفِّينَ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى ظَهْرِهِ يَا قَالَ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (٢) اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ إِلَى آخِرِ الْفَضْلِ وَ زَادَ فِيهِ نَصْرٌ وَ مِنَ الْحَيْرَةِ بَعْدَ الْيَقِينِ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ أَمَامَهُ الْحُرُّ بْنُ سَهْمٍ بْنِ طَرِيفٍ وَ هُوَ يَزْتَجِرُ وَ يَقُولُ يَا فَرَسِي سِيرِي وَ أُمِّي الشَّامَا

ص: ١٦٦

١-١ (١) كتاب صفين ١٤٩.

٢-٢ (٢) سورة الزخرف ١٤، ١٣.

أَنْ نَقْتَلَ الْعَاصِي وَ الْهُمَامَا وَ أَنْ نُزِيلَ مِنْ رِجَالِ هَامَا.

قَالَ وَ قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَالِكٍ وَ هُوَ عَلَى شُرْطِهِ عَلِيٌّ ع وَ هُوَ آخِذٌ بِعِنَانٍ دَائِبَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أ تَخْرُجُ بِالْمُسْلِمِينَ فَيُصِيبُوا أَجْرَ الْجِهَادِ بِالْقِتَالِ وَ تُخَلِّفُنِي بِالْكُوفَةِ لِحَشْرِ الرِّجَالِ فَقَالَ ع إِنَّهُمْ لَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْأَجْرِ شَيْئًا إِلَّا كُنْتَ شَرِيكَهُمْ فِيهِ وَ أَنْتَ هَاهُنَا أَعْظَمُ غَنَاءً عَنْهُمْ مِنْكَ لَوْ كُنْتَ مَعَهُمْ فَخَرَجَ عَلِيٌّ ع حَتَّى إِذَا حَادَى الْكُوفَةَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ (٢)

٦٠٢

١- قَالَ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ع عَنْ آبَائِهِ أَنَّ (٣) عَلِيًّا ع خَرَجَ وَ هُوَ يُرِيدُ صِفِّينَ حَتَّى إِذَا قَطَعَ النَّهْرَ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى بِالصَّلَاةِ فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَنْ كَانَ مُشْبِعًا أَوْ مُقِيمًا فَلْيَتِمَّ الصَّلَاةَ فَإِنَّا قَوْمٌ سَفَرٌ أَلَا وَ مَنْ صَحِبْنَا فَلَا يَصُومَنَّ الْمَفْرُوضَ وَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ رَكَعَتَانِ .

قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى نَزَلَ دَيْرَ أَبِي مُوسَى وَ هُوَ مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى فَرْسَيْنِ فَصَلَّى بِهِ الْعَصْرَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الطُّولِ وَ النَّعَمِ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الْقُدْرَةِ وَ الْإِفْضَالِ أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٤) .

قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ (٥) خَرَجَ ع حَتَّى نَزَلَ عَلَى شَاطِئِ نَرْسٍ (٦) بَيْنَ مَوْضِعِ حَمَامِ أَبِي بُزْدَةَ وَ حَمَامِ عُمَرَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُوَلِّجُ

ص: ١٦٧

١- (١) الطغام: أوغاد الناس.

٢- (٢) كتاب صفين ١٥٠: «حتى إذا جاز حد الكوفة».

٣- (٣) كتاب صفين ١٥٠.

٤- (٣) كتاب صفين ١٥٠.

٥- (٥) نرس، بالفتح ثم السكون و آخره سين مهملة: نهر حفره نرسی بن بهرام بنواحي الكوفة؛ مأخذه من الفرات، و عليه عده قری. (مراصد الاطلاع).

اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَيُوجِحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ

ثُمَّ أَقَامَ حَتَّى صَدِمَ الْغَدَاةَ ثُمَّ شَخَّصَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قُبَّهِ قُبَيْنَ (١) وَفِيهَا نَخْلٌ طَوَالٌ إِلَى جَانِبِ الْبَيْعَةِ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ثُمَّ أَفْحَمَ دَابَّتَهُ النَّهْرَ فَعَبَّرَ إِلَى تِلْكَ الْبَيْعَةِ فَنَزَلَهَا وَ مَكَثَ قَدْرَ الْغَدَاةِ .

٦٠٣

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مِخْنَفٍ بْنِ سُلَيْمٍ (٢) قَالَ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى أَبِي وَ هُوَ يُسَايِرُ عَلِيًّا عَ وَ عَلِيٌّ يَقُولُ لَهُ إِنَّ بَابِلَ أَرْضٌ قَدْ حُسِفَ بِهَا فَحَرَّكَكَ دَابَّتُكَ لَعَلَّنَا نَصِلَ الْعَصْرَ خَارِجًا مِنْهَا فَحَرَّكَكَ دَابَّتُهُ وَ حَرَّكَكَ النَّاسُ دَوَابَّهُمْ فِي أَثَرِهِ فَلَمَّا جَاَزَ جِسْرَ الْفَرَاتِ (٣) نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ - .

٦٠٤

١- قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْلَى بْنِ مَرَّةٍ التَّفَفِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ أَسِيرُ فِي أَرْضِ بَابِلَ قَالَ وَ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَاةَ الْعَصْرِ قَالَ فَجَعَلْنَا لَا نَأْتِي مَكَانًا إِلَّا رَأَيْنَاهُ أُفِيحَ (٤) مِنَ الْآخِرِ قَالَ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى مَكَانٍ أَحْسَنَ مَا رَأَيْنَا وَ قَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ قَالَ فَنَزَلَ عَلِيٌّ عَ فَنَزَلْتُ مَعَهُ قَالَ فَدَعَا اللَّهَ فَرَجَعَتِ الشَّمْسُ كَمِقْمَدَارِهَا مِنْ صِيْلَاهِ الْعَصْرِ قَالَ فَصَلَّيْتُ الْعَصْرَ ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى دَيْرَ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ فَبَاتَ بِسَابَاطٍ فَأَتَاهُ دَهَاقِينُهَا يَعْرِضُونَ عَلَيْهِ النَّزْلَ (٥) وَ الطَّعَامَ فَقَالَ لَا لَيْسَ ذَلِكَ لَنَا عَلَيْكُمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ وَ هُوَ بِمُظْلَمِ سَابَاطٍ (٦)

ص: ١٦٨

١- ١) قيين، بالضم ثم الكسر و التشديد؛ قال صاحب مراصد الاطلاع: «ولايه بالعراق».

٢- ٢) صفين ١٥١، و السند هناك: نصر: عمر، عن رجل -يعني أبا مخنف، عن عمه ابن مخنف».

٣- ٣) صفين: «جسر الصراه»؛ و الصراه من أنهار الفرات.

٤- ٤) أفيح، من الفيح و هو السعه.

٥- ٥) النز: طعام الضيف.

٦- ٦) مظلم سابات؛ موضع مضاف إلى سابات التي بقرب المدائن؛ قليل الضوء: مراصد الاطلاع ١٢٨٦.

قَرَأَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١).

قَالَ نَصْرٌ وَبَلَغَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَسِيرَهُ فَقَالَ (٢) لَا تَحْسَبْنِي يَا عَلِيُّ غَافِلًا لَأُورِدَنَّ الْكُوفَةَ الْقَنَابِلَا (٣) بِجَمْعِي الْعَامِ وَجَمْعِي قَابِلًا.

قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا ع فَقَالَ لَأُورِدَنَّ الْعَاصِي ابْنَ الْعَاصِي

[نزول على بكر بلاء]

٦٠٥

١،٣- قَالَ نَصْرٌ وَحَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ سَلَامٍ التَّمِيمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَيَّانُ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ هُرْثَمَةَ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ (٤) غَزَوْنَا مَعَ عَلِيٍّ ع صَفَيْنَ فَلَمَّا نَزَلَ بِكَرْبَلَاءَ صَلَّى بِنَا فَلَمَّا سَلَّمَ رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا فَشَمَّهَا ثُمَّ قَالَ وَاهَا لَكَ يَا تُرْبَهُ (٥) لِيَحْشَرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قَالَ فَلَمَّا رَجَعَ هُرْثَمَةُ مِنْ غَزَاتِهِ (٦) إِلَى امْرَأَتِهِ جَرْدَاءَ بِنْتِ سُمَيْرٍ وَكَانَتْ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ع حَدَّثَهَا هُرْثَمَةُ فِيمَا حَدَّثَ فَقَالَ لَهَا أَلَا أُعْجِبُكَ مِنْ صَدِيقِكَ أَبِي حَسَنِ

ص: ١٦٩

١-١ (١) سورة الشعراء ١٢٨.

٢-٢ (٢) صفين ١٥٣.

٣-٣ (٣) القنابل: جماعات الخيل و الناس.

٤-٤ (٤) مستحقين: حاملين، و الدلاص: الدروع اللينه.

٥-٥ (٥) يقال: جنب الرجل الفرس إذا قاده إلى جنبه. و القلاص: جمع قلوص؛ و هي الشابه من الإبل؛ بمنزله الجاربه من النساء.

٦-٦ (٦) كتاب صفين ١٥٧.

قَالَ لَمَّا نَزَلْنَا كَرْبَلَاءَ وَقَدْ أَخَذَ حَفَنَهُ مِنْ تَرْبَتِهَا فَشَمَّهَا وَقَالَ وَاهَا لَكَ أَيُّهَا التُّرْبَةُ لِيُحْشَرَنَّ مِنْكَ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسَابٍ
وَمَا عَلَّمُهُ بِالْغَيْبِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَهُ دَعْنَا مِنْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا.

قَالَ فَلَمَّا بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْبُعْثَ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ ع كُنْتُ فِي الْخَيْلِ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى الْحُسَيْنِ ع وَ
أَصِيحَابِهِ عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ مَعَ عَلِيٍّ ع وَ الْبُقْعَةَ الَّتِي رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْبَتِهَا وَ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَه فَكَرِهْتُ مَسِيرِي فَأَقْبَلْتُ عَلَى
فَرَسِي حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ ع فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَ حَدَّثْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ فَقَالَ الْحُسَيْنُ أَمَعَنَا أَمْ عَلَيْنَا فَقُلْتُ
يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَا مَعَكَ وَ لَا عَلَيْنِكَ تَرَكْتُ وُلْدِي وَ عِيَالِي (١) أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع فَوَلِّ هَرَبًا حَتَّى لَا تَرَى
مَقْتَلَنَا (٢) فَوَالَّذِي نَفْسُ حُسَيْنٍ (٣) بِيَدِهِ لَا يَرَى الْيَوْمَ مَقْتَلَنَا أَحَدٌ ثُمَّ لَا يُعِينُنَا (٤) إِلَّا دَخَلَ النَّارَ .

قَالَ فَأَقْبَلْتُ فِي الْأَرْضِ أَشْتَدَّ هَرَبًا حَتَّى خَفِيَ عَلَيَّ مَقْتَلُهُمْ

٦٠٦

١,٣- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا مُضَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ عَنْ أَبِي جَحِيْفَةَ قَالَ جَاءَ (٥) عُرْوَةُ الْبَارِقِيُّ إِلَى سَعْدِ بْنِ
وَهْبٍ فَسَأَلَهُ فَقَالَ حَدَّثَنَا (٦) عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ نَعَمْ بَعَثَنِي مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ إِلَى عَلِيٍّ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى صَفِّينَ
فَأَتَيْتُهُ بِكَرْبَلَاءَ فَوَجَدْتُهُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَ يَقُولُ هَاهُنَا هَاهُنَا فَقَالَ لَهُ

ص: ١٧٠

١-١) صفين: «تركت أهلي و ولدي».

٢-٢) صفين: «حتى لا ترى لنا مقتلا».

٣-٣) صفين: «فو الذي نفس محمد».

٤-٤) صفين: «لا يغيثنا».

٥-٥) صفين ١٥٨.

٦-٦) صفين: «حدثني».

رَجُلٌ وَ مِا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ثَقُلَ لِي لَالِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ وَ وََيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ مَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وََيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ وَ وََيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ يُدْخِلُكُمْ اللَّهُ بِقَتْلِهِمُ النَّارَ قَالَ نَصْرٌ وَ قَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ أَنَّهُ ع قَالَ فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ وَ وََيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ الرَّجُلُ أَمَّا وََيْلٌ لَنَا مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَفْنَا فَوَيْلٌ لَنَا عَلَيْهِمْ مَا مَعْنَاهُ فَقَالَ تَرَوْنَهُمْ يُقْتَلُونَ لَا تَسْتَطِيعُونَ نُصْرَتَهُمْ

٦٠٧

١٣- قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ حَكِيمٍ الْعَبْسِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنِ أَبِيهِ أَنَّ عَلِيًّا عَ أَتَى كَرْبَلَاءَ فَوَقَفَ بِهَا فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ كَرْبَلَاءُ فَقَالَ ذَاتُ كَرْبٍ وَ بَلَاءٍ ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ فَقَالَ هَاهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ وَ مُنَآخِ رِكَابِهِمْ ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ فَقَالَ هَاهُنَا مَرَاقُ دِمَائِهِمْ ثُمَّ مَضَى إِلَى سَابَاطٍ (١)

[خروج علي لحرب معاوية و ما دار بينه و بين أصحابه]

و ينبغي أن نذكر هاهنا ابتداء عزمه علي مفارقه الكوفة و المسير إلى الشام و ما خاطب به أصحابه و ما خاطبوه به و ما كاتب به العمال و كاتبوه جوابا عن كتبه و جميع ذلك منقول من كتاب نصر بن مزاحم .

٦٠٨

١- قَالَ نَصْرٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ أَبِي الْكَنْدِ قَالَ لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ ع الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ دَعَا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ مِيَامِينُ

ص: ١٧١

الرَّأْيِ مَرَاجِيحِ الْحِلْمِ مُبَارِكِ الْأَمْرِ وَمَقَاوِيلِ الْحَقِّ وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ .

فَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَآتَنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا بِالْقَوْمِ جِدُّ خَبِيرٌ هُمْ لَكَ وَالْأَشْيَاعُكَ أَعِيدَاءٌ وَهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ حَرْثَ الدُّنْيَا أَوْلِيَاءٌ وَهُمْ مُتَعَاتِلُونَكَ وَمُجَادِلُونَكَ (١) لَا يُبْقُونَ جَهْدًا مُشَاحَةً عَلَى الدُّنْيَا وَضَنًّا بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا لَيْسَ لَهُمْ إِرْبَةٌ غَيْرَهَا إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجَهَّالَ مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ كَذَبُوا لَيْسَ لِدَمِهِ يَنْفِرُونَ وَ لَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ أَنْهَضَ بَنَاءَ إِلَيْهِمْ فَإِنْ أَحْبَبُوا إِلَى الْحَقِّ فَلَيْسَ بَعِيدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشُّتَاقَ فَذَكَكَ ظَنِّي بِهِمْ (٢) وَاللَّهِ مَا أَرَاهُمْ يُبَايِعُونَ وَقَدْ بَقِيَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يُطَاعُ إِذَا نَهَى وَ يَسْمَعُ إِذَا أَمَرَ (٣)

٦٠٩

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ أَبِي الْكَنْدِ أَنْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ آتَنَى عَلَيْهِ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُقِيمَ يَوْمًا وَاحِدًا فَافْعَلْ اشْخَصْ بِنَا قَبْلَ اسْتِعَارِ نَارِ الْفَجْرِ وَ اجْتِمَاعِ رَأْيِهِمْ عَلَى الصُّدُودِ وَ الْفُرْقَةِ وَ ادْعُهُمْ إِلَى حَظِّهِمْ وَ رُسُدِهِمْ فَإِنْ قَبِلُوا سَعِدُوا وَ إِنْ أَبَوْا إِلَّا حَرْبَنَا فَوَ اللَّهُ إِنْ سَفَكَ دِمَائِهِمْ وَ الْجِدَّ فِي جِهَادِهِمْ لَقُرْبَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَ كَرَامَهُ مِنْهُ (٤) ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ آتَنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْكَمِشْ (٥) بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَ لَا تَعْرُجْ (٦) فَوَ اللَّهُ لَجِهَادِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جِهَادِ التُّرُوكِ

ص: ١٧٢

١-١ (١) صفين: «مجاهدوك».

٢-٢ (٢) صفين: «فذلك الظن بهم».

٣-٣ (٣) كتاب صفين ١٠٣.

٤-٤ (٤) صفين: «و هو كرامه منه».

٥-٥ (٥) الانكماش: الجد في السير.

٦-٦ (٦) صفين: «لا تعرد» و التعريد: الفرار.

وَالرُّومِ لِإِذْهَانِهِمْ (١) فِي دِينِ اللَّهِ وَاسْتِذْلَالِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ص مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إِذَا غَضِبُوا عَلَى رَجُلٍ حَبَسُوهُ وَضَرَبُوهُ وَحَرَمُوهُ وَسَيَّرُوهُ وَفَيْتِنَا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَلَالٌ وَنَحْنُ لَهُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ قَطِينٌ (٢) قَالَ يَغْنِي رَقِيقٌ فَقَالَ أَشْيَاخُ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ خُرَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَ أَبُو أَيُّوبَ وَ غَيْرُهُمَا لِمَ تَقَدَّمْتَ أَشْيَاخَ قَوْمِكَ وَ يَدَّأْتَهُمْ بِالْكَلامِ يَا قَيْسُ فَقَالَ أَمَا إِنِّي عَارِفٌ بِفَضْلِكُمْ مُعْظَمٌ لِشَأْنِكُمْ وَ لَكِنِّي وَجَدْتُ فِي نَفْسِي الضُّغْنَ الَّذِي فِي صُدُورِكُمْ جَاشَ حِينَ ذَكَرْتُ الْأَحْزَابَ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ فَلْيَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ جَمَاعَتِكُمْ فَقَامَ سَيِّهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ سَلَمٌ لِمَنْ سَأَلْتُمْ وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ وَ رَأَيْنَا رَأْيَكَ وَ نَحْنُ (٣) يَمِينُكَ وَ قَدْ رَأَيْنَا أَنْ تَقُومَ [بِهَذَا الْأَمْرِ]

(٤) فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَتَأْمَرُهُمْ بِالشُّحُوصِ وَ تُخْبِرُهُمْ بِمَا صَنَعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ وَ هُمُ النَّاسُ فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ اسْتَقَامَ لَكَ الَّذِي تُرِيدُ وَ تَطْلُبُ فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ خِلافٌ مِنَّا مَتَى دَعَوْتَنَا أَجَبْنَاكَ وَ مَتَى أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ (٥) .

٤١٠

١- قَالَ نَضِيرٌ فَخَرَدْنَا عُمَرَ بْنَ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي مِحْنَفٍ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي حُسَيْنٍ عَنْ مَعْيَدٍ قَالَ قَامَ عَلِيٌّ عَ خَطِيباً عَلَى مِثْرِهِ فَكُنْتُ تَحْتَ الْمِثْبَرِ أَسْمَعُ تَحْرِيبَهُ (٦) النَّاسَ وَ أَمْرَهُ لَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى صَفِينٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ

ص: ١٧٣

١-١) الإدهان: الغش و الخديعه.

٢-٢) القطين: الخدم و الأتباع.

٣-٣) صفين: «و نحن كف يمينك».

٤-٤) من صفين.

٥-٥) صفين ١٠٥.

٦-٦) صفين: «حين حرض الناس».

سَيُرُوا إِلَىٰ أَعْدَاءِ اللَّهِ سَيُرُوا إِلَىٰ أَعْدَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ سَيُرُوا إِلَىٰ بَقِيَّةِ الْأَحْرَابِ وَقَتْلِهِ الْمَهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ فَقَالَ لَهُ أَتُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَتَقْتُلْتَهُمْ لَكَ كَمَا سَرَتْ بِنَا إِلَىٰ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَتَقْتُلْتَهُمْ كَلَّا هَا اللَّهُ (١) إِذَا لَا نَفْعَ لَكَ.

فَقَامَ الْأَشْتَرُ فَقَالَ مَنْ هَذَا الْمَارِقُ (٢).

فَهَرَبَ الْفِزَارِيُّ وَاشْتَدَّ النَّاسُ عَلَىٰ أَثَرِهِ فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ تُبَاعُ فِيهِ الْبَرَادِينُ فَوَطَّئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ وَضَرَبُوهُ بِأَيْدِيهِمْ وَبَعَالِ سَيُوفِهِمْ حَتَّى قُتِلَ فَأَتَىٰ عَلِيٌّ عَ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ الرَّجُلُ قَالَ وَمَنْ قَتَلَهُ قَالُوا قَتَلْتَهُ هَمْدَانٌ وَمَعَهُمْ شَوْبٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ قَتِيلٌ عَمِيهِ (٣) لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ دِيئُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بَعْضُ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ (٤) أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ تَكُونَ مِثِّي

فَقَامَ الْأَشْتَرُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَهْدِنَكَ مَا رَأَيْتَ وَلَا يُؤَيِّسُ نَكَ مِنْ نَصِيرِنَا مَا سَجَعْتَ مِنْ مَقَالِهِ هَذَا الشَّقِيَّ الْخَائِنِ إِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَرَىٰ مِنَ النَّاسِ شَيْعَتُكَ لَا يَزْعُمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ وَلَا يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ فَإِنْ شِئْتَ فَسِرْ بِنَا إِلَىٰ عِدْوِكَ فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ وَإِنَّا لَعَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّنَا وَإِنْ أَنْفُسِنَا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَجْلُهَا وَكَيْفَ لَا نُقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ وَثَبَتْ عِصَابُهُ مِنْهُمْ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ وَبَاعُوا خِلَاقَهُمْ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرًا.

ص: ١٧٤

١-١) الهاء هنا للتنبية يقسم بها.

٢-٢) صفين: «من لهذا أيها الناس».

٣-٣) قتيل عميه، أى ميته فتنه و جهاله.

٤-٤) صفين: «فقال علاقه التيمي».

فَقَالَ عَلِيُّ ع الطَّرِيقُ مُشْتَرِكٌ وَ النَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ وَ مَنْ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ فِي نَصِّهِ بِيَحِهِ الْعَامَّةِ فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ

(١)

٦١١

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو زُهَيْرٍ الْعَبْسِيُّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ صَالِحٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعْتَمِ الْعَبْسِيَّ وَ حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيَّ لَمَّا أَمَرَ عَلِيُّ ع النَّاسَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ دَخَلَا عَلَيْهِ فِي رِحَالٍ كَثِيرٍ مِنْ غَطَفَانَ وَ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ لَهُ حَنْظَلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا قَدْ مَشِينَا إِلَيْكَ فِي نَصِّهِ بِيَحِهِ فَأَقْبَلْهَا وَ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فَلَا تَرُدُّنَا عَلَيْنَا فَإِنَّا نَنْظُرُنَا لَكَ وَ لِمَنْ مَعَكَ أَقِمَّ وَ كَاتِبَ هَذَا الرَّجُلَ وَ لَا تَعْجَلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ فَإِنَّا وَ اللَّهُ مَا نَدْرِي وَ لَا تَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْغَلْبَةُ إِذَا التَّفَيْتُمْ وَ لَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّيْبَةُ.

وَ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَمِ مِثْلَ (٢) قَوْلِهِ وَ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دَخَلُوا مَعَهُمَا بِمِثْلِ كَلَامِهِمَا فَحَمِدَ عَلِيُّ ع اللَّهَ وَ أَتَى ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ الْعِيَادِ وَ الْبِلَادِ وَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَ يَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ وَ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يُيَذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَمَا الدَّيْبَةُ فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ظَفِرُوا أَوْ ظَفِرَ بِهِمْ وَ أَيُّمَ اللَّهُ إِنِّي لَأَسْمِعُ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا.

فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيُّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ وَ اللَّهُ مَا آثَرُوكَ بِنُصِيحٍ وَ لَا دَخَلُوا عَلَيْكَ إِلَّا بَغِيضٌ فَاحْذَرْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَدْنَى الْعَدُوِّ.

وَ قَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ إِنَّهُ بَلَّغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ حَنْظَلَةَ هَذَا يُكَاتِبُ مَعَاوِيَةَ فَادْفَعَهُ إِلَيْنَا نَحْبِسُهُ حَتَّى تَنْقُضِيَ غَزَاتِكَ وَ تَنْصَرِفَ.

ص: ١٧٥

١- (١) صفين ١٠٧.

٢- (٢) صفين: «و قام المعتم فتكلم».

وَقَامَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ قَاتِدُ بْنُ بُكَيْرٍ وَعَيَّاشُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَبْسِيَّانِ فَقَالَا - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صَاحِبَنَا عَيَّدَ اللَّهُ بِنِ الْمُعْتَمِّ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يُكَاتِبُ مُعَاوِيَةَ فَاحْبِسْهُ أَوْ مَكِّنَّا مِنْ حَبْسِهِ حَتَّى تَنْقِضِيَ غَزَاتِكَ ثُمَّ تَنْصَرِفَ.

فَقَالَا هَذَا جَزَاءٌ لِمَنْ نَظَرَ لَكُمْ وَأَشَارَ عَلَيْكُمْ بِالرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ.

فَقَالَ لَهُمَا عَلِيُّ عَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِلَيْهِ أَكِلُكُمْ وَبِهِ أَسِيَتْظَهْرُ عَلَيْكُمْ أَذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ (١) قَالَ نَضِيرٌ وَبَعَثَ عَلِيُّ عَ إِلَى حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْمَعْرُوفِ بِحَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا حَنْظَلَةَ أَنْتَ عَلِيُّ أُمِّ لِي فَقَالَ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ قَالَ فَمَا تُرِيدُ قَالَ أَشْخَصْ إِلَى الرَّهَا (٢) فَإِنَّهُ فَرَّجَ مِنَ الْفُرُوجِ أَضْمَدُ لَهُ حَتَّى يَنْقِضِيَ هَذَا الْأَمْرَ.

فَغَضِبَ مِنْ قَوْلِهِ خِيَارُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ وَهُمْ رَهْطُهُ فَقَالَ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَعْرُونِي مِنْ دِينِي دَعُونِي فَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ فَقَالُوا وَاللَّهِ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ لَا نَدْعُ فُلَانَهُ تَخْرُجْ مَعَكَ لِأُمَّ وَلَدِهِ وَلَا وَلَدِهَا وَ لِنِ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَنُقْتَلَنَّكَ.

فَأَعْيَانَهُ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ وَ اخْتَرَطُوا سِيُوفَهُمْ فَقَالَ أَجْلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ وَ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَ أَعْلَقَ بِيَابَهُ حَتَّى إِذَا أَمْسَى هَرَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ خَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ رِجَالٌ كَثِيرٌ وَ هَرَبَ ابْنُ الْمُعْتَمِّ أَيْضًا حَتَّى أَتَى مُعَاوِيَةَ فِي أَحَدِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ.

وَ أَمَّا حَنْظَلَةُ فَخَرَجَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي ثَلَاثَةِ وَ عَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ لَكِنَّهُمَا لَمْ يُقَاتِلَا مَعَ مُعَاوِيَةَ وَ اعْتَرَلَا الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا (٣).

ص: ١٧٦

١-١) صفين: ١٠٨، ١٠٧.

٢-٢) الرها: مدنيه بالجزيره بين الموصل و الشام.

٣-٣) صفين ١٠٩.

وَقَالَ وَ أَمَرَ عَلِيٌّ عَ بِهَيْدَمِ دَارِ حَنْظَلَةَ فَهَيْدَمَتْ هَيْدَمَهَا عَرِيفُهُمْ شَبِثُ بْنُ رَبِيعٍ وَ بَكْرُ بْنُ تَمِيمٍ فَقَالَ حَنْظَلَةُ بِهِجُوهِمَا أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغُنْ

وَ قَالَ أَيْضًا يُحَرِّضُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ يَبْلُغَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَزْبِ خُطَّةً

٤١٢

١- قَالَ نَضِيرٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِي الْمُجَاهِدِ عَنِ الْمُحَلِّ بْنِ خَلِيفَةَ قَالَ قَامَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيُّ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ عَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَتْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ (١) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتَ إِلَّا بِعِلْمٍ وَ لَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلَى حَقٍّ وَ لَا أَمَرْتَ إِلَّا بِرُشْدٍ وَ لَكِنْ إِذَا رَأَيْتَ (٢) أَنْ تَسْتَأْنِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَ تَسْتَدِيمُهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ كُتُبِيكَ وَ يَقْدَمَ عَلَيْهِمْ رُسُلُكَ فَعَلْتَ فَإِنْ يَقْبَلُوا يُصِيبُوا رُشْدَهُمْ (٣) وَ الْعَافِيَهُ أَوْسَعُ لَنَا وَ لَهُمْ

ص: ١٧٧

١- ١) الأذب: الكثير شعر الوجه و العثون، و في صفين: *أزب جمال في ملاحيه صفر*.

٢- ٢) صفين: «تعطونها».

٣- ٣) صفين: «و لهن من ثكل الرجال حوار».

وَإِنْ يَتَمَادَوْا فِي الشَّقَاقِ وَلَا يَنْزِعُوا عَنِ الْعِغْيِ فَسِرْ إِلَيْهِمْ وَ قَدْ قَدَّمْنَا إِلَيْهِمْ بِالْعُذْرِ (١) وَ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ الْحَقِّ فَوَلَّى اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أَبْعَدَ وَ عَلَى اللَّهِ أَهْوَنُ مِنْ قَوْمٍ قَاتَلْنَاهُمْ أَمْسِ بِنَاحِيهِ الْبُصَيْرَةَ لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَرَكُوهُ نَاوَجْنَاهُمْ بِرَأَاةِ الْقِتَالِ (٢) حَتَّى بَلَّغْنَا مِنْهُمْ مَا نُحِبُّ وَ بَلَّغَ اللَّهُ مِنْهُمْ رِضَاءَهُ.

فَقَامَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ الطَّائِي وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبِرَانِسِ (٣) الْمُجْتَهِدِينَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى يَرْضَى وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّنَا أَمَا بَعْدُ فَوَلَّى اللَّهُ إِنْ كُنَّا فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَنَا وَ لَا تَصْلِحُ لَنَا الشِّيْءُ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى نَسْتَدِيمَهُمْ وَ نَسْتَأْنِيَهُمْ مَا الْأَعْمَالُ إِلَّا فِي تَبَابٍ وَ لَا السَّعْيُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ وَ أَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (٤) إِنَّا وَ اللَّهُ مَا ارْتَبْنَا طَرْفَهُ عَيْنٍ فِيمَنْ يَتَّبِعُونَهُ (٥) فَكَيْفَ بِاتِّبَاعِهِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ الْقَلِيلِ مِنَ الْأَسْلَامِ حَظُّهُمْ أَعْوَانِ الظَّلْمَةِ وَ أَصْحَابِ الْجُورِ وَ الْعِدْوَانِ (٦) لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ لَا الْأَنْصَارِ وَ لَا التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ طَيْبِ فَقَالَ يَا زَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ أ كَلَامَ سَيِّدِنَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ تَهَجَّنُ (٧) فَقَالَ زَيْدٌ مَا أَنْتُمْ بِأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيِّ مَنِّي وَ لَكِنِّي لَا أَدْعُ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ وَ إِنْ سَخِطَ النَّاسُ

٦١٣

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حُصَيْنِ (٨) قَالَ دَخَلَ أَبُو زَيْنَبٍ

ص: ١٧٨

١-١) صفين: «العدر».

٢-٢) البراكاء: الـابتراك في الحرب؛ وهو أن يجشو القوم على ركبهم، و يقال: و جن به، أي ضرب به الأرض، و في صفين: «ناوخنهم».

٣-٣) جمع برنس؛ وهو قلنسوه طويله كان يلبسها في صدر الإسلام النساك و الزهاد.

٤-٤) سورة الضحى ١١.

٥-٥) صفين: «بيتغون دمه».

٦-٦) صفين: «و مسددى أساس الجور و العدوان».

٧-٧) في صفين بعد هذه الكلمة: «قال: فقال عدى بن حاتم: الطريق مشترك، و الناس في الحق سواء؛ فمن اجتهد رأيه في نصيحه العامة فقد قضى الذي عليه».

٨-٨) صفين ١١٢: «الحارث بن حصيره».

بُنْ عَوْفٍ عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ لَأَنْتَ أَهْدَانَا سَبِيلًا وَ أَعْظَمْنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا وَ لَيْسَ كُنَّا عَلَى ضَلَالٍ
إِنَّكَ لَأَثَقْنَا ظَهْرًا وَ أَعْظَمْنَا وَزْرًا قَدْ أَمَرْتَنَا بِالْمَسِيرِ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ وَ قَدْ قَطَعْنَا مَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْوَلَايَةِ وَ أَظْهَرْنَا لَهُمْ الْعَدَاوَةَ نُرِيدُ
بِذَلِكَ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ طَاعَتِكَ أَلَيْسَ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَ الَّذِي عَلَيْهِ عَدُوْنَا هُوَ الْحُوبُ الْكَبِيرُ.

فَقَالَ ع بَلَى شَهِدْتُ أَنَّكَ إِنْ مَضَيْتَ مَعَنَا نَاصِرًا لِدَعْوَتِنَا صَاحِحَ النَّبِيِّ فِي نَصْرِنَا قَدْ قَطَعْتَ مِنْهُمْ الْوَلَايَةَ وَ أَظْهَرْتَ لَهُمْ الْعَدَاوَةَ كَمَا
زَعَمْتَ فَإِنَّكَ وَلِيُّ اللَّهِ تُسَبِّحُ (١) فِي رِضْوَانِهِ وَ تَرْكُضُ فِي طَاعَتِهِ فَأَبْشِرْ أبا زَيْنَبَ .

وَ قَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ اثْبُتْ أبا زَيْنَبَ وَ لَا تَشْكُ فِي الْأَخْزَابِ أَعْدَاءِ (٢) اللَّهِ وَ رَسُولِهِ .

فَقَالَ أَبُو زَيْنَبَ مَا أَحَبَّ أَنْ لِي شَاهِدَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ شَهِدَا لِي عَمَّا سَأَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَهَمَّنِي مَكَانُكُمْ.

قَالَ وَ خَرَجَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَ هُوَ يَقُولُ سِيرُوا إِلَى الْأَخْزَابِ أَعْدَاءِ النَّبِيِّ

٤١٤

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَيِّدٍ عَنْ أَبِي رَوْقٍ قَالَ (٣) دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْمَرْحَبِيُّ عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ
أَوْلُو جِهَازٍ وَ عُدَّةٍ وَ أَكْثَرُ

ص: ١٧٩

١- (١) صفين: «تسيح».

٢- (٢) صفين: «عدو الله و رسوله».

٣- (٣) السيوف المشرفية: منسوبه إلى مشارف الشام؛ قرى من أرض العرب. و السمهرى: الرمح الصلب، منسوب إلى سمهر زوج
ردينه، و كانا مثقفين للرماح.

النَّاسِ أَهْلَ قُوَّهِ وَ مَنْ لَيْسَ بِهِ ضَعْفٌ (١) وَلَا عِلَّةَ فَمُرُّ مُنَادِيكَ فَلْيُنَادِ النَّاسَ يَخْرُجُوا إِلَى مَعْسَكَرِهِمْ بِالْخَيْلِ فَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ لَيْسَ بِالسُّؤْمِ وَلَا النَّتْمِ وَلَا مَنْ إِذَا أَمَكَّنْتَهُ الْفُرْصَ أَجَلَهَا وَ اسْتَشَارَ فِيهَا وَ لَا مَنْ يُؤَخَّرُ عَمَلَ الْحَرْبِ فِي الْيَوْمِ لِعَدِّ وَ بَعْدَ عَدِّ.

فَقَالَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ لَقَدْ نَصَحَ لَكَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ قَالَ مَا يَعْرِفُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ تَوَقَّ بِهِ وَ اشْخَصْ بِنَا إِلَى هَذَا الْعَيْدِ وَ رَاشِدًا مُعَانًا فَإِنَّ يُرِدِ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا لَا يَتْرُكُوكَ رَغْبَةً عَنْكَ (٢) إِلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ سَابِقَتِكَ وَ قَدَمِكَ (٣) وَ إِلَّا يُنِيبُوا وَ يُقْبَلُوا وَ يَأْبُوا إِلَّا حَرْبَنَا نَجِدُ حَرْبَهُمْ عَلَيْنَا هَيِّنًا وَ نَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مَصْرَعِ إِخْوَانِهِمْ بِالْأَمْسِ.

ثُمَّ قَامَ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ بَدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْقَوْمَ لَوْ كَانُوا اللَّهُ يُرِيدُونَ وَ لِلَّهِ يَعْمَلُونَ مَا خَالَفُونَا وَ لَكِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُقَاتِلُونَنَا فِرَارًا مِنَ الْأَسْوَةِ وَ حُبًّا لِلْأَثَرِ وَ ضَنًّا بِسُلْطَانِهِمْ وَ كُرْهًا لِفِرَاقِ دُنْيَاهُمْ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَ عَلَى إِحْسَنِ فِي نَفْسِهِمْ وَ عِدَاوَةٍ يَجِدُونَهَا فِي صُدُورِهِمْ لَوْ قَاتَعَ أَوْ قَعَتَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ قَدِيمَةٌ قَتَلَتْ فِيهَا آبَاءَهُمْ وَ أَعْوَانَهُمْ (٤).

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ كَيْفَ يُبَايِعُ مُعَاوِيَةَ عَلِيًّا وَ قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ حَنْظَلَةَ وَ خَالَهُ الْوَلِيدَ وَ جَدَّهُ عُتْبَةَ فِي مَوْفِ وَاحِدٍ وَ اللَّهُ مَا أَظُنُّهُمْ يَفْعَلُونَ (٥) وَ لَنْ يَسْتَقِيمُوا لَكُمْ دُونَ أَنْ تَقْصِفَ فِيهِمْ قَنَا الْمُرَانَ (٦) وَ تَقْطَعَ عَلَى هَامِهِمُ السُّيُوفَ وَ تَنْشُرَ حَوَاجِبَهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ وَ تَكُونَ أُمُورٌ جَمَّةٌ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ

ص: ١٨٠

١-١) صفين: «و من ليس بمضعف».

٢-٢-٢) صفين: «إلى من ليس مثلك في السابقه مع النبي صلى الله عليه و آله و القدم في الإسلام».

٢-٢-٣) صفين: «إلى من ليس مثلك في السابقه مع النبي صلى الله عليه و آله و القدم في الإسلام».

٤-٤) صفين: «ما أظن أن يفعلوا».

٥-٥) صفين: «تقصد»، و هي بمعنى «تقصف» و المران: الرماح اللدنه.

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ خَرَجَ (١) حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ يُظْهِرَانِ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَرْسَلَ عَلِيُّ عَ إِلَيْهِمَا أَنْ كُفَّا عَمَّا يَتْلُغْنِي عَنْكُمَا فَأَتِيَاهُ فَقَالَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَسْنَا مُحِقِّينَ قَالَ بَلَى قَالَا أَوْ لَيْسُوا مُبْطِلِينَ قَالَ بَلَى قَالَا فَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ قَالَ كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَامِينَ تَشْتُمُونَ وَتَتَبَرَّءُونَ وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِيَّ أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا وَاصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مَنْ جَهَلَهُ وَيَزْعُمِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعِدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَهَجَ بِهِ لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَخَيْرًا لَكُمْ فَقَالَا- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَقَبَلُ عِظَتَكَ وَنَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ.

فَقَالَ نَضِيرٌ وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قَرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ وَلَا إِرَادَةَ مَيْالٍ تُؤْتِينِيهِ وَلَا التَّمَّاسِ سُلْطَانٍ تَزْفَعُ ذِكْرِي بِهِ وَ لَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَوَصِيئُهُ وَ أَبُو الدَّرِّيِّ الَّتِي بَقِيَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ أَشْبَقُ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ أَعْظَمُ الْمُهَاجِرِينَ سِيَهَمًا فِي الْجِهَادِ فَلَوْ أَنِّي كُفَّتُ نَقَلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي وَ نَزَحَ الْبُحُورِ الطَّوَامِي حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فِي أَمْرٍ أَقْوَى بِهِ وَلِيِّكَ وَ أَهْيَنُ عِدْوَكَ مَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَذَيْتُ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَ اللَّهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالتَّقَى وَ اهْدِهِ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ (٢)

ص: ١٨١

١-١) صفين ١١٦، ١١٥.

٢-٢) صفين: «إلى صراط مستقيم».

لَيْتَ أَنْ فِي جُنْدِي مِائَةٌ مِثْلَكَ فَقَالَ حُجْرٌ إِذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَحَّ جُنْدُكَ وَ قَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْشُكَ.

قَالَ نَضِيرٌ وَقَامَ حُجْرٌ بِنُ عَدِيٍّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ وَأَهْلُهَا الَّذِينَ نُلْقِيهَا وَ نُنْتَجِهَا قَدْ ضَارَسْتَنَا وَ ضَارَسْنَاهَا (١) وَ لَنَا أَعْوَانٌ وَ عَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدَدٍ وَ رَأْيٍ مُجَرَّبٍ وَ بَأْسٍ مَحْمُودٍ وَ أَزِمَّتْنَا مُنْقَادَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ فَإِنْ شَرَّقَتْ شَرَّقْنَا وَ إِنْ غَرَبَتْ غَرَبْنَا وَ مَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا فَقَالَ عَلِيُّ عَ كُلُّ قَوْمِكَ يَرَى مِثْلَ رَأْيِكَ قَالَ مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا حَسِينًا وَ هَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ وَ حُسْنِ الْجِابَةِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَ خَيْرًا

٤١٤

١- قَالَ نَضِيرٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ كَتَبَ عَ إِلَى عَمَّالِهِ حِينَئِذٍ يَسْتَفِزُّهُمْ فَكَتَبَ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ سَلَامٌ (٢) عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغَبَهُ عَنْهُ وَ عِبَ [هَبَّ]

فِي نُعَاسِ الْعَمَى وَ الضَّلَالِ اخْتِيَارًا لَهُ فَرِيضَةٌ عَلَى الْعَارِفِينَ إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَمَّنْ أَرْضَاهُ وَ يَسْخِطُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ وَ إِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالسَّيْرِ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَمِلُوا فِي عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ اسْتَأْتَرُوا بِالْفِئَةِ وَ عَطَلُوا الْجِدُودَ وَ أَمَاتُوا الْحَقَّ وَ أَظْهَرُوا فِي الْمَارِضِ الْفَسَادَ وَ اتَّخَذُوا الْفَاسِقِينَ وَ لِيَجَهَّ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا إِذَا وَلِيَ اللَّهُ أَعْظَمَ أَحْدَانِهِمْ أَبْغَضُوهُ وَ أَقْصَوْهُ وَ حَرَمُوهُ وَ إِذَا ظَلَمَ سَاعِدَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحْبَبُوهُ وَ أَدْنَوْهُ وَ بَرَّوهُ فَقَدْ أَصِرُّوا عَلَى الظُّلْمِ وَ أَجْمَعُوا عَلَى الخِلَافِ وَ قَدِيمًا مَا صَدُّوا عَنِ الْحَقِّ وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ فَإِذَا أُتِيَتْ بِكِتَابِي هَذَا فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْ ثِقَ أَصْحَابِكَ فِي نَفْسِكَ وَ أَقْبِلْ إِلَيْنَا لَعَلَّكَ تَلْقَى مَعَنَا هَذَا الْعُدُوَّ

ص: ١٨٢

(١-١) ضارست الأمور: جربتها.

(٢-٢) كتاب صفين: ١١٧، ١١٦.

الْمُجَلِّ فَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُجَامِعُ الْحَقَّ وَتُبَايِنُ الْبَاطِلَ فَإِنَّهُ لَا غَنَاءَ بِنَا وَلَا بَيْكَ عَنْ أَجْرِ الْجِهَادِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَ كَتَبَهُ عُيَيْدُ (١) اللَّهُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ .

قَالَ فَاسْتَعْمَلَ مِخْنَفٌ عَلَى أَصْبَهَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ بْنِ الرَّبِيعِ وَ اسْتَعْمَلَ عَلَى هَمْدَانَ سَعِيدَ بْنَ وَهْبٍ وَ كِلَاهُمَا مِنْ قَوْمِهِ وَ أَقْبَلَ حَتَّى شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ عِ صِفِينَ .

٦١٧

١- قَالَ نَضْرُ وَ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَلِيِّ عِ يَذْكُرُ لَهُ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ عِ [مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ]

(٢) أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُكَ وَ قَرَأْتَ كِتَابَكَ تَذْكُرُ فِيهِ حَالَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَ اخْتِلَافَهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِي عَنْهُمْ وَ سَأَخْبِرُكَ عَنِ الْقَوْمِ وَ هُمْ بَيْنَ مُقِيمٍ لِرُغْبِهِ يَرْجُوهَا أَوْ خَائِفٍ مِنْ عُقُوبِهِ يَخْشَاهَا فَارْغَبْ رَاغِبَهُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْهِ وَ الْإِنْصَافِ لَهُ وَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ وَ احْلُلْ عُقْمَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَ انْتِهِ إِلَى أَمْرِي وَ لَا تَعُدَّهُ وَ أَحْسِنْ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعِهِ وَ كُلِّ مَنْ قَبْلَكَ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ نَضْرُ وَ كَتَبَ إِلَى أَمْرَاءِ أَعْمَالِهِ كُلِّهِمْ بَنَحُو مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ وَ أَقَامَ يَنْتَظِرُهُمْ .

٦١٨

١،٢،٣- قَالَ فَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي رَوْقٍ قَالَ (٣) قَالَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلٍ إِنْ يَوْمَنَا الْيَوْمَ عَصَبِصِبُ (٤) مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ مُشَيِّعِ (٥) الْقَلْبِ الصَّادِقِ

ص: ١٨٣

١-١ (١) صفين: «عبد الله».

٢-٢ (٢) من صفين.

٣-٣ (٣) صفين ١٢٤-١٢٨.

٤-٤ (٤) العصبب: الشديد، و في صفين: «عصيب».

٥-٥ (٥) المشيع القلب: القوى الجاد الشجاع.

النَّبِيِّ رَابِطِ الْجَاشِ (١) وَ أَيُّمَ اللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُقْبَى مِنْهُمْ وَ لَا مِنَّا إِلَّا الرُّذَالُ (٢).

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ أَنَا وَ اللَّهُ أَظُنُّ ذَلِكَ فَبَلَغَ كَلَامَهُمَا عَلِيًّا ع فَقَالَ لَهُمَا لَيْكُنْ هَذَا الْكَلَامُ مَحْزُونًا فِي صُدُورِكَمَا لَا تُظْهِرَاهُ وَ لَا يَسْمَعُهُ مِنْكُمْ سَامِعٌ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْقَتْلَ عَلَى قَوْمٍ وَ الْمَوْتَ عَلَى آخَرِينَ وَ كُلُّ آتِيهِ مَيِّتُهُ كَمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ فَطُوبَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ وَ الْمَقْتُولِينَ فِي طَاعَتِهِ.

فَقَالَ نَضِيرٌ فَلَمَّا سَمِعَ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْبَةَ مَا قَالَاهُ أَتَى عَلِيًّا ع فَقَالَ سِرُّ بِنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَ رَأَى ظُهُورِهِمْ وَ عَمِلُوا فِي عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ رِضَا اللَّهِ فَأَحْلُوا حَرَامَهُ وَ حَرَّمُوا حَلَالَهُ وَ اشْتَوَى بِهِمْ (٣) الشَّيْطَانُ وَ وَعَدَهُمُ الْآبَاطِيلَ وَ مَنَاهُمُ الْأَمَانِيَّ حَتَّى أَرَاغَهُمْ عَنِ الْهَيْدَى وَ قَصَدَ بِهِمْ قَصْدَ الرَّدَى وَ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الدُّنْيَا فَهُمْ يُفَاتِلُونَ عَلَى دُنْيَاهُمْ رَغْبَةً فِيهَا كَرَعْتِنَا فِي الْآخِرَةِ وَ انْتِجَازِ مَوْعِدِ رَبَّنَا وَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص رَحِمًا وَ أَفْضَلُ النَّاسِ سَابِقَةً وَ قَدَمًا وَ هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُونَ مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي نَعْلَمُ وَ لَكِنْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ وَ مَيَّالَتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ فَأَيُّدِينَا مَبْسُوطَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ وَ قُلُوبُنَا مُنْشَرِحَةٌ لَكَ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ وَ أَنْفُسُنَا تَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ وَ تَوَلَّى الْأَمْرَ دُونَكَ جَدَلَهُ وَ اللَّهُ مَا أَحْبَبُ أَنْ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا أَقَلْتُ وَ لَا مَا تَحْتَ السَّمَاءِ مِمَّا أَظَلْتُ وَ أَنِّي وَالِيتُ عَدُوًّا لَكَ أَوْ عَادَيْتُ وَلِيًّا لَكَ فَقَالَ ع اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِكَ وَ الْمُرَافَقَةَ لِنَبِيِّكَ (٤) قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا ع صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ النَّاسَ وَ دَعَاهُمْ إِلَى الْجِهَادِ فَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ

ص: ١٨٤

١-١) الجأش: القلب؛ و فلان رابط الجأش؛ أى شجاع لا يضطرب قلبه خوفا.

٢-٢) الرذال، و الرذيل: ما انتقى جیده و بقى أخسه و أدونه.

٣-٣) صفين: «و استولاهم».

٤-٤) كذا فى صفين، و فى الأصول: «الموافق».

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِدِينِهِ وَخَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ فَانصَبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي آدَاءِ حَقِّهِ وَتَنَجَّزُوا مَوْعُودَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ أُمْرَاسَ الْإِسْلَامِ
 مَتِينَةً وَعُرَاهُ وَثِيقَةً ثُمَّ جَعَلَ الطَّاعَةَ حِطًّا لِلْأَنْفُسِ وَرِضَا الرَّبِّ وَغَنِيمَةً الْأَكْبَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ (١) وَقَدْ حَمَلَتْ أَمْرَ أَسْوَدِهَا وَ
 أَحْمَرِهَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى مَنْ سَفِهَهُ نَفْسَهُ وَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ وَمَا لَا يُدْرِكُهُ مُعَاوِيَةَ وَجُنْدَهُ الْفِتْنَةَ
 الطَّاعِيَةَ الْبَاغِيَةَ يَقُودُهُمْ إِبْلِيسُ وَيَبْرُقُ لَهُمْ بَارِقُ تَسْوِيفِهِ وَيُدَلِّيهِمْ بِعُرُورِهِ وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَاسْتَتَعْنُوا بِمَا عَلِمْتُمْ
 وَاحْذَرُوا مِمَّا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَارْغَبُوا فِيْمَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَسْلُوبَ مِنْ سَيْلِبِ دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَ
 الْمَغْرُورَ مَنْ آثَرَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ تَقَاعَسَ عَنِّي وَقَالَ فِي غَيْرِي كِفَايَةً فَإِنَّ الدَّوْدَ إِلَى الدَّوْدِ إِبِلٌ وَمَنْ لَا
 يُدْذُ عَنْ حَوْضِهِ يَنْتَهَدِمُ ثُمَّ إِنِّي آمُرُكُمْ بِالشَّدَةِ فِي الْأَمْرِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأَلَّا تَعْتَابُوا مُسْلِمًا وَانْتَظَرُوا لِلنَّصْرِ الْعَاجِلِ مِنَ اللَّهِ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ نَصِيرٌ ثُمَّ قَامَ ابْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مِمَّا عَظَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ
 حَقِّهِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَا لَا يُحْصِي ذِكْرُهُ وَلَا يُؤَدِّي شُكْرُهُ وَلَا يَبْلُغُهُ قَوْلٌ وَلَا صَمَمَةٌ وَنَحْنُ إِنَّمَا غَضِبْنَا لِلَّهِ وَلَكُمْ إِنَّهُ لَمْ
 يَجْتَمِعْ قَوْمٌ قَطُّ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ إِلَّا اشْتَدَّ أَمْرُهُمْ وَاسْتَحْكَمَتْ عُقْدَتُهُمْ فَاحْتَشِدُوا فِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُعَاوِيَةَ وَجُنُودِهِ وَلَا تَخَاذَلُوا فَإِنَّ
 الْخِذْلَانَ يَقَطُّعُ نِيَابَ الْقُلُوبِ وَإِنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْأَسِنَّةِ نَحْوَةٌ وَعِصْمَةٌ لَمْ يَتَمَنَّعْ (٢) قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعِلَّةَ وَكَفَاهُمْ جَوَائِحَ
 الدَّلَّةِ وَهَدَاهُمْ إِلَى مَعَالِمِ الْمِلَّةِ ثُمَّ أَنْشَدَ

ص: ١٨٥

(١-١) صفين: «الفجره».

(٢-٢) صفين: «لم يمتنع»، و التمتع و الامتناع: العز و القوه.

وَ الصُّلْحُ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا رَضِيَتْ بِهِ

وَ الْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ (١)

ثُمَّ قَامَ الْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ أَنْتُمْ الْأَحِبُّهُ الْكُرَمَاءُ وَ الشُّعَارُ دُونَ الدِّثَارِ جِدُّوا فِي إِطْفَاءِ مَا دَثَرَ بَيْنَكُمْ وَ تَسْهِيلِ (٢) مَا تَوَعَّرَ عَلَيْكُمْ أَلَا إِنَّ الْحَرْبَ شَرُّهَا ذَرِيْعٌ وَ طَعْمُهَا فَطِيْعٌ فَمَنْ أَحَدَ لَهَا أَهْبَتَهَا وَ اسْتَعَدَّ لَهَا عَدَّتَهَا وَ لَمْ يَأْلَمْ كُلُّومَهَا قَبْلَ حُلُولِهَا فَذَاكَ صَاحِبُهَا وَ مَنْ عَاجَلَهَا قَبْلَ أَوَانِ فُرْصَتِهَا وَ اسْتَبْصَرَ سَيْعِيْهِ فِيهَا فَذَاكَ قَمِيْنٌ أَلَّا يَنْفَعَ قَوْمَهُ وَ أَنْ يَهْلِكَ نَفْسُهُ نَسَأَلُ اللَّهَ بِقُوَّتِهِ أَنْ يُدْعِمَكُمْ بِالْفَيْئَةِ (٣) ثُمَّ نَزَلَ قَالَ نَضِيْرٌ فَأَجَابَ عَلِيًّا عَ إِلَى السِّيْرِ جُلُّ النَّاسِ إِلَّا أَنْ أَصِيْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسِيْعُوْدٍ أَتَوْهُ فِيهِمْ عَبِيْدَةُ السَّلْمِ اِنْتَبَهَ وَ أَصِيْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا نَخْرُجُ مَعَكُمْ وَ لَا نَتْرُكُ عَسِيْكَرَكُمْ وَ نَعَسِيْكَرُ عَلِيٍّ حَتَّى نَنْظُرَ فِي أَمْرِكُمْ وَ أَمْرَ أَهْلِ الشَّامِ فَمَنْ رَأَيْنَاهُ أَرَادَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ أَوْ يَدَا لَنَا مِنْهُ بَعْئِي كُنَّا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَ مَرْحَبًا وَ أَهْلًا هَذَا هُوَ الْفِقْهُ فِي الدِّيْنِ وَ الْعِلْمُ بِالسُّنَنِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِذَا فَهُوَ خَائِنٌ جَبَّارٌ (٤) .

وَ أَتَاهُ آخَرُونَ مِنْ أَصِيْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسِيْعُوْدٍ مِنْهُمْ الرَّبِيْعُ بْنُ خُثَيْمٍ وَ هُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعِمَائِهِ رَجُلٍ فَقَالُوا يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنَّا قَدْ شَكَّكْنَا فِي هَذَا الْقِتَالِ عَلَيَّ مَعْرِفَتَنَا بِفَضْلِكَ وَ لَا غِنَاءَ بِنَا وَ لَا بِيْكَ وَ لَا بِالْمُسْلِمِيْنَ عَمَّنْ يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ فَوَلْنَا بَعْضَ هَذِهِ الثُّغُورِ نَكْمُنُ (٥) ثُمَّ نَقَاتِلُ عَنْ أَهْلِهِ فَوَجَّهَ عَلِيٌّ عَ بِالرَّبِيْعِ بْنِ خُثَيْمٍ عَلَيَّ ثَغْرِ الرَّيِّ فَكَانَ أَوَّلَ لَوَاءٍ عَقَدَهُ عَ بِالْكُوفَةِ لَوَاءِ الرَّبِيْعِ بْنِ خُثَيْمٍ

ص: ١٨٦

١-١) البيت للعباس بن مرداس السلمى، الخزانة ٢:٨٢.

٢-٢) صفين: «إسهال».

٣-٣) صفين: «بألفته».

٤-٤) صفين: «جائر».

٥-٥) صفين: «تكون به».

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَحْمَرِ أَنَّ (١) عَلِيًّا ع لَمْ يَبْرَحِ النَّخِيلَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ قَالُوا وَ كَانَ كِتَابُ عَلِيٍّ ع إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَمَا بَعِيدٌ فَاشْخَصْ إِلَيَّ بِمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ ذَكَرَهُمْ بِلَايِي عِنْدَهُمْ وَ عَفَوِي عَنْهُمْ فِي الْحَرْبِ وَ أَعْلَمَهُمُ الَّذِي لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَ السَّلَامِ قَالَ فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بِالْبَصِيرَةِ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَ حَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلشُّخُوصِ إِلَى إِمَامِكُمْ وَ انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ الْمُحِلِّينَ الْقَاسِطِينَ الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَ لَا يَعْرِفُونَ حُكْمَ الْكِتَابِ - وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الصَّادِقِ بِالْحَقِّ وَ الْقِيَمِ بِالْهُدَى وَ الْحَاكِمِ بِحُكْمِ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَزْتَشِي فِي الْحُكْمِ وَ لَا يُدَاهِنُ الْفَجَّارَ وَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ نَعَمْ وَ اللَّهُ لِنَجِيْنِكَ وَ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكَ عَلَى الْعُسْرِ وَ الْيُسْرِ وَ الرِّضَا وَ الْكُزْهِ نَحْتَسِبُ فِي ذَلِكَ الْأَجْرَ وَ نَأْمُلُ بِهِ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ حُسْنَ الثَّوَابِ.

وَ قَامَ خَالِدُ بْنُ الْمَعْمَرِ السَّدُوسِيُّ فَقَالَ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا فَمَتَى اسْتَنْفَرْتَنَا نَفَرْنَا وَ مَتَى دَعَوْتَنَا أَجَبْنَا.

وَ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَرْجُومٍ الْعَبْدِيُّ فَقَالَ وَفَّقَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ جَمَعَ لَهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ

ص: ١٨٧

وَلَعَنَ الْمُحْلِينَ الْقَاسِطِينَ لَا- يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ نَحْنُ وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ حَنَقُونَ وَلَهُمْ فِي اللَّهِ مُضَارِقُونَ فَمَتَى أَرَدْتْنَا صَحَبَكَ خَيْلَنَا (١) وَ رِجَالَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ وَ أَجَابَ النَّاسُ إِلَى الْمَسِيرِ وَ نَسَطُوا وَ حَفُوا فَاسْتَعْمَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ وَ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ عِ بِالنَّخِيلَةِ

[كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية و جوابه عليه]

٦٢٠

قَالَ نَصْرٌ وَ كَتَبَ (٢) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ مِنْ مُحَمَّدٍ (٣) بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْغَاوِي مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرِ سَلَامٍ عَلَى أَهْلِ طَاعِهِ اللَّهُ مِمَّنْ هُوَ سَلِمٌ (٤) لِأَهْلِ وَلَايَةِ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ بِجَلَالِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ قُدْرَتِهِ خَلَقَ خَلْقًا بِلَا عَبَثٍ وَ لَا ضَعْفٍ فِي قُوَّتِهِ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى خَلْقِهِمْ وَ لَكِنَّهُ خَلَقَهُمْ عَيْدًا وَ جَعَلَ مِنْهُمْ شَقِيًّا وَ سَعِيدًا وَ غَوِيًّا وَ رَشِيدًا ثُمَّ اخْتَارَهُمْ عَلَى عِلْمِهِ فَاصْطَفَى وَ انْتَخَبَ مِنْهُمْ مُحَمَّدًا ص فَاخْتَصَّ بِرِسَالَتِهِ وَ اخْتَارَهُ لَوْحِيهِ وَ اثْتَمَنَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَ بَعَثَهُ رَسُولًا- مُصَيِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ وَ دَلِيلًا عَلَى الشَّرَائِعِ فَدَعَا إِلَى سَبِيلِ أَمْرِهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ وَ أَنَابَ وَ صَدَقَ وَ [وَافَقَ]

(٥) فَأَسْلِمَ وَ سَلِمَ أَحُوهُ وَ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع فَصَيِّدًا لِنَفْسِهِ بِالْغَيْبِ الْمَكْتُومِ وَ آثَرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ وَ وَقَاهُ كُلَّ هَوُولٍ وَ وَاسَأَهُ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ حَوْفٍ فَحَارَبَ حَزْبَهُ وَ سَأَلَهُ سَلْمَهُ فَلَمْ يَبْرَحْ مُبْتَدِلًا لِنَفْسِهِ فِي سَاعَاتِ الْأَزْلِ (٦) وَ مَقَامَاتِ الرَّوْعِ حَتَّى بُرِّزَ سَابِقًا

ص: ١٨٨

١-١ (١) صفين: «و رجلنا».

٢-٢ (٢) صفين ١٣٢-١٣٥.

٣-٣ (٣) في صفين: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر».

٤-٤ (٤) صفين: «مسلم».

٥-٥ (٥) من صفين.

٦-٦ (٦) الأزل: الشده و الضيق.

لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جِهَادِهِ وَلَا مُقَارِبَ لَهُ فِي فِعْلِهِ وَقَدْ رَأَيْتُكَ تُسَامِيهِ وَأَنْتَ أَنْتَ وَهُوَ هُوَ السَّابِقُ الْمُبَرِّزُ فِي كَمَلِ خَيْرِ أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا وَأَصْدَقِ النَّاسِ نِيَّةً وَأَطْيَبِ النَّاسِ ذُرِّيَّةً وَأَفْضَلَ النَّاسِ زَوْجَةً وَخَيْرِ النَّاسِ ابْنَ عَمٍّ وَأَنْتَ اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ لَمْ تَزَلْ أَنْتَ وَ أَبُوكَ تَبْعِيَانِ لِدِينِ اللَّهِ الْعَوَاتِلِ وَ تَجْتَهِدَانِ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَ تَجْمَعَانِ عَلَى ذَلِكَ الْجُمُوعَ وَ تَبْذُلَانِ فِيهِ الْمَالَ وَ تُحَالِفَانِ فِي ذَلِكَ الْقَبَائِلَ عَلَى هَذَا مَا تَأْبُوكَ وَ عَلَى ذَلِكَ خَلَفْتَهُ وَ الشَّاهِدُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ مَنْ يَأْوِي وَ يَلْجَأُ إِلَيْكَ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ وَ رُءُوسِ النِّفَاقِ وَ الشُّقَاقِ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ الشَّاهِدُ لِعَلِّيٍّ مَعَ فَضْلِهِ وَ سَابِقَتِهِ الْقَدِيمَةِ أَنْصَارُهُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فَفَضَّلَهُمْ وَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَهُمْ مَعَهُ كِتَابٌ وَ عَصَائِبٌ يُجَالِثُونَ حَوْلَهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَ يُهَرِّقُونَ دِمَاءَهُمْ دُونَهُ يَرُونَ الْفَضْلَ فِي اتِّبَاعِهِ وَ الشُّقَاقِ وَ الْعَصِيَانِ فِي خِلَافِهِ فَكَيْفَ يَا لَكَ الْوَيْلُ تَعْدِلُ نَفْسَكَ بِعَلِّيٍّ وَ هُوَ وَارِثُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ وَصِيُّهُ وَ أَبُو وُلْدِهِ وَ أَوَّلِ النَّاسِ لَهُ اتِّبَاعًا وَ آخِرُهُمْ بِهِ عَهْدًا يُخْبِرُهُ بِسِرِّهِ وَ يُشْرِكُهُ فِي أَمْرِهِ وَأَنْتَ عَيْدُوهُ وَ ابْنُ عَيْدُوهُ فَتَمَتَّعَ مَا اسْتِطَعْتَ بِبَاطِلِكَ وَ لِيَمِيدُكَ لَكَ إِنَّ الْعَاصِ فِي غَوَايَتِكَ فَكَانَ أَجْلُكَ قَدْ انْقَضَى وَ كَيْدُكَ قَدْ وَهَى وَ سَوْفَ تَسْتَبِينُ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ الْعُلْيَا وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تُكَادِي رَبَّكَ الَّذِي قَدْ أَمَنْتَ كَيْدَهُ وَ أَيْسَتْ مِنْ رُوحِهِ وَ هُوَ لَكَ بِالْمِرْصَادِ وَأَنْتَ مِنْهُ فِي غُرُورٍ وَ بِاللَّهِ وَ بِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ عَنْكَ الْغِنَاءُ وَ السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبِعِ الْهُدَى .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ (١) مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الزَّرَارِيِّ عَلَى أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَلَامًا عَلَى أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكَّرْتُ فِيهِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ فِي قُدْرَتِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ مَا أَصِيفِي بِهِ نَبِيَّهُ مَعَ كَلَامِ الْفَتَى وَ وَضَعْتُهُ لِرَأْيِكَ فِيهِ تَضَعِيفٌ وَ لِأَبِيكَ فِيهِ تَغْنِيفٌ ذَكَرْتَ حَقًّا

ص: ١٨٩

(١ - ١) بعدها في صفين: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ قَدِيمِ سَابِقَتِهِ وَ قَرَابَتِهِ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ وَ نُصَيْرَتِهِ لَهُ وَ مُوَاسَاةِ إِيَّاهُ فِي كُلِّ خَوْفٍ وَ هَوْلٍ وَ اِحْتِجَاجِكَ عَلَيَّ وَ فَخْرِكَ بِفَضْلِ غَيْرِكَ لَا بِفَضْلِكَ فَأَحْمَدُ إِلَهًا صَرَفَ ذَلِكَ الْفَضْلَ عَنْكَ وَ جَعَلَهُ لِغَيْرِكَ فَقَدْ كُنَّا وَ أَبُوكَ مَعَنَا فِي حَيَاةِ نَبِيِّنَا نَرَى حَقَّ إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا زِمًا لَنَا وَ فَضْلَهُ مُبَرِّزًا عَلَيْنَا فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ وَ أَتَمَّ لَهُ مَا وَعَدَهُ وَ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ وَ أَفْلَحَ حُجَّتَهُ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَكَانَ أَبُوكَ وَ فَارُوقُهُ أَوَّلَ مَنْ ابْتَزَّهُ وَ خَالَفَهُ عَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَا وَ اتَّسَقَا (١) ثُمَّ دَعَاوَاهُ إِلَى أَنْفُسِهِمَا فَأَبْطَأَ عَنْهُمَا وَ تَلَكَّأَ عَلَيْهِمَا فَهَمَّ بِهِ الْهُمُومَ وَ أَرَادَا بِهِ الْعَظِيمَ فَبَايَعَهُمَا وَ سَلَّمَ لَهُمَا لَا يُشْرِكَانِهِ فِي أَمْرِهِمَا وَ لَا يُطْلِعَانِهِ عَلَى سِرِّهِمَا حَتَّى قُبِضَا وَ انْقَضَى أَمْرُهُمَا ثُمَّ أَقَامَا بَعْدَهُمَا ثَالِثَهُمَا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَهْتَدِي بِهِمَا وَ يَسِيرُ بِسِيرَتِهِمَا فَعَبْتَهُ أَنْتَ وَ صَاحِبُكَ حَتَّى طَمَعَ فِيهِ الْأَقَاصِي مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَ بَطَنْتُمَا وَ ظَهَرْتُمَا (٢) وَ كَشَفْتُمَا لَهُ عَدَاوَتِكُمَا وَ غِلْكُمَا حَتَّى بَلَّغْتُمَا مِنْهُ مُنَاكِمًا فَخَذُ حِذْرِكَ يَا إِبْنَ أَبِي بَكْرٍ فَسَتَرِي وَ بَالَ أَمْرِكَ وَ قَسَّ شِبْرَكَ بِفِئْرِكَ تَقْصِيرُ عَنْ أَنْ تُسَاوِيَ أَوْ تُوَازِيَ مَنْ يَزِنُ الْجِبَالَ حِلْمُهُ وَ لَا تَلِينُ عَلَى قَسِيرٍ فَنَاتِهِ وَ لَا يُدْرِكُ ذُو مِيدَى أَنَاتِهِ أَبُوكَ مَهْدًا لَهُ مَهَادَةً وَ بَنَى مُلْكَهُ وَ شَادَهُ فَإِنْ يَكُنْ مَا نَحْنُ فِيهِ صَوَابًا فَأَبُوكَ أَوَّلُهُ وَ إِنْ يَكُنْ جَوْرًا فَأَبُوكَ أُسُّهُ (٣) وَ نَحْنُ شُرَكَاءُ فِيهِ دِيهِ أَخَذْنَا وَ بَفِعْلِهِ افْتَدَيْنَا رَأَيْنَا أَبَاكَ فَعَلَّ مَا فَعَلَّ فَاخْتَدَيْنَا مِثَالَهُ وَ افْتَدَيْنَا بِفِعَالِهِ فَعَبَّ أَبَاكَ بِمَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعَّ وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَنَابَ وَ رَجَعَ مِنْ غَوَايَتِهِ وَ تَابَ.

٦٢١

١- قَالَ وَ أَمَرَ عَلِيٌّ عَ الْحَارِثَ الْأَعْمُورَ أَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ أُخْرُجُوا إِلَيَّ مُعَسِّكِرِكُمْ

ص: ١٩٠

١-١) صفين: «و انشقا».

٢-٢) صفين: «أظهرتما».

٣-٣) صفين: «أسسه».

فَنَادَى الْحَارِثُ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ وَبَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ حَبِيبِ الْيَزْبُوعِيِّ صَاحِبِ شُرْطَتِهِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَحْشُرَ النَّاسَ إِلَى الْمُعَسْكَرِ وَدَعَا عُقْبَةَ بْنَ عَمْرِو الْأَنْصَارِيَّ فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْكُوفَةِ وَكَانَ أَصْغَرَ أَصْحَابِ الْعُقْبَةِ السَّبْعِينَ ثُمَّ خَرَجَ عَ وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ .

٦٢٢

١- قَالَ نَضِيرٌ وَدَعَا عَلِيٌّ عَ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ وَكَانَا عَلَى مَدْحَجٍ وَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَقَالَ يَا زِيَادُ اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مُمْسَى وَ مُصْبِحٍ وَ خَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْعُزُورَ لَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزْعَهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا وَازْعَا مِنَ الْبَغْيِ وَ الظُّلْمِ وَ الْعِدْوَانِ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجُنْدَ فَلَا تَسْـَٔتِطِلَنَّ عَلَيْهِمْ إِنْ خَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ تَعَلَّمْ مِنْ عَالِمِهِمْ وَ عِلْمَ جَاهِلِهِمْ وَ احْلُمْ عَنْ سَفِيهِهِمْ فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُدْرِكُ الْخَيْرَ بِالْحِلْمِ وَ كَفَّ الْأَذَى وَ الْجَهْلَ (١) .

فَقَالَ زِيَادٌ أَوْصَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَافِظًا لَوْصِيَّتِكَ مُؤَدِيًا لِأَرْبِكَ يَرَى الرُّشْدَ فِي نَفَازِ أَمْرِكَ وَ الْعَيَّ فِي تَضْيِيعِ عَهْدِكَ .

فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْخُذَا فِي طَرِيقِ وَاحِدٍ وَ لَا يَخْتَلِفَا وَ بَعَثَهُمَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا عَلَى مُقَدِّمَتَيْهِ وَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ فَآخَذَ شُرَيْحٌ يَعْتَرِلُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى حِدِّهِ وَ لَا يَقْرُبُ زِيَادًا فَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ عَ مَعَ مَوْلَى لَهُ يُقَالُ لَهُ شَوْذَبُ لِعَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ وَ لِيَتَنِي أَمْرُ

ص: ١٩١

النَّاسِ وَإِنْ شَرِيحًا لَا يَرَى بِي عَلَيْهِ طَاعَهُ وَلَا حَقًّا وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ بِي اسْتِخْفَافٍ بِأَمْرِكَ وَتَرْكٍ لِعَهْدِكَ وَالسَّلَامِ.

وَكَتَبَ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ إِلَى عَلِيٍّ ع لِعَبِيدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ سِيْلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ حِينَ أَشْرَكَتَهُ فِي أَمْرِكَ وَوَلَّيْتَهُ جُنْدًا مِنْ جُنُودِكَ طَعَى وَاسْتَكْبَرَ وَمَالَ بِهِ الْعُجْبُ وَالْخِيْلَاءُ وَالزُّهْمُ إِلَى مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنْ يَعْزِلَهُ عَنَّا وَتَبَعَتْ مَكَانَهُ مَنْ يُحِبُّ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّا لَهُ كَارِهُونَ وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ عَلِيٌّ ع إِلَيْهِمَا مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ عَلِيٍّ (١) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ وَشُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ سِيْلَامٌ عَلَيْكُمَا فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنِّي قَدْ وُلَّيْتُ مُقَدَّمَتِي زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَ أَمْرَتُهُ عَلَيْهَا وَشُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهَا أَمِيرٌ فَإِنْ انْتَهَى جَمْعُكُمْ إِلَى يَأْسٍ فَرِيَادُ بْنُ النَّضْرِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَإِنْ افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا أَمِيرُ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَلَّيْنَاهُ أَمْرَهَا وَاعْلَمَا أَنَّ مُقَدَّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَ عُيُونَ الْمُقَدَّمَةِ طَلَانِعُهُمْ فَإِذَا أَنْتَمَا خَرَجْتُمَا مِنْ بِلَادِكُمَا فَلَا تَسْأَلَا مِنْ تَوْجِيهِ الطَّلَانِعِ وَمِنْ نَفْضِ الشَّعَابِ (٢) وَالشَّجَرِ وَالْخَمْرِ (٣) فِي كُلِّ جَانِبٍ كَيْ لَا يَغْتَرَّكُمْ عِدُوٌّ أَوْ يَكُونَ لَهُمْ كَمِينٌ وَلَا تَسِيرَنَّ الْكُتَائِبَ وَالْقَبَائِلَ مِنْ لَدُنِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ إِلَّا عَلَى تَعَبْتِهِ فَإِنْ دَهَمَكُمْ عِدُوٌّ أَوْ غَشِيَكُمْ مَكْرُوهٌ كُنْتُمْ قَدْ تَقَدَّمْتُمْ فِي التَّعَبْتِهِ فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعِيدُوٌّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيُكُنْ مَعْسَكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سَفَاحِ (٤)

ص: ١٩٢

١-١) صفين: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله...».

٢-٢) يقال: نفض المكان ينفضه؛ إذا نظر جميع ما فيه حتى يعلم منه؛ و منه قول زهير: و تنفض عنها غيب كل خميله و تخشى رماه الغوث من كل مرصد و الشعاب: جمع شعبة؛ و هي ما انشعب و تفرع من الوادى.

٣-٣) الخمر: ما وارى الإنسان من شجر و نحوه.

٤-٤) الأشراف: جمع شرف؛ و هي الأماكن العالیه. و سفاح الجبال: أسافلها.

الْجِبَالِ وَ أَشْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونُ ذَلِكَ لَكُمْ رِذَاءً وَ تَكُونَ مُقَاتَلْتِكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ وَ اجْعَلُوا رُقَبَاءُ كَمَا (١) فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ وَ بِأَعَالِي الْأَشْرَافِ وَ مَنَابِ الْأَنْهَارِ يَرُونَ لَكُمْ كَيْ لَا (٢) يَأْتِيَكُمْ عَدُوٌّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافِهِ أَوْ أَمْنٍ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا وَ إِذَا رَحَلْتُمْ فَارْحَلُوا جَمِيعًا فَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَتَزَلْتُمْ فَحَفُّوا عَسْكَرَكُمْ بِالرَّمَاكِ وَ التَّرْسَةِ (٣) وَ لَتَكُنْ رُمَاتُكُمْ مِنْ وَرَاءِ تُرْسَاتِكُمْ وَ رِمَاحِكُمْ يُلُونَهُمْ وَ مَا أَقَمْتُمْ فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا كَيْ لَا- تُصَابَ لَكُمْ غَفْلَةٌ وَ لَا تَلْفَى لَكُمْ غِرَّةٌ فَمَا قَوْمٌ يَحْفُونَ عَسِيكَرَهُمْ بِرِمَاحِهِمْ وَ تِرْسَتِهِمْ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا كَانُوا كَأَنَّهُمْ فِي حُصُونٍ وَ اخْرُسَا عَسْكَرَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تَذُوقَا نَوْمًا حَتَّى تُصْبِحَا إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً (٤) ثُمَّ لِيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكُمْ وَ دَأْبُكُمْ حَتَّى تَنْتَهِيَا إِلَى عِدُوِّكُمْ وَ لِيَكُنْ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدِي خَبْرُكُمْ وَ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِكُمْ فَإِنِّي وَ لَا شَيْءَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ حَيْثُ السَّيْرِ فِي أَثْرِكُمْ عَلَيْكُمْ فِي جَزْيِكُمْ (٥) بِأَلْتَوَدَّهِ وَ إِيَّاكُمْ وَ الْعَجَلَةَ إِلَّا أَنْ تُمَكِّنَكُمْ فُرْصَةً بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَ الْحُجَّةِ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُقَاتِلَا حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا أَنْ تُبَدَّءَا أَوْ يَأْتِيَكُمْ أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٦)

٦٢٣

١- قَالَ نَضْرُ (٧) وَ كَتَبَ عَلِيٌّ عَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَ كَانَ قَدْ قَسَمَ عَسِيكَرَهُ أَسْبَاعًا فَجَعَلَ عَلَيَّ كُلَّ سُبُعٍ أَمِيرًا فَجَعَلَ سَعْدَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ عَلَيَّ قَيْسٍ وَ عَبْدَ الْقَيْسِ وَ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسِ الْيَزْبُوعِيَّ عَلَيَّ تَمِيمٍ وَ ضَبَّةَ وَ الرَّبَابَ وَ قُرَيْشٍ

ص: ١٩٣

١- ١) صفين: «رُقباءكم».

٢- ٢) كذا في ا، و في ب، ج بحذف «كي».

٣- ٣) الترسه: جمع ترس؛ و هو صفحه من الفولاذ مستديره، و يجمع على تراس أيضا.

٤- ٤) الغرار: القليل من النوم. و قوله: «مضمضه»؛ لما جعل للنوم ذوقا، أسرهم ألا- ينالوا منه إلا- بألسنتهم و لا- يسيغوه؛ فشبهه بالمضمضه بالماء و إلقائه من الفم من غير ابتلاع؛ كذا فسرهُ صاحب اللسان (٩: ١٠)؛ و أورد كلام الإمام.

٥- ٥) صفين: «حربكم».

٦- ٦) صفين ١٣٨-١٤٠.

٧- ٧) صفين ١٤٠، ١٣٢-١٤١.

وَ كِنَانَهُ وَ أَسَدٍ وَ مِخْنَفَ بْنِ سُلَيْمٍ عَلَى الْأَزْدِ وَ بَجِيلَةَ وَ خَثْعَمَ وَ الْأَنْصَارِ وَ خَزَاعَةَ وَ حُجْرَ بْنَ عَدِيِّ الْكِنْدِيِّ عَلَى كِنْدَةَ وَ حَضْرَمَوْتَ وَ قُضَاعَةَ وَ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ عَلَى مَذْحِجٍ وَ الْأَشْعَرِيِّينَ وَ سَعِيدَ بْنَ مَرْهَةَ الْهَمْدَانِيِّ عَلَى هَمْدَانَ وَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ حَمِيرٍ وَ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ عَلَى طَيْبِيِّ تَجْمَعُهُمُ الدَّعْوَةُ مَعَ مَذْحِجٍ وَ تَخْتَلِفُ الرَّائِيَتَانِ رَأْيَهُ مَذْحِجٍ مَعَ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ وَ رَأْيَهُ طَيْبِيِّ مَعَ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ هَذِهِ عَسَاكِرُ الْكُوفَةِ وَ أَمَّا عَسَاكِرُ الْبَصْرَةِ فَخَالِدُ بْنُ مَعْمَرِ السَّدُوسِيِّ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ وَ عَمْرُو بْنُ مَرْجُومِ الْعَبْدِيِّ عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ وَ ابْنُ شَيْمَانَ الْأَزْدِيُّ (١) عَلَى الْأَمْزِدِ وَ الْأَخْنَفُ عَلَى تَمِيمٍ وَ ضَبَّةَ وَ الرَّبَابِ وَ شَرِيكَ بْنَ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيِّ عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجُنُودِ (٢) [إِلَّا مِنْ جَوْعِهِ إِلَى شُبْعَةَ وَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى غِنَى أَوْ عَمَى إِلَى هُدَى فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ]

(٣) فَأَغْرِبُوا (٤) النَّاسَ عَنِ الظُّلْمِ وَ الْعِيدُونَ وَ خُذُوا عَلَى أَيْدِي سِفْهَائِكُمْ وَ احْتَرِسُوا أَنْ تَعْمَلُوا أَعْمَالًا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهَا عَنَّا فَيُرَدَّ بِهَا عَلَيْنَا وَ عَلَيْكُمْ دُعَاءُنَا فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ مَا يَعْجُبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (٥) وَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا مَقَّتْ قَوْمًا مِنَ السَّمَاءِ هَلَكُوا فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْلُوا أَنْفُسَكُمْ خَيْرًا وَ لَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرِهِ وَ لَا الرَّعِيَةَ مَعُونَهُ وَ لَا دِينَ اللَّهَ قُوَّةً وَ أَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَ عِنْدَكُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وَ أَنْ نَنْصُرَهُ مَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

ص: ١٩٤

١-١) في صفين: «صبره بن شيمان».

٢-٢) قوله: «أبرأ إليكم من معره الجيش»، نسبه صاحب اللسان هذا القول إلى عمر بن الخطاب، و قال: «و أما معره الجيش التي تبرأ منها عمر رضى الله عنه؛ فهي وطأتهم من مروا به من مسلم أو معاهد، و إصابتهم إياهم في حريمهم و أموالهم و زروعهم بما لم يؤذن لهم فيه»؛ و في صفين: «معه الجيش».

٣-٣) تكمله من كتاب صفين.

٤-٤) أغربوا الناس، أى نحوهم، و في صفين «فاعزلوا الناس».

٥-٥) سورة الفرقان ٧٧.

قَالَ وَ كَتَبَ عِ إِلَى جُنُودِهِ يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَم فِي الْحَقِّ جَمِيعاً سِوَاءِ أَسْوَدَ كُمْ وَأَحْمَرَ كُمْ وَ جَعَلَكَم مِنَ الْوَالِي وَ جَعَلَ الْوَالِي مِنْكُمْ بِمَنْزِلِهِ الْوَالِدِ مِنَ الْوَلَدِ وَ [بِمَنْزِلِهِ]

(١) الْوَالِدِ مِنَ الْوَالِدِ الَّذِي لَا يَكْفِيهِ مَنْعُهُ إِيَّاهُمْ طَلَبَ عِدُوهُ وَ التَّهَمَهُ بِهِ مَا سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ قَضَيْتُمْ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِ إِنْصِيءَ أَفْكُمْ وَ التَّعْدِيلُ بَيْنَكُمْ وَ الْكُفُّ عَنْ فَيْئِكُمْ فَإِذَا فَعَلَ مَعَكُمْ ذَلِكَ وَ جَبَّتْ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ فِيمَا وَافَقَ الْحَقَّ وَ نُصِرَتْهُ وَ الدَّفْعُ عَنْ سُلْطَانِ اللَّهِ فَإِنَّكُمْ وَزَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَكُونُوا لَهُ أَعْوَانًا وَ لِإِدِينِهِ أَنْصَارًا وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعِيدٌ إِصْلَاحُهَا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢)

٦٢٤

١،٢- قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ طَرِيفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ قَالَ عَلِيُّ ع مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي هَذَا الْقَبْرِ وَ فِي النَّخِيلَةِ وَ بِالْخَيْلَةِ قَبْرٌ عَظِيمٌ يَدْفِنُ الْيَهُودَ مَوْتَاهُمْ حَوْلَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع يَقُولُونَ هَذَا قَبْرُ هُودٍ لَمَّا عَصَاهُ قَوْمُهُ جَاءَ فَمَاتَ هَاهُنَا فَقَالَ كَذَبُوا لَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ هَذَا قَبْرُ يَهُودَا بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَكْرِ يَعْقُوبَ ثُمَّ قَالَ أَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ مَهْرَةَ (٣) فَأَتَى بِشَيْخٍ [كَبِيرٍ]

(٤) فَقَالَ أَيْنَ مَنْزِلُكَ قَالَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ قَالَ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْجَبَلِ (٥) قَالَ أَنَا قَرِيبٌ مِنْهُ قَالَ فَمَا يَقُولُ قَوْمُكَ فِيهِ قَالَ يَقُولُونَ إِنَّ فِيهِ قَبْرَ سَاحِرٍ قَالَ كَذَبُوا ذَاكَ قَبْرُ هُودِ النَّبِيِّ ع وَ هَذَا قَبْرُ يَهُودَا بْنُ يَعْقُوبَ ثُمَّ قَالَ

ص: ١٩٥

١-١) تكمله من كتاب صفين.

٢-٢) صفين ١٤٢، ١٤١.

٣-٣) مهره: حى من اليمن.

٤-١) تكمله من كتاب صفين.

-٥

ع يُحْشَرُ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَى غُرِّهِ (١) الشَّمْسِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قَالَ نَضِيرٌ فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ عِ النَّخِيلَةَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الشَّامِ وَ بَلَغَ مَعَاوِيَةَ خَبْرَهُ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ بِدِمَشْقَ قَدِمَ أَلْبَسَ مِثْبَرَ دِمَشْقَ قَمِيصَ عُثْمَانَ مُخْتَضِبًا بِالِدَّمِ وَ حَوْلَ الْمِثْبَرِ سَبْعُونَ أَلْفَ (٢) شَيْخٍ يَبْكُونَ حَوْلَهُ لَا تَجِفُّ دُمُوعُهُمْ عَلَى عُثْمَانَ حَطَبُهُمْ وَ قَالَ يَا أَهْلَ الشَّامِ قَدْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَنِي فِي عَلِيٍّ وَ قَدْ اسْتَبَانَ لَكُمْ أَمْرُهُ وَ اللَّهُ مَا قَتَلَ خَلِيفَتَكُمْ غَيْرُهُ وَ هُوَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ وَ أَلَبَّ النَّاسَ عَلَيْهِ وَ آوَى قَتَلْتَهُ وَ هُمْ جُنْدُهُ وَ أَنْصَارُهُ وَ أَعْوَانُهُ وَ قَدْ خَرَجَ بِهِمْ قَاصِدًا بِلَادِكُمْ وَ دِيَارِكُمْ لِإِبَادَتِكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِ عُثْمَانَ فَأَنَا وَ لِيئِهِ وَ أَحَقُّ مَنْ طَلَبَ بِدَمِهِ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوْلِيِّ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا فَأَنْصُرُوا خَلِيفَتَكُمْ الْمَظْلُومَ فَقَدْ صَنَعَ الْقَوْمُ بِهِ مَا تَعْلَمُونَ قَتَلُوهُ ظُلْمًا وَ بَغْيًا وَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقِتَالِ الْفِتْنَةِ الْبَاطِنِيَّةِ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ نَزَلَ.

قَالَ نَضِيرٌ فَأَعْطَوْهُ الطَّاعَةَ وَ انْقَادُوا لَهُ وَ جَمَعَ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ وَ اسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ عَلِيٍّ ع (٣)

ص: ١٩٦

١- ١) غره الشمس: مطلعها.

٢- ٢) كذا في الأصول و في كتاب صفين.

٣- ٣) كتاب صفين ١٤٣، ١٤٢.

كَأَنِّي بِعَيْكَ يَا كُوفَةَ تَمِيدُينَ مِيدَ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِي تَعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَ تُزَكِّيْنَ بِالزَّلَازِلِ وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءًا إِلَّا
ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ [أَوْ]

وَ رَمَاهُ (١) بِقَاتِلٍ .

عكاظ

اسم سوق للعرب بناحية مكه كانوا يجتمعون بها في كل سنه يقيمون شهرا و يتبايعون و يتناشدون شعرا و يتفاخرون قال أبو
ذؤيب إذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الألوفا (٢) .

فلما جاء الإسلام هدم ذلك و أكثر ما كان يباع الأديم بها فنسب إليها.

و الأديم واحد و الجمع أدم كما قالوا أفيق للجلد الذي لم تتم دباغته و جمعه أفق و قد يجمع أديم على آدمه كما قالوا رغيف و
أرغفه .

و الزلازل هاهنا الأمور المزعجه و الخطوب المحرکه.

ص: ١٩٧

١ - ١) مخطوطه النهج: «و رماه».

٢ - ٢) ديوان الهذليين ٩٨: ١؛ و في شرحه «على عكاظ، يريد بعكاظ، و يقال: فلان نازل على فلان، و على ضريه، أى بها. قام
البيع، يريد: قامت السوق».

وقوله ع تمدن مد الأديم استعاره لما ينالها من العسف و الخبط و قوله تعركين من عركت القوم الحرب إذا مارسهم حتى أتعبتهم

[فصل فى ذكر فضل الكوفه]

و قد جاء فى فضل الكوفه عن أهل البيت ع شىء كثير نحو

٦٢٥

قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

نِعْمَتِ الْمَدْرَةِ .

٦٢٦

وَ قَوْلُهُ ع

إِنَّهُ يُحْشَرُ مِنْ ظَهْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورِهِ الْقَمَرِ .

٦٢٧

وَ قَوْلُهُ ع

هَذِهِ مَدِينَتُنَا وَ مَحَلَّتُنَا وَ مَقَرُّ شِيعَتِنَا .

٦٢٨

وَ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع اللَّهُمَّ اِزِمْ مَنْ رَمَاهَا وَ عَادِ مَنْ عَادَاهَا.

٦٢٩

وَ قَوْلُهُ ع تُوْبَةُ تُحِبُّنَا وَ نُحِبُّهَا.

فأما ما هم به الملوك و أرباب السلطان فيها من سوء و دفاع الله تعالى عنها فكثير.

٦٣٠

٦- قَالَ الْمَنْصُورُ لَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع إِنِّي قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ إِلَى الْكُوفَةِ مَنْ يَنْقُضُ مَنَازِلَهَا وَ يُجَمِّرُ (١) نَخْلَهَا وَ يَسْتَصْفِي أَمْوَالَهَا وَ يَقْتُلُ أَهْلَ الرَّيْبَةِ مِنْهَا فَأَشِرْ عَلَيَّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمَرْءَ لَيَقْتَدِي بِسَلْفِهِ وَ لَكَ أَسْلَافٌ ثَلَاثَةٌ سَلِيْمَانُ أُعْطِيَ فَشَكَرَ وَ أَيُّوبُ

ابْتُلِيَ فَصَبَرَ وَ يُوسُفُ قَدَرَ فَغَفَرَ فَأَقْتَدِ بِأَيُّهُمْ شِئْتَ فَصَمْتَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ قَدْ غَفَرْتُ .

ص: ١٩٨

١-١) جمر النخلة؛ أى قطع جمارها.

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَازِيِّ فِي كِتَابِ الْمُتَنَزِّمِ أَنَّ زِيَادًا لَمَّا حَصَبَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِثْبَرِ قَطَعَ أَيْدِي ثَمَانِينَ مِنْهُمْ وَهُمْ أَنْ يُخَرَّبَ دُورَهُمْ وَيُجَمَّرَ نَحْلُهُمْ فَجَمَعَهُمْ حَتَّى مَلَأَ بِهِمُ الْمَسْجِدَ وَالرَّحْبَةَ يَعْزِضُهُمْ عَلَى الْبِرَاءَةِ مِنْ عَلِيٍّ عَ وَ عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَمْتِنُونَ فَيَحْتَجُّ بِذَلِكَ عَلَى اسْتِئْصَالِهِمْ وَإِحْرَابِ بِلَدِهِمْ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ السَّائِبِ الْأَنْصَارِيُّ فَإِنِّي لَمَعَ نَفْرٍ مِنْ قَوْمِي وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ إِذْ هَوِّمَتْ تَهْوِيمَهُ (١) فَرَأَيْتُ شَيْئًا أَقْبَلَ طَوِيلَ الْعُنُقِ مِثْلَ عُنُقِ الْبَعِيرِ أَهْدَرَ أَهْدَلَ (٢) فَقُلْتُ مَا أَنْتَ فَقَالَ أَنَا النَّقَادُ ذُو الرَّقَبَةِ بُعِثْتُ إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْقَضِيرِ فَاسْتَيْقَظْتُ فَرَعَاً فَقُلْتُ لِأَصِيحَابِي هَلْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ قَالُوا لَا فَأَخْبَرْتُهُمْ وَخَرَجَ عَلَيْنَا خَارِجٌ مِنَ الْقَضِيرِ فَقَالَ أَنْصِرُوا فَإِنَّ الْأَمِيرَ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي عَنْكُمْ الْيَوْمَ مَشْغُولٌ وَإِذَا بِالطَّاعُونَ قَدْ ضَرَبَهُ فَكَانَ يَقُولُ إِنِّي لِأَجِدُ فِي النَّصْفِ مِنْ جَسَدِي حَرَّ النَّارِ حَتَّى مَاتَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ السَّائِبِ مَا كَانَ مُنْتَهِيًا عَمَّا أَرَادَ بِنَا

قلت قد يظن ظان أن قوله صاحب الرحبه يمكن أن يحتج به من قال إن قبر أمير المؤمنين ع في رحبه المسجد بالكوفه و لا حجه في ذلك لأن أمير المؤمنين كان يجلس معظم زمانه في رحبه المسجد يحكم بين الناس فجاز أن ينسب إليه بهذا الاعتبار

ص: ١٩٩

١-١) التهويم: هز الرأس من النعاس.

٢-٢) يقال: هدر البعير؛ صوت في غير شقشقه، و الجمل الأهدل: المسترخى المشفر.

الْحَمِيدُ لِلَّهِ كَلِمًا وَقَبٌ لَيْلٌ وَغَسَقٌ وَالْحَمِيدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ وَالْحَمِيدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَاةِ الْإِفْضَالِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي وَآمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى شَرِّزِمَةَ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَاجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال الرضى رحمه الله يعنى ع بالملطاط هاهنا السمى الذى أمرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات و يقال ذلك أيضا لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض و يعنى بالنظفه ماء الفرات و هو من غريب العبارات و عجيبها - وقب الليل أى دخل قال الله تعالى وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (١).

و غسق أى أظلم و خفق النجم أى غاب.

ص: ٢٠٠

و مقدّمه الجيش بكسر الدال أوله و ما يتقدم منه على جمهور العسكر و مقدّمه الإنسان بفتح الدال صدره و الملطاط حافه الوادى و شفيره و ساحل البحر قال رؤبه نحن جمعنا الناس بالملطاط.

قال الأصمعي يعنى به ساحل البحر و قول ابن مسعود هذا الملطاط طريق بقيه المؤمنين هرابا من الدجال يعنى به شاطئ الفرات .

فأما قول الرضى رحمه الله تعالى الملطاط السميت الذى أمرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات و يقال ذلك لشاطئ البحر فلا معنى له لأنّه لا فرق بين شاطئ الفرات و شاطئ البحر و كلاهما أمر واحد و كان الواجب أن يقول الملطاط السميت فى الأرض و يقال أيضا لشاطئ البحر .

و الشردمه نفر قليلون .

و موطنين أكناف دجله أى قد جعلوا أكنافها وطنا أو طنت البقعه و الأكناف الجوانب واحدا كنف و الأمداد جمع مدد و هو ما يمد به الجيش تقويه له.

و هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين ع و هو بالنخيله خارجا من الكوفه و متوجها إلى صفيين لخمس بقين من شوال سنه سبع و ثلاثين

٦٣٢

ذَكَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ السَّيْرِ وَ زَادُوا فِيهَا

وَ قَدْ أَمَرْتُ عَلَى الْمِضْرِ عُقْبَةَ بِنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ وَ لَمْ آلُكُمْ وَ لَا نَفْسِي (١) فَإِيَّاكُمْ وَ التَّخْلُفَ وَ التَّرْبُصَ فَإِنِّي قَدْ خَلَفْتُ مَالِكَ بِنِ حَبِيبِ الْيَزْبُوعِيِّ وَ أَمْرُهُ أَلَّا يَتْرُكَ مُتَخَلِّفًا إِلَّا الْحَقَّ بِكُمْ عَاجِلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٢) .

ص: ٢٠١

١-١) يقال: ما يالو الشيء، أى ما يتركه.

٢-٢) صفيين ١٤٨.

و روى نصر بن مزاحم عوض قوله فأنهضهم معكم إلى عدوكم فأنهضهم معكم إلى عدو الله (١).

٦٣٣

١- قَالَ نَضِيرٌ فَقَامَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرَّيَاحِيِّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إِلَّا ظَنِينٌ وَلَا يَتَرَبِّصُ بِكَ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمُرَّ مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ فَلْيَضْرِبْ أَعْنَاقَ الْمُتَخَلِّفِينَ فَقَالَ قَدْ أَمَرْتُهُ بِأَمْرِي وَ لَيْسَ بِمُقَصِّرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٢).

[أخبار على في جيشه و هو في طريقه إلى صفين]

٦٣٤

١- قَالَ نَضِيرُ بْنُ مُزَاحِمٍ ثُمَّ سَارَعَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرٍ (٣) وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ حُرُّ بْنُ سَيِّهَمِ بْنِ طَرِيفٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ يَنْظُرُ إِلَى آثَارِ كِسْرَى وَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ جَرَتِ الرَّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ (٤) فَقَالَ لَهُ عِالَاءُ- قُلْتَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَدَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَأَكْهَيْنَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٥) إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارِثِينَ فَأَصِيبُوا مَوْرِثِينَ وَ لَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ فَسَلِبُوا دُنْيَاهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ إِيَّاكُمْ وَ كَفَرُوا النِّعْمَ لَا تَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمُ أَنْزَلُوا بِهِذِهِ الْفَجْوَةَ (٦)

ص: ٢٠٢

(١-١) صفين: «إلى أعداء الله».

(٢-٢) صفين ١٤٨.

(٣-٣) بهر سير: بلد قرب المدائن.

(٤-٤) من قصيده له في المفضليات ٢١٦-٢٢٠.

(٥-٥) سورة الدخان ٢٥-٢٩.

(٦-٦) الفجوة: المكان المتسع في الأرض؛ و في صفين ١٥٩ «النجوه»؛ و هو المكان المرتفع.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا (١) عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُسْلِمِ الْأَعْوَرِ عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ قَالَ أَمَرَ عَلِيُّ ع الْحَارِثَ الْأَعْوَرَ فَصَاحَ فِي أَهْلِ الْمَدَائِنِ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ فَلْيُؤَافِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع صِيْلَةَ الْعَصِيرِ فَوَافُوهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ تَعَجَّبْتُ مِنْ تَخْلُفِكُمْ عَنْ دَعْوَتِكُمْ وَ انْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَهْلِ مِصْرِكُمْ فِي هَذِهِ الْمَسَاكِنِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا الْهَالِكِ أَكْثَرُ سَاكِنِيهَا لَا مَعْرُوفٌ يَأْمُرُونَ بِهِ وَ لَا مُنْكَرٌ يَنْهَوْنَ عَنْهُ.

فَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا نَنْتَظِرُ أَمْرَكَ مُرْنَا بِمَا أَحْبَبْتَ فَسَارَ وَ خَلَفَ عَلَيْهِمْ عِدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَقَامَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا ثُمَّ خَرَجَ فِي ثَمَانِمَائِهِ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَ خَلَفَ ابْنَهُ زَيْدًا بَعْدَهُ فَلَحِقَهُ فِي أَرْبَعِمَائِهِ رَجُلٍ مِنْهُمْ.

وَ جَاءَ عَلِيُّ ع حَتَّى مَرَّ بِالْأَنْبَارِ فَاسْتَقْبَلَهُ بَنُو خُشْمُوشَكَ (٢) دَهَاقِيئُهَا قَالَ نَصِيرٌ الْكَلِمَةُ فَارِسِيَّةٌ أَصْلُهَا خُشٌّ أَيْ الطَّيِّبُ (٣) قَالَ فَلَمَّا اسْتَقْبَلُوهُ نَزَلُوا عَنْ خِيُولِهِمْ ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَدُونَ مَعَهُ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَعَهُمْ بَرَادِينٌ قَدْ أَوْقَفُوهَا فِي طَرِيقِهِ فَقَالَ مَا هَيْدَةُ الدَّوَابِّ الَّتِي مَعَكُمْ وَ مَا أَرَدْتُمْ بِهَذَا الَّذِي صَيَّرْتُمْ قَالُوا أَمَا هَيْدَةُ الَّذِي صَيَّرْنَا فَهُوَ خُلِقَ مِنَّا نُعْظَمُ بِهِ الْأُمَرَاءُ وَ أَمَا هَيْدَةُ الْبَرَادِينِ فَهَيْدِيَّةٌ لَكَ وَ قَدْ صَنَعْنَا لِلْمُسْلِمِينَ طَعَامًا وَ هَيَّأْنَا لِدَوَابِّكُمْ عِلْفًا كَثِيرًا.

فَقَالَ ع أَمَا هَيْدَةُ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ فِيكُمْ خُلِقَ تُعْظَمُونَ بِهِ الْأُمَرَاءُ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُ ذَلِكَ الْأُمَرَاءُ وَ إِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ وَ أَبْدَانَكُمْ فَلَا تَعُودُوا

ص: ٢٠٣

١-١) صفين ١٦١، ١٦٠.

٢-٢) في الأصول «خشوش»، و ما أثبتته من كتاب صفين.

٣-٣) العبارة كما في كتاب صفين: «قال سليمان: خش: طيب. نوشك: راض، يعنى بنى الطيب الراضى، بالفارسيه».

لَهُ وَ أَمَّا دَوَابُّكُمْ هَذِهِ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ آخُذَهَا مِنْكُمْ وَ أَحْسَبْتُمْ بِهَا لَكُمْ مِنْ خَرَاجِكُمْ أَخَذْنَاهَا مِنْكُمْ وَ أَمَّا طَعَامُكُمْ الَّذِي صَنَعْتُمْ لَنَا فَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ إِلَّا- بِشَمَنِ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نَقُومُهُ ثُمَّ نَقَبِلُ ثُمَّ قَالَ إِذَا لَا تَقُومُونَهُ قِيمَتَهُ نَحْنُ نَكْتَفِي بِمَا هُوَ دُونَهُ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَنَا مِنَ الْعَرَبِ مَوَالِي وَ مَعَارِفَ أَوْ تَمَنَعْنَا أَنْ نُهْدَى لَهُمْ أَوْ تَمَنَعْتُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنَّا فَقَالَ كُلُّ الْعَرَبِ لَكُمْ مَوَالٍ وَ لَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّتَكُمْ وَ إِنْ غَضِبَكُمْ أَحَدٌ فَأَعْلَمُونَا قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَنَا وَ كَرَامَتَنَا قَالَ وَ يُحْكَمُ فَنَحْنُ أَعْنَى مِنْكُمْ وَ تَرَكَهُمْ وَ سَارَ

٦٣٦

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا (١) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَيَّاهٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ حَدَّثَنَا [أَبُو]

(٢) سَيَّعِيدِ السَّيْمِيِّ الْمَعْرُوفُ بِعَقِيصِي قَالَ كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ ع فِي مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْكُوفَةِ مِنْ حَيَابِ هَذَا السَّوَادِ عَطِشَ النَّاسُ وَ اخْتَأَجُوا إِلَى الْمَاءِ فَانْطَلَقَ بِنَا عَلِيٌّ ع حَتَّى أَتَى [بِنَا]

(٣) إِلَى صَخْرِهِ ضِرْسٍ (٤) فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهَا رُبُضُهُ (٥) عَنَزٍ فَأَمَرْنَا فَاقْتَلَعْنَاهَا فَخَرَجَ لَنَا مِنْ تَحْتِهَا مَاءٌ فَشَرِبَ النَّاسُ مِنْهُ وَ ارْتَوَوْا ثُمَّ أَمَرْنَا فَأَكْمَأْنَاهَا عَلَيْهِ وَ سَارَ النَّاسُ حَتَّى إِذَا مَضَى قَلِيلًا قَالَ ع أَمِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَكَانَ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي شَرِبْتُمْ مِنْهُ قَالُوا نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَانْطَلِقُوا إِلَيْهِ فَانْطَلَقَ مِنَّا رِجَالٌ رُكْبَانًا وَ مُشَاهَافَقْتَصَّصْنَا الطَّرِيقَ إِلَيْهِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نَرَى أَنَّهُ فِيهِ فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى إِذَا عِيلَ عَلَيْنَا انْطَلَقْنَا إِلَى دَيْرٍ قَرِيبٍ

ص: ٢٠٤

١-١ (١) صفين ١٦٢، ١٦١.

٢-٢ (٢) من صفين و القاموس.

٢-٣ (٢) من صفين و القاموس.

٤-٤ (٤) الربضة، بضم الراء و يقال بكسرهما؛ مقدار جثه العنز إذا ربضت؛ و في الأثر: «جاء بشريد كأنه ربضه أرنب» أي جثتها. راجع اللسان.

-٥

مِنَّا فَسَأَلْنَاهُمْ أَيْنَ هَذَا الْمَاءُ الَّذِي عِنْدَكُمْ قَالُوا لَيْسَ قُرْبَنَا مَاءٌ فَقُلْنَا بَلَىٰ إِنَّا شَرَبْنَا مِنْهُ قَالُوا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ مِنْهُ قُلْنَا نَعَمْ فَقَالَ صَاحِبُ الدَّيْرِ وَاللَّهِ مَا بَيْنِي هَذَا الدَّيْرُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ وَمَا اسْتَخْرَجَهُ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ نَبِيٍّ.

قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ مَضَىٰ عَ حَتَّىٰ نَزَلَ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ بَنُو تَعْلَبَ وَالنَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ بِجَزُورٍ (١) فَقَالَ عَ لِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْحَبِيِّ يَا يَزِيدُ قَالَ لَيْتَنِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ مِنْ طَعَامِهِمْ فَاطْعَمَ وَمِنْ شَرَابِهِمْ فَاشْرَبَ .

قَالَ ثُمَّ سَارَ حَتَّىٰ أَتَى الرَّقَّةَ وَجُلَّ أَهْلُهَا عُثْمَانِيَّةً فَرُؤُوا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ فَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا دُونَهُ وَتَحَصَّنُوا وَكَانَ أَمِيرُهُمْ سَمَّاكُ بْنُ مَخْرَمَةَ [مَخْرَمَةَ]

الْأَسَدِيُّ فِي طَاعَةِ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَانَ فَارَقَ عَلِيًّا عَ فِي نَحْوِ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ثُمَّ كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ وَأَقَامَ بِالرَّقَّةِ حَتَّىٰ لَحِقَ بِهِ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ.

قَالَ نَضِيرٌ فَرَوَىٰ حَبَّهُ أَنَّ عَلِيًّا عَ لَمَّا نَزَلَ عَلَى الرَّقَّةِ نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْبَلِيخُ عَلَىٰ جَانِبِ الْفُرَاتِ فَنَزَلَ رَاهِبٌ هُنَاكَ مِنْ صَوْمَعْتِهِ فَقَالَ لِعَلِيِّ عَ إِنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا تَوَارَتْهُ عَنْ آبَائِنَا كَتَبَهُ أَصْحَابُ عِيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأَ الرَّاهِبُ الْكِتَابَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي قُضِيَ فِيهَا قُضِيَ وَسَطَرَ فِيهَا كَتَبَ (٢) أَنَّهُ بَاعَثُ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ .

.. يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَدُلُّهُمْ عَلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ لَا فِطْرَ وَلَا غَلِيظَ وَلَا صَحَّابَ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَلْ يَغْفُو وَيُصْفِحُ أُمَّتَهُ الْحَمَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ نَشْرٍ (٣) وَفِي كُلِّ صُعُودٍ وَهُبُوطٍ تَذَلُّ أَلْسِنَتُهُمْ

ص: ٢٠٥

١- ١) الجزور: الناقة التي تنحر؛ و في صفين: «بالجزيره».

٢- ٢) صفين: «فيما سطر».

٣- ٣) النشز: المكان المرتفع، كالنشاز.

بِالتَّكْبِيرِ وَ التَّهْلِيلِ وَ التَّسْبِيحِ وَ يُنْصِرُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ فَإِذَا تَوَفَّاهُ اللَّهُ اخْتَلَفَتْ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ فَلَبِثَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ اخْتَلَفَتْ فَيَمُرُّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِهِ بِشَاطِئِ هَذَا الْفِرَاتِ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ لَا يُرْكَسُ (١) الْحُكْمَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّمَادِ فِي يَوْمٍ عَصَيْفَتْ بِهِ الرِّيحُ وَ الْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ عَلَى الظَّمآنِ (٢) يَخَافُ اللَّهُ فِي السِّرِّ وَ يَنْصَحُ لَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيْمٍ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ فَأَمَّنَ بِهِ كَانَ ثَوَابُهُ رِضْوَانِي وَ الْجَنَّةُ وَ مَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الْعَبْدَ الصَّالِحَ فَلْيَنْصُرْهُ فَإِنَّ الْقَتْلَ مَعَهُ شَهَادَةٌ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ أَنَا مُصَاحِبُكَ فَلَا أُفَارِقُكَ حَتَّى يُصَيِّبَنِي مَا أَصَابَكَ فَبَكَى عِ نِمْ قَالَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ أَكُنْ عِنْدَهُ مَنْسِيًّا الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَكَرَنِي عِنْدَهُ فِي كُتُبِ الْأَبْرَارِ .

فَمَضَى الرَّاهِبُ مَعَهُ فَكَانَ فِيمَا ذَكَرُوا يَتَعَدَّى مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ يَتَعَشَّى حَتَّى أَصَابَ يَوْمَ صَفِينٍ فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ يَدْفِنُونَ فَتَلَاهُمْ قَالَ عِ أَطْلُبُوهُ فَلَمَّا وَجَدُوهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَ دَفَنَهُ وَ قَالَ هَذَا مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُ مَرَارًا (٣) .

رَوَى هَذَا الْخَبْرَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صَفِينٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُسْلِمِ الْأَعْوَرِ عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ وَ رَوَاهُ أَيْضًا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَيْرِزِيلِ الْهَمْدَانِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ حَبَّةٍ أَيْضًا فِي كِتَابِ صَفِينٍ

٤٣٧

١٤,١- وَ رَوَى ابْنُ دَيْرِزِيلِ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ عَتِيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ رَجَاءٍ عَنْ أَبِيهِ وَ مُحَمَّدٍ

ص: ٢٠٦

١- ١) الر كس: رد الشيء مقلوبا، و في صفين: «و لا يرتشى في الحكم».

٢- ٢) صفين: «الظماء».

٣- ٣) كتاب صفين لنصر ١٦٤، ١٦٥.

بْنِ فَضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَانْقَطَعَ شِسْعٌ (١) نَعْلِهِ فَأَلْقَاهَا إِلَى عَلِيٍّ ع يُضِلُّهَا ثُمَّ قَالَ إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلِيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلِيَّ تَنْزِيلَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَا- فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا وَ لَكِنَّهُ ذَاكُمْ خَاصِصُ النَّعْلِ وَ يَدُ عَلِيٍّ ع عَلَى نَعْلِ النَّبِيِّ ص يُضِلُّهَا.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَأَتَيْتُ عَلِيًّا ع فَبَشَّرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَحْفَلِ بِهِ كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ كَانَ عَلِمَهُ مِنْ قَبْلُ

٦٣٨

١٤,١- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْبٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَيْضًا عَنْ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ ابْنِ فَضَيْلٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجْرِيِّ عَنْ أَبِي صَادِقٍ قَالَ قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ الْعِرَاقَ فَأَهْدَتْ لَهُ الْأَمَزْدُ جُزْرًا (٢) فَبَعَثُوهُمَا مَعِيَ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَ قُلْتُ لَهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ قَدْ كَرَّمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِصُحْبِهِ نَبِيِّهِ ص وَ نَزُولِهِ عَلَيْكَ فَمَا لِي أَرَاكَ تَسْتَقْبِلُ النَّاسَ بِسَيْفِكَ تُقَاتِلُهُمْ هَوْلَاءَ مَرَّةً وَ هَوْلَاءَ مَرَّةً قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص عَهَدَ إِلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ مَعَ عَلِيٍّ النَّاكِثِينَ فَفَسَدَ قَاتِلُنَاهُمْ وَ عَهَدَ إِلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ مَعَهُ الْقَاسِطِينَ فَهَذَا وَجْهُنَا إِلَيْهِمْ يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَ أَصْحَابَهُ وَ عَهَدَ إِلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَ مَعَهُ الْمَارِقِينَ وَ لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ

٦٣٩

١٤,١,١٥,٢,٣- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْبٍ أَيْضًا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدِ الْحَنْفِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلِ السُّدِّيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ هُوَ

ص: ٢٠٧

١- (١) الشسع: قبال النعل؛ و هو زمام بين الإصبع الوسطى و التى تليها.

٢- (٢) الجزر: جمع الجزور؛ و هو ما يذبح من الإبل.

فِي الْحَجْرَةِ يُوحَى إِلَيْهِ وَ نَحْنُ نَنْتَظِرُهُ حَتَّى اشْتَدَّ الْحَرُّ فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ مَعَهُ فَاطِمَةُ وَ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ ع فَقَعِدُوا فِي ظِلِّ حَائِطٍ يَنْتَظِرُونَهُ فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَأَاهُمْ فَأَتَاهُمْ وَ وَقَفْنَا نَحْنُ مَكَانَنَا ثُمَّ جَاءَ إِلَيْنَا وَ هُوَ يُظَلُّهُمْ بِثَوْبِهِ مُمَسِّكًا بِطَرَفِ الثَّوْبِ وَ عَلِيُّ مُمَسِّكٌ بِطَرَفِهِ الْآخَرِ وَ هُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمْ فَأَحِبَّهُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُكَ لِمَنْ سَأَلْتَهُمْ وَ حَزَبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ قَالَ فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

٦٤٠

١١٤-١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ وَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَكَمِ النَّخَعِيُّ عَنْ رَبَاحِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ ع إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مُتَلَثِّمُونَ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا فَقَالَ لَهُمْ أَوْ لَسِيْتُمْ قَوْمًا عَرَبًا قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّا سَيِّمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَوْمَ عَدِيرِ حُمٍّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَ انصُرْ مَنْ نصرَهُ وَ اخذْ مَنْ خذَلَهُ قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا ع ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ ثُمَّ قَالَ إِشْهَدُوا .

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ مَضَوْا إِلَى رِحَالِهِمْ فَتَبِعْتُهُمْ فَقُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الْقَوْمِ قَالُوا نَحْنُ رَهِيْطٌ مِنَ الْأَنْصِيَارِ وَ ذَاكَ يَعْنُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ صَاحِبُ مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَصَافَحْتُهُ

٦٤١

١- قَالَ نَصِيْرٌ وَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ نُمَيْرِ بْنِ وَعْلَةَ عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ أَنَّ (١) عَلِيًّا ع بَعَثَ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ فِي ثَلَاثِ آلَافٍ وَ قَالَ لَهُ خُذْ عَلَيَّ

ص: ٢٠٨

الْمَوْصِلِ ثُمَّ نَصَبِينَ ثُمَّ الْقِنَى بِالرَّقَةِ فَإِنِّي مُوَافِيهَا وَ سَكَنَ النَّاسَ وَ أَمْنَهُمْ وَ لَا تُقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ وَ سِرِّ الْبُرْدَيْنِ (١) وَ عَوَّزَ بِالنَّاسِ (٢) أَقِمِ اللَّيْلَ وَ رَفَّهُ فِي السَّيْرِ وَ لَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا أَرِخَ فِيهِ بَدَنَكَ وَ جُنْدَكَ وَ ظَهَرَكَ فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَتَبَلَّجُ (٣) الْفَجْرُ فَسِرْ.

فَسَارَ حَتَّى أَتَى الْحَدِيثَةَ وَ هِيَ إِذْ ذَاكَ مَنَزِلُ النَّاسِ وَ إِنَّمَا بَنَى مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ بَعْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ فَإِذَا بِكَبْشَيْنِ يَتَتَبَّحَانِ وَ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسِ رَجُلٌ مِنْ خَتَمِ يُقَالُ لَهُ شَدَادُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ (٤) قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ الْحَرُورِيِّهِ فَأَخَذَ يَقُولُ إِيهِ إِيهِ فَقَالَ مَعْقِلُ مَا تَقُولُ فَجَاءَ رَجُلَانِ نَحْوِ الْكَبْشَيْنِ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَبْشًا وَ انْصَرَفَا فَقَالَ الْخَتَمِيُّ لِمَعْقِلِ لَا تَغْلِبُونَ وَ لَا تَغْلِبُونَ فَقَالَ مَعْقِلُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ قَالَ أَمَا أَبْصَرْتَ الْكَبْشَيْنِ أَحَدُهُمَا مُشْرِقٌ وَ الْآخَرُ مُغْرِبٌ التَّقِيَا فَاقْتَتَلَا وَ انْطَحَا فَلَمْ يَزَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مُصَاحِبِهِ مُنْتَصِفًا حَتَّى أَتَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ فَاَنْطَلَقَ بِهِ فَقَالَ مَعْقِلُ أَوْ يَكُونُ خَيْرًا مِمَّا تَقُولُ يَا أَخَا خَتَمِ ثُمَّ مَضَى حَتَّى وَافَى عَلِيًّا ع بِالرَّقَةِ قَالَ نَصْرٌ وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اكْتُبْ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ وَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ قَوْمِكَ فَإِنَّ الْحُجَّهَ لَا تَزْدَادُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ إِلَّا عِظْمًا فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ ع [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

(٥) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ قُرَيْشٍ

ص: ٢٠٩

١- (١) البردان: الغداه و العشى.

٢- (٢) غور بالناس، أى انزل بهم فى الغائره؛ و هى القائله؛ أو نصف النهار.

٣- (٣) صفين: «ينطح»، و فى ب: «ينبلح».

٤- (٤) كذا فى صفين، ا، ج، و فى ب: «شرار بن أبى ربيعه».

٥- (٥) من صفين.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا آمَنُوا بِالَّتَنْزِيلِ وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ وَفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَبَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْيَادًا لِلرَّسُولِ تُكَذِّبُونَ (١) بِالْكِتَابِ مُجْمِعُونَ عَلَى حَزْبِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ ثَقِفْتُمْ مِنْهُمْ حَبْسًا تَمُوهُ أَوْ عَيْدًا تَمُوهُ أَوْ قَتْلًا تَمُوهُ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِعْزَازَ دِينِهِ وَإِظْهَارَ أَمْرِهِ فَدَخَلَتِ الْعَرَبُ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا وَاسْتَلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا فَكُنْتُمْ فِيمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وَفَازَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَتَّبِعِي لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سَوَابِقِهِمْ فِي الدِّينِ وَلَا فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يَنَازِعَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ فَيَجُورُ (٢) وَيُظْلِمُ وَلَا يَتَّبِعِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَهُ وَيَعْدُو طَوْرَهُ وَيَشْقَى نَفْسَهُ بِالْتِمَاسِ مَا لَيْسَ بِأَهْلِهِ فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَقْرَبُهَا مِنَ الرَّسُولِ وَأَعْلَمُهَا بِالْكِتَابِ وَأَفْقَهُهَا فِي الدِّينِ وَأَوْلُهَا إِسْلَامًا وَأَفْضَلُهَا جِهَادًا وَأَشَدُّهَا بِمَا تَحْمِلُهُ الْأَثْمَةَ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ اضْطِرَاعًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ وَأَنَّ شَرَارَهُمُ الْجُهَالُ الَّذِينَ يَنَازِعُونَ بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ فَإِنَّ لِلْعَالِمِ بَعْلِمِهِ فَضْلًا وَإِنَّ الْجَاهِلَ لَا يَزِدَادُ بِمُنَازَعَتِهِ الْعَالِمَ إِلَّا جَهْلًا أَلَا وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَنِهِ نَبِيِّهِ وَحَقِّنْ دِمَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ قَيْلَتُمْ أَصَبْتُمْ رُشْدَكُمْ وَاهْتَدَيْتُمْ لِحِطَّتْكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَشَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ لَمْ تَزِدَادُوا مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَلَا يَزِدَادُ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا سَخَطًا وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ جَوَابَ هَذَا الْكِتَابِ سَطْرًا وَاحِدًا وَهُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ

ص: ٢١٠

١-١) «مكذبون».

٢-٢) ب و صفيين: «يحب».

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ

غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِيِّ وَضَرْبِ الرَّقَابِ

فَقَالَ عَلِيٌّ ع لَمَّا أَتَاهُ هَذَا الْجَوَابُ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١)

٦٤٢

١- قَالَ نَضْرٌ وَ قَالَ عَلِيٌّ ع لِأَهْلِ الرَّفَّةِ جَسُرُوا لِي جِسْرًا أُعْبِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ إِلَى الشَّامِ فَأَبَوْا وَ قَدِ كَانُوا ضَمُّوا السُّفْنَ إِلَيْهِمْ فَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُعْبَرَ عَلَى جِسْرِ مَبِجٍ وَ خَلَفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ فَقَالَ يَا أَهْلَ هَذَا الْحِصْنِ إِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ مَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ لَمْ تَجَسُرُوا لَهُ عِنْدَ مَدِينَتِكُمْ حَتَّى يَعْبَرَ مِنْهَا لِأَجْرَدَنْ فِيكُمْ السَّيْفَ فَلَأَقْتُلَنَّ مَقَاتِلَكُمْ وَ لَأُخَرِّبَنَّ أَرْضَكُمْ وَ لَأُخَذَنَّ أَمْوَالَكُمْ.

فَلَقِيَ بَعْضُ هُمْ بَعْضًا فَقَالُوا إِنَّ الْأَشْتَرَ يَفِي بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ وَ إِنَّمَا خَلَفَهُ عَلِيٌّ عِنْدَنَا لِأَيُّتِنَا بِشَرٍّ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ إِنَّا نَاصِبُونَ لَكُمْ جِسْرًا فَأَقْبَلُوا فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ ع فَجَاءَ وَ نَصَبُوا لَهُ الْجِسْرَ فَعَبَّرَ الْأَثْقَالَ وَ الرَّجَالَ وَ أَمَرَ الْأَشْتَرَ فَوَقَفَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا عَبَرَ ثُمَّ عَبَرَ آخِرُ النَّاسِ رَجُلًا.

قَالَ نَضْرٌ وَ أزدَحَمَتِ الْخَيْلُ حِينَ عَبَرَتْ فَسَقَطَتْ فَلَنَسُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحُصَيْنِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا وَ رَكِبَ ثُمَّ سَقَطَتْ فَلَنَسُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ فَنَزَلَ فَأَخَذَهَا ثُمَّ رَكِبَ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ فَإِنْ يَكُ ظَنُّ الرَّاجِرِ الطَّيْرَ صَادِقًا كَمَا زَعَمُوا أَفْتُلُ وَ شِيكًا وَ تُفْتُلُ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحُصَيْنِ مَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا ذَكَرْتَ فَقْتِلَا مَعًا يَوْمَ صِفِّينَ (٢).

ص: ٢١١

١-١) سورة القصص ٥٦.

٢-٢) صفين ١٦٩.

قَالَ نَصِيرٌ فَلَمَّا (١) قَطَعَ عَلِيٌّ عَ الْفَرَاتِ دَعَا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَ شُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ فَسَدَّ رَحْمَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ حِينَ خَرَجَا مِنَ الْكُوفَةِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَقَدْ كَانَ حَيْثُ سَرَّحَهُمَا مِنَ الْكُوفَةِ مُقَدَّمَهُ لَهُ أَخْذًا عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ مِنْ قِبَلِ الْبَرِّ مِمَّا يَلِي الْكُوفَةَ حَتَّى بَلَغَا عَانَاتِ (٢) فَبَلَغَهُمْ أَخْذُ عَلِيٍّ عَ طَرِيقَ الْجَزِيرَةِ وَ عَلِمَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي جُنُودِ الشَّامِ مِنْ دِمَشْقَ لِاسْتِيقْبَالِهِ فَقَالَا وَ اللَّهُ مَا هَذَا بِرَأْيٍ أَنْ نَسِيرَ وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْبَحْرُ وَ مَا لَنَا خَيْرٌ فِي أَنْ نَلْقَى جُمُوعَ الشَّامِ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْعِيدِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ الْمَيْدِ فَذَهَبُوا لِيُعْبَرُوا مِنْ عَانَاتِ فَمَنْعَهُمْ أَهْلُهَا وَ حَبَسُوا عَنْهُمْ السُّفْنَ فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ حَتَّى عَبَرُوا مِنْ هَيْتِ وَ لَحِقُوا عَلِيًّا عَ بِقَرْيَةِ دُونَ قَرْيَةِ سَيْبَا فَلَمَّا لَحِقُوا عَلِيًّا عَ عَجِبَ وَ قَالَ مُقَدِّمَتِي تَأْتِي مِنْ وَرَائِي فَقَامَ لَهُ زِيَادٌ وَ شُرَيْحٌ وَ أَخْبَرَاهُ بِالرَّأْيِ الَّذِي رَأَى فَقَالَ قَدْ أَصَيْبْتُمَا رُشْدًا كَمَا فَلَمَّا عَبَرُوا الْفَرَاتَ قَدَّمَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى مُعَاوِيَةَ لَقِيَهُمَا أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ فِي جُنُودِ مَنْ أَهْلِ الشَّامِ وَ هُوَ عَلَى مُقَدَّمِهِ مُعَاوِيَةَ فَدَعَاوَاهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَأَبَى فَبَعَثُوا إِلَى عَلِيٍّ عَ إِنَّا قَدْ لَقِينَا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ بِسُورِ الرُّومِ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَعَوْنَاهُ وَ أَصْحَابَهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِكَ فَأَبَى عَلَيْنَا فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ.

فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ عَ إِلَى الْأَشْتَرِ فَقَالَ يَا مَالِ إِنَّ زِيَادًا وَ شُرَيْحًا أَرْسَلَا إِلَيَّ يُعْلِمَانِي أَنَّهُمَا لَقِينَا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِسُورِ الرُّومِ وَ نَبَأَنِي الرَّسُولُ أَنَّهُ تَرَكَهُمْ مُتَوَافِينَ فَالْتَجَاءَ النَّجَاءَ إِلَى أَصْحَابِكَ فَإِذَا أَتَيْتَهُمْ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ وَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِنْ لَمْ يَبْدَأُواكَ وَ أَلْقِهِمْ وَ اسْمَعْ مِنْهُمْ وَ لَا يَجْرِمَنَّكَ شَنَاؤُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ

ص: ٢١٢

١-١ (١) صفين ١٧٠ و ما بعدها.

٢-٢ (٢) عانات: قريه من قرى الفرات.

دُعَائِهِمْ وَالْأَعْيَادِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَاجْعَلْ عَلَى مَيْمَتِكَ زِيَادًا وَعَلَى مَيْسِرَتِكَ سُورِيحًا وَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَيْطًا وَلَا تَدْنُ مِنْهُمْ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشَبَ الْحَرْبَ وَلَا تَتَّبَعِيَهُمْ تَبَاعِيَهُمْ عَنْهُمْ تَبَاعِيَهُمْ مَنْ يَهَابُ النَّاسَ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ فَإِنِّي حَيْثُ السَّيْرِ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ وَكَتَبَ عَلِيُّ عَ إِلَيْهِمَا وَكَانَ الرَّسُولُ الْحَارِثُ بْنُ جُمَهَانَ الْجُعْفِيُّ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا مَالِكًا فَاسْجِمَا لَهُ وَأَطِيعَا أَمْرَهُ وَهُوَ مِمَّنْ لَا يُخَافُ رَهْقَهُ وَلَا سِقَاطَهُ (١) وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرْتُكُمَا أَلَّا يَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ حَتَّى يَلْقَاهُمْ وَيَدْعُوهُمْ وَيُعْذِرَ إِلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْقَوْمِ فَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ عَلِيُّ عَ وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ فَلَمَّ يَزَالُوا مُتَوَاقِفِينَ (٢) حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ فَنَبَتُوا لَهُ وَاضْطَرَبُوا سَاعَهُ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ انْصَرَفُوا ثُمَّ خَرَجَ هَاشِمُ بْنُ عَثْبَةَ فِي خَيْلٍ وَرِجَالٍ حَسَنَ عُدَّتْهَا وَعَدَدَهَا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ فَاقْتَتَلُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ تَحْمَلُ الْخَيْلُ عَلَى الْخَيْلِ وَالرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ وَصَبَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَبَكَرَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ الْمُنْذِرِ التَّنُوخِيَّ قَتَلَهُ ظَبْيَانُ بْنُ عَمِيَارَةَ التَّمِيمِيُّ وَ مَا هُوَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا فَتَى حَدِيثِ السِّنِّ وَإِنْ كَانَ الشَّامِيُّ لِفَارِسِ أَهْلِ الشَّامِ وَأَخَذَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ وَيَحْكُمُ أَرُونِي أَبَا الْأَعْوَرِ .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْأَعْوَرِ دَعَا النَّاسَ فَارْجَعُوا نَحْوَهُ فَوَقَفَ عَلَى تَلٍّ مِنْ وَرَاءِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَجَاءَ الْأَشْتَرُ حَتَّى صَفَّ أَصْحَابَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَبُو الْأَعْوَرِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسَنَانِ بْنِ مَالِكِ النَّخَعِيِّ انْطَلِقْ إِلَيَّ أَبُو الْأَعْوَرِ فَادْعُهُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ

ص: ٢١٣

١- (١) الرهق: الطيش و النزق. و السقاط: الخطأ.

٢- (٢) متواقفين: وقف بعضهم أمام بعض في الحرب.

فَقَالَ إِلَى مُبَارَزَتِي أَمْ إِلَى مُبَارَزَتِكَ فَقَالَ أَوْ لَوْ أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ فَعَلْتَ قَالَ نَعَمْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أُعْتَرِضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ حَتَّى أَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ قَدْ وَاللَّهِ اازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً لَا مَا أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ إِنَّمَا أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوهُ لِمُبَارَزَتِي فَإِنَّهُ لَا يُبَارِزُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ إِلَّا ذَوِي الْأَسِنَّانِ وَالْكَفَاءِ وَالشَّرَفِ وَأَنْتَ بِحَمِيدِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَفَاءِ وَالشَّرَفِ وَلَكِنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ وَ لَيْسَ يُبَارِزُ الْأَحْدَاثَ فَادْهَبْ فَادْعُهُ إِلَى مُبَارَزَتِي.

فَاتَاهُمْ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ فَاْمُنُونِي فَجَاءَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ

٤٤٣

١- قَالَ نَصِيرُ فَحَدَّثَنِي (١) عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَيِّدَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَشْتَرَ يَدْعُوكَ إِلَى الْمُبَارَاَزَةِ قَالَ فَسَكَتَ عَنِّي طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ خِفَةَ الْأَشْتَرِ وَ سُوءَ رَأْيِهِ وَ هَوَانَهُ دَعَاؤُهُ إِلَى إِجْلَاءِ عُمَالِ عُثْمَانَ وَ افْتِرَائِهِ عَلَيْهِ يُفْبِحُ مَحَاسِنَهُ وَ يُجْهَلُ حَقَّهُ وَ يُظْهِرُ عَيْدَاوَتَهُ وَ مِنْ خِفَةِ الْأَشْتَرِ وَ سُوءِ رَأْيِهِ أَنَّهُ سَارَ إِلَى عُثْمَانَ فِي دَارِهِ وَ قَرَارِهِ فَقَتَلَهُ فِيمَنْ قَتَلَهُ وَ أَصْبَحَ مُتَبِعًا (٢) بِدَمِهِ لَا حَاجَةَ لِي فِي مُبَارَزَتِهِ.

فَقُلْتُ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَاسْمِعْ حَتَّى أُجِيبَكَ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِي جَوَابِكَ وَ لَا الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ اذْهَبْ عَنِّي وَ صَاحِ بِى أَصْحَابَهُ فَانصرفت عنه و لو سمع لأسمعته عذر صاحبي و حجته.

فَرَجَعْتُ إِلَى الْأَشْتَرِ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ قَدْ أَبَى الْمُبَارَاَزَةَ فَقَالَ لِنَفْسِهِ نَظَرٌ.

قَالَ فَتَوَاقَفْنَا فَإِذَا هُمْ قَدِ انصبرفوا قَالَ وَ صَبَحْنَا عَلَيَّ عُذُوهُ سَائِرًا نَحْوَ مُعَاوِيَةَ فَإِذَا أَبُو الْأَعْوَرِ قَدْ سَبَقَ إِلَى سِيْهُوْلِهِ الْأَرْضِ وَ سَبَّحَهُ الْمُنْزِلَ وَ شَرِيْعَهُ الْمَاءِ مَكَانٍ

ص: ٢١٤

١-١ (١) كتاب صفين ١٧٣.

٢-٢ (٢) صفين: «مبتعى».

أَفِيحَ وَكَانَ أَبُو الْأَعْوَرِ عَلِيٌّ مُقَدَّمُهُ مُعَاوِيَةَ وَاسْمُهُ سُفْيَانُ بْنُ عَمْرٍو وَقَدْ جَعَلَ عَلِيٌّ سَاقِيَهُ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاهَةَ الْعَامِرِيُّ وَعَلَى الْخَيْلِ عُيَيْدَ
اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَدَفَعَ اللُّوَاءَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَجَعَلَ عَلِيٌّ مَيْمَنَتَهُ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ وَعَلَى
رِجَالَتِهِ مِنَ الْمَيْمَنَةِ يَزِيدَ بْنَ زُحْرٍ الضَّبِّيَّ وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ وَعَلَى الرَّجَالِ مِنَ الْمَيْسِرَةِ حَابِسَ بْنَ سَعِيدِ
الطَّائِيَّ وَعَلَى خَيْلِ دِمَشْقَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسِ الْفِهْرِيِّ وَعَلَى رِجَالِهِ أَهْلَ دِمَشْقَ يَزِيدَ بْنَ أَسَدِ بْنِ كُرْزِ الْبَجَلِيِّ وَعَلَى أَهْلِ حِمَصِ
ذَا الْكَلَاعِ وَعَلَى أَهْلِ فِلَسْطِينَ مَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَكَانَ وُصُولُ عَلِيٍّ عِ إِلَى صِفِّينَ لِثَمَانِ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَ دَلَّتْ [ذَلَّتْ]

عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ وَ لَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ وَ قَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بِاعْيَادِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمَشْتَبِهُونَ [الْمُشْتَبِهُونَ]

بِهِ وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا .

بطنت سر فلان أى أخفيته .

و الأعلام جمع علم و هو المنار يهتدى به ثم جعل لكل ما دل على شىء فقيل لمعجزات الأنبياء أعلام لدلالاتها على نبوتهم و قوله ع أعلام الظهور أى الأدله الظاهره الواضحه .

و قوله فيما بعد أعلام الوجود أى الأدله الموجوده و الدلاله هى الوجود نفسه و سيأتى شرح ذلك .

و قوله و امتنع على عين البصير يقول إنه سبحانه ليس بمرئى بالعين و مع

ذلك فلا يمكن من لم يره بعينه أن ينكره لدلاله كل شيء عليه بل لدلالته سبحانه على نفسه .

ثم قال وَلَا قَلْبُ مَنْ أُثْبِتَهُ يُبْصِرُهُ أَي لَا سَبِيلَ لِمَنْ أُثْبِتَ وَجُودَهُ أَنْ يَحِيطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَ مَعْلُومَاتِهِ وَ مَصْنُوعَاتِهِ أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ لَا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ .

و قد روى هذا الكلام على وجه آخر قالوا (١) في الخطبه فَلَا قَلْبُ مَنْ لَمْ يَرَهُ يُنْكِرُهُ وَلَا عَيْنٌ مَنْ أُثْبِتَهُ تُبْصِرُهُ وَ هَذَا غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَى تَفْسِيرٍ لَوْضُوحِهِ .

و قوله ع فَلَا اسْتِغْلَاؤُهُ بِاعْيَادِهِ أَي لَيْسَ عِلْوُهُ وَ لَا- قَرْبُهُ كَمَا نَعَقَلُهُ مِنَ الْعِلْوِ وَ الْقَرْبِ الْمَكَانِيِّينَ بَلْ هُوَ عِلْوٌ وَ قَرْبٌ خَارِجٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ عِلْوُهُ يَقْتَضِي بَعْدَهُ بِالْمَكَانِ عَنِ الْأَجْسَامِ وَ لَا قَرْبُهُ يَقْتَضِي مَسَاوَاتِهِ إِيَّاهَا فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ وَ الْجِهَةِ .

وَ الْبَاءُ فِي بِهِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَسَاوَاهُمْ مَعْنَاهُ وَ لَا- قَرْبُهُ مَسَاوَاهُمْ بِهِ فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ أَي لَمْ يَقْتَضِ قَرْبُهُ مِمَّا ثَلَّثَهُ وَ مَسَاوَاتِهِ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ

[فصول في العلم الإلهي]

و هذا الفصل يشتمل على عدة مباحث من العلم الإلهي أولها كونه تعالى عالما بالأموال الخفيه.

و الثاني كونه تعالى مدلولاً عليه بالأموال الظاهره يعنى أفعاله.

و الثالث أن هويته تعالى غير معلومه للبشر.

و الرابع نفى تشبيهه بشيء من مخلوقاته.

ص: ٢١٧

١-١) كذا في جميع الأصول.

و الخامس بيان أن الجاحد لإثباته مكابر بلسانه و عارف به بقلبه.

و نحن نذكر القول فى جميع ذلك على سبيل اقتصاص المذاهب و الأقوال و نحيل فى البرهان على الحق من ذلك و بطلان شبه المخالفين فيه على ما هو مذكور فى كتبنا الكلاميه إذ ليس هذا الكتاب موضوعا لذلك و إن كنا قد لا نخلى بعض فصوله من إشاره إلى الدليل موجزه و تلويح إلى الشبهه لطيف فنقول أما

الفصل الأول و هو الكلام فى كونه تعالى عالما بالأمور الخفيه

فاعلم أن أمير المؤمنين ع إنما قال بطن خفيات الأمور و هذا القدر من الكلام يقتضى كونه تعالى عالما يعلم الأمور الخفيه الباطنه و هذا منقسم قسمين أحدهما أن يعلم الأمور الخفيه الحاضره.

و الثانى أن يعلم الأمور الخفيه المستقبليه.

و الكلام من حيث إطلاقه يحتمل الأمرين فنحمله عليهما معا فقد خالف فى كل واحده من المسألتين قوم فمن الناس من نفى كونه عالما بالمستقبليات و من الناس من نفى كونه عالما بالأمور الحاضره سواء كانت خفيه أو ظاهره و هذا يقتضينا (1) أن نشرح أقوال العقلاء فى هذه المسائل فنقول إن الناس فيها على أقوال القول الأول قول جمهور المتكلمين و هو أن البارئ سبحانه يعلم كل معلوم الماضى و الحاضر و المستقبل ظاهرها و باطنها و محسوسها و غير محسوسها فهو تعالى العالم بما كان و ما هو حاضر و ما سيكون و ما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون كقوله

ص: ٢١٨

١-١) ب: «يقتضى».

تعالى وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ (١) فهذا علم بأمر مقدر على تقدير وقوع أصله الذى قد علم أنه لا يكون.

القول الثانى قول من زعم أنه تعالى لا يعلم الأمور المستقبلة و شبهوه بكونه مدركا قالوا كما أنه لا يدرك المستقبلات فكذلك لا يعلم المستقبلات و هو قول هشام بن الحكم (٢).

القول الثالث قول من زعم أنه لا يعلم الأمور الحاضره و هذا القول نقيض القول الثانى و شبهوه بكونه قادرا قالوا كما أنه لا يقدر على الموجود فكذلك لا يعلم الموجود و نسب ابن الراوندى هذا القول إلى معمر بن عباد (٣) أحد شيوخنا و أصحابنا يكذبونه فى ذلك و يدفعون الحكايه عنه.

القول الرابع قول من زعم أنه تعالى لا يعلم نفسه خاصه و يعلم كل ما عدا ذاته و نسب ابن الراوندى هذه المقاله إلى معمر أيضا و قال إنه يقول إن العالم غير المعلوم و الشىء لا يكون غير نفسه و أصحابنا يكذبون ابن الراوندى فى هذه الحكايه و ينزهون معمر عنها.

القول الخامس قول من قال إنه تعالى لم يكن فيما لم يزل عالما بشىء أصلا و إنما أحدث لنفسه علما علم به الأشياء و هو قول جهم بن صفوان (٤).

القول السادس قول من قال إنه تعالى لا يعلم كل المعلومات على تفصيلها و إنما يعلم ذلك إجمالا و هؤلاء يسمون المسترسلية لأنهم يقولون يسترسل علمه على المعلومات

ص: ٢١٩

١-١) سورة الأنعام ٢٨.

٢-٢) هو هشام بن الحكم؛ من متكلمى الشيعة، و صاحب المقاله فى التشبيه؛ و إليه تنسب الهشاميه؛ إحدى الفرق الغاليه؛ ذكره الشهرستانى و بسط آراءه فى الملل و النحل ١٦٤:١-١٦٦.

٣-٣) معمر بن عباد السلمى القدرى؛ و انظر آراءه فى الملل و النحل للشهرستانى ١:٦٥-٦٧.

٤-٤) جهم بن صفوان؛ و إليه تنسب الفرقه الجهميه؛ من الجبريه؛ ظهرت بدعته بترمد، و قتله سالم بن أخوز المازنى بمرو؛ فى آخر ملك بنى أميّه، الشهرستانى ١:٧٩-٨١.

إجمالاً لا تفصيلاً و هو مذهب الجوينى (١) من متكلمى الأشعريه .

القول السابع قول من قال إنّه تعالى يعلم المعلومات المفصله ما لم يفض القول به إلى محال و زعموا أن القول بأنّه يعلم كل شىء يفضى إلى محال و هو أن يعلم و يعلم أنّه يعلم و هلّم جرّاً إلى ما لا نهايه له و كذلك المحال لازم إذا قيل إنّه يعلم الفروع و فروع الفروع و لوازمها و لوازم لوازمها إلى ما لا نهايه له قالوا و محال اجتماع كل هذه العلوم غير المتناهيه فى الوجود و هذا مذهب أبى البركات البغدادىّ صاحب المعتر (٢) .

القول الثامن قول من زعم أنّه تعالى لا- يعلم الشخصيات الجزئيه و إنّما يعلم الكلّيات التى لا يجوز عليها التغيير كالعلم بأن كل إنسان حيوان و يعلم نفسه أيضاً و هذا مذهب أرسطو و ناصرى قوله من الفلاسفه كابن سينا و غيره.

القول التاسع قول من زعم أنّه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً لا كلياً و لا جزئياً و إنّما وجد العالم عنه لخصوصيه ذاته فقط من غير أن يعلمه كما أن المغناطيس يجذب الحديد لقوه فيه من غير أن يعلم بالجذب و هذا قول قوم من قدماء الفلاسفه.

فهذا تفصيل المذاهب فى هذه المسأله.

و اعلم أن حجه المتكلمين على كونه عالماً بكل شىء إنّما تتضح بعد إثبات حدوث العالم و أنّه فعله بالاختيار فحينئذ لا بدّ من كونه عالماً لأنّه لو لم يكن عالماً بشىء أصلاً لما صح أن يحدث العالم على طريق الاختيار لأن الإحداث على طريق الاختيار إنّما يكون بالعرض و الداعى و ذلك يقتضى كونه عالماً فإذا ثبت أنّه عالم بشىء أفسدوا حينئذ أن يكون عالماً بمعنى اقتضى له العالميه أو بأمر خارج عن ذاته مختاراً كان أو غير مختار

ص : ٢٢٠

١- ١) هو الإمام أبو المعالى عبد الملك بن يوسف الجوينى، إمام الحرمين، المتوفى سنة ٤٧٨. (ابن خلكان).
٢- ٢) كتاب المعتر فى الحكمه، طبع فى حيدرآباد؛ لأبى البركات على بن ملكا البغدادىّ، توفى سنة ٥٦٠ و انظر أخبار العلماء للقفطى ٣٤٣.

فحينئذ ثبت (١) لهم أنه إنما علم لأنه هذه الذات المخصوصه لا لشيء أزيد منها فإذا كان لهم ذلك وجب أن يكون عالما بكل معلوم لأن الأمر الذى أوجب كونه عالما بأمر ما هو ذاته يوجب كونه عالما بغيره من الأمور لأن نسبه ذاته إلى الكل نسبه واحده.

فأما الجواب عن شبه المخالفين فمذكور فى المواضع المختصه بذلك فليطلب من كتبنا الكلاميه

الفصل الثانى فى تفسير قوله ع وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ

ف نقول إن الذى يستدل به على إثبات الصانع يمكن أن يكون من وجهين و كلاهما يصدق عليه أنه أعلام الظهور أحدهما الوجود و الثانى الموجود.

أما الاستدلال عليه بالوجود نفسه فهى طريقه المدققين من الفلاسفه فإنهم استدلوا على أن مسمى الوجود مشترك و أنه زائد على ماهيات الممكنات و أن وجود البارئ لا يصح أن يكون زائدا على ماهيته فتكون ماهيته وجودا و لا يجوز أن تكون ماهيته عاربه عن الوجود فلم يبق إلا أن تكون ماهيته هى الوجود نفسه و أثبتوا وجوب ذلك الوجود و استحاله تطرق العدم بوجه ما فلم يفتقروا فى إثبات البارئ إلى تأمل أمر غير نفس الوجود.

و أما الاستدلال عليه بالموجود لا بالوجود نفسه فهو الاستدلال عليه بأفعاله و هى طريقه المتكلمين قالوا كل ما لم يعلم بالبديهه و لا- بالحس وإنما يعلم بآثاره الصادره عنه و البارئ تعالى كذلك فالطريق إليه ليس إلا أفعاله فاستدلوا عليه بالعالم و قالوا تاره العالم محدث و كل محدث له محدث و قالوا تاره أخرى العالم ممكن فله مؤثر

ص: ٢٢١

(١-١) ج: «يثبت».

وقال ابن سينا إن الطريقة الأولى و هي الاستدلال عليه بالوجود نفسه أعلى و أشرف لأنه لم يحتج فيها إلى الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته و استنبط آيه من الكتاب العزيز في هذا المعنى و هي قوله تعالى سَيُنزِّلُهُمُ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (١) .

قال ابن سينا أقول إن هذا حكم لقوم يعنى المتكلمين و غيرهم ممن يستدل عليه تعالى بأفعاله و تمام الآية أ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٢) .

قال هذا حكم الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه يعنى الذين استدلوا عليه بنفس الوجود و لم يفتقروا إلى التعلق بأفعاله في إثبات ربوبيته

الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هويه البشر

و ذلك معنى قوله ع و امتنع على عين البصير و قوله و لا قلب من أثبته يبصره و قوله و لم يطلع العقول على تحديد صفته فنقول إن جمهور المتكلمين زعموا أننا نعرف حقيقه ذات الإله و لم يتحاشوا من القول بأنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلمه نحن منها و ذهب ضرار (٣) بن عمرو أن لله تعالى ماهيه لا يعلمها إلا هو و هذا هو مذهب

ص: ٢٢٢

١-١ (١) سورة فصلت ٥٣.

١-٢ (٢) سورة فصلت ٥٣.

الفلاسفه و قد حكى عن أبي حنيفة و أصحابه أيضا و هو الظاهر من كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الفصل

الفصل الرابع فى نفى التشبيه عنه تعالى

و هو معنى قوله ع بَعْدَ وَ قُرْبَ أى فى حال واحده و ذلك يقتضى نفى كونه تعالى جسما و كذلك قوله ع فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعْدَهُ وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِى الْمَكَانِ بِهِ فنقول إن مذهب جمهور المتكلمين نفى التشبيه و هذا القول يتنوع أنواعا.

النوع الأول نفى كونه تعالى جسما مركبا أو جوهر فردا غير مركب و المراد بالجوهر هاهنا الجرم و الحجم و هو قول المعتزله و أكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق و إليه ذهب الفلاسفه أيضا.

و قال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك فذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام و اختلفت الحكاياه عنه فروى عنه أنه قال إنه يشبر نفسه سبعة أشبار و روى عنه أنه قال إنه على هيئة السبيكه و روى عنه أنه قال إنه على هيئة البلوره الصافيه المستويه الاستداره من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحده و روى عنه أيضا قال إنه ذو صوره و أصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه و يزعمون أنه لم يزد على قوله أنه جسم لا كالأجسام و أنه إنما أراد بإطلاق هذا اللفظ عليه إثباته.

ص: ٢٢٣

و صدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا لقول الله سبحانه **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ (١)**.

و حكى عن محمد بن النعمان الأحول المعروف بشيطان الطاق و هشام بن سالم المعروف بالجواليقي و أبي مالك بن الحضرمي أنه نور على صورته الإنسان و أنكروا مع ذلك أن يكون جسما و هذه مناقضه ظاهره.

و حكى عن علي بن ميثم مثله و قد حكى عنه أنه كان يقول بالصورة و الجسم.

و حكى عن مقاتل بن سليمان و داود الجواربي و نعيم بن حماد المصري أنه في صورته الإنسان و أنه لحم و دم و له جوارح و أعضاء من يد و رجل و لسان و رأس و عيين و هو مع ذلك لا يشبه غيره و لا يشبهه غيره و افقهم على ذلك جماعه من العامه و من لا نظر له.

و حكى عن داود الجواربي أنه قال اعفوني من الفرج و اللحية و سلوني عما وراء ذلك و حكى عنه أنه قال هو أجوف من فيه إلى صدره و ما سوى ذلك مصمت.

و حكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقي كان يقول إن له وفره سوداء.

و ذهب جماعه من هؤلاء إلى القول بالمؤانسه و الخلوه و المجالسه و المحادثه.

و سئل بعضهم عن معنى قوله تعالى **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٢)** فقال يقعد معه على سريره و يغلفه بيده.

و قال بعضهم سألت معاذ العنبري فقلت أ له وجه فقال نعم حتى عدت

ص: ٢٢٤

١-١) -سوره النور ٣٥.

٢-٢) سوره القمر ٥٥.

جميع الأعضاء من أنف و فم و صدر و بطن و استحيت أن أذكر الفرج فأومأت يدي إلى فرجى فقال نعم فقلت أذكر أم أنثى فقال ذكر.

و يقال إن ابن خزيمة أشكل عليه القول في أنه أذكر أم أنثى فقال له بعض أصحابه إن هذا مذکور في القرآن و هو قوله تعالى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى (١) فقال أفدت و أجدت و أودعه كتابه.

و دخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد و بين يديه لحم في طيخ سكباج فسأله عن البارئ تعالى في جملة ما سأله فقال هو و الله مثل هذا الذي بين يدي لحم و دم.

و شهد بعض المعتزله عند معاذ بن معاذ فقال له لقد هممت أن أسقطك لو لا أني سمعتك تلحن حماد بن سلمه فقال أما حماد فلم ألعنه و لكني ألعن من يقول إنَّه سبحانه ينزل ليله عرفه من السماء إلى الأرض على جمل أحمر في هودج من ذهب فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فعليه لعنه الله فقال أخرجوه فأخرج.

و قال بعضهم خرجنا يوم عيد إلى المصلى فإذا جماعه بين يدي أمير (٢) و الطبول تضرب و الأعلام تخفق فقال واحد من خلفنا اللهم لا طبل إلا طبلك فقل له لا تقل هكذا فليس لله تعالى طبل فبكى و قال أ رأيتم هو يجيء وحده و لا يضرب بين يديه طبل و لا ينصب على رأسه علم فإذن هو دون الأمير.

و روى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا فخلق نفسه من مثلها.

و روى قوم منهم أنه نظر في المرآه فرأى صورته فخلق آدم عليها.

و روى أنه يضحك حتى تبدو نواجذه.

ص: ٢٢٥

١-١) سورة آل عمران ٣٦.

٢-٢) ب «أمير المؤمنين»، و الأجود ما أثبتته عن ا، ج.

و رووا أنه أمرد جعد ققط (١) في رجليه نعلان من ذهب و أنه في روضه خضراء على كرسي تحمله الملائكة.

و رووا أنه يضع رجلا على رجل و يستلقى فإنها جلسه الرب.

و رووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه و أنه اشتكى عينه فعادته الملائكة و أنه يتصور بصورة آدم و يحاسب الناس في القيامة و له حجاب من الملائكة يحجبونه.

٤٤٤

و رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورِهِ فَسَأَلْتُهُ عَمَّا يَخْتَلِفُ فِيهِ الْمَلَأُ الْأَعْلَى فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا فَعَلِمْتُ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

و رووا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان و أنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب و أنه يأتي الناس يوم القيامة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك فيقول لهم أفتعرفونه إن رأيتموه فيقولون بيننا و بينه علامة فيكشف لهم عن ساقه و قد تحول في الصورة التي يعرفونها فيخرون له سجدا.

و رووا أنه يأتي في غمام فوقه هواء و تحته هواء.

و كان بطبرستان قاص من المشبهه يقص على الناس فقال يوما في قصصه إن يوم القيامة تجيء فاطمه بنت محمد معها قميص الحسين ابنها تلمس القصاص من يزيد بن معاوية فإذا رآها الله تعالى من بعيد دعا يزيد و هو بين يديه فقال له ادخل تحت قوائم العرش لا تظفر بك فاطمه فيدخل (٢) و يختبئ و تحضر فاطمه فتتظلم و تبكي فيقول سبحانه انظري يا فاطمه إلى قدمي و يخرجها إليها و به جرح من سهم نمرود

ص: ٢٢٤

١- (١) ققط: قصير.

٢- (٢) ب: «فيدخل يزيد»، و ما أثبتته عن ا، ج.

فيقول هذا جرح نمروذ في قدمي و قد عفوت عنه أفلا تعفين أنت عن يزيد فتقول هي أشهد يا رب أني قد عفوت عنه.

و ذهب بعض متكلمي المجسمه إلى أن البارئ تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم.

و قال بعضهم إنه ينزل على حمار في صورته غلام أمرد في رجليه نعلان من ذهب و على وجهه فراش من ذهب يتطاير.

و قال بعضهم إنه في صورته غلام أمرد صبيح الوجه عليه كساء أسود ملتحف به.

و سمعت أنا في عصرى هذا من قال في قوله تعالى وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (١) إنهم قيام على رأسه بسيوفهم و أسلحتهم فقال له آخر على سبيل التهكم به يحرسونه من المعتزله أن يفتكوا به فغضب و قال هذا إلحاد.

و روى أن النار تزفر و تتغيظ تغيظا شديدا فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط أى حسبي حسبي و يرفعون هذا الخبر مسندا و قد ذكر شبيهه به في الصحاح.

و روى في الكتب الصحاح أيضا أن الله خلق آدم على صورته و قيل إن في التوراه نحو ذلك في السفر الأول.

و اعلم أن أهل التوحيد يتأولون ما يحتمل التأويل من هذه الروايات على وجوه محتمله غير مستبعده و ما لا يحتمل التأويل منها يقطعون ببطلانه و بأنه موضوع و للاستقصاء في هذا المعنى موضع غير هذا الموضع.

و حكى أبو إسحاق النظام و محمّد بن عيسى برغوث أن قوما قالوا إنه تعالى الفضاء نفسه و ليس بجسم لأن الجسم يحتاج إلى مكان و نفسه مكان الأشياء.

ص: ٢٢٧

وقال برغوث و طائفه منهم يقولون هو الفضاء نفسه و هو جسم تحل الأشياء فيه و ليس بذى غايه و لا نهايه و احتجوا بقوله تعالى وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ (١).

فأما من قال إنّه جسم لا كالأجسام على معنى أنّه بخلاف العرض الذى يستحيل أن يتوهم منه فعل و نفوا عنه معنى الجسميه و إنّما أطلقوا هذه اللفظه لمعنى أنّه شىء لا- كالأشياء و ذات لا- كالذوات فأمرهم سهل لأن خلافهم فى العبارة و هم على بن منصور و السكاك و يونس بن عبد الرحمن و الفضل بن شاذان و كل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة و قد قال بهذا القول ابن كرام و أصحابه قالوا معنى قولنا فيه سبحانه أنّه جسم أنّه قائم بذاته لا بغيره.

و المتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة فى وقتنا هذا يزعمون أنّه لم يقل بالتجسيم المعنوى و إنّما قال إنّ جسم لا كالأجسام بالمعنى الذى ذكرناه عن يونس و السكاك و غيرهما و إن كان الحسن بن موسى النوبختى و هو من فضلاء الشيعة قد روى عنه التجسيم المحض فى كتاب الآراء و الديانات .

النوع الثانى نفى الأعضاء و الجوارح عنه سبحانه فالذى يذهب إليه المعتزله و سائر المحققين من المتكلمين نفى ذلك عنه و قد تأولوا ما ورد فى القرآن العزيز من ذلك من نحو قوله تعالى لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي (٢) و قوله سبحانه عَلِيٌّ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ (٣) و غير ذلك و حملوه على وجوه صحيحه جائزه فى اللغة العربيه.

و أطلقت الكراميه عليه سبحانه لفظ اليدين و الوجه و قالوا لا نتجاوز الإطلاق

ص: ٢٢٨

١-١) سورة الحجّ ٧٨.

٢-٢) سورة ص ٧٥.

٣-٣) سورة الزمر ٤٦.

و لا نفسر ذلك و لا نتأوله و إنما نقتصر على إطلاق ما ورد به النصّ.

و أثبت الأشعريّ الّذين صفه قائمه بالبارئ سبحانه و كذلك الوجه من غير تجسيم.

و قالت المجسمه إن الله تعالى يدين هما عضوان له و كذلك الوجه و العين و أثبتوا له رجلين قد فضلنا عن عرشه و ساقين يكشف عنهما يوم القيامة و قدما يضعها في جهنم فتمتلئ و أثبتوا له ذلك معنى لا لفظا و حقيقه لا مجازا.

فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه و لا تجسيم أصلا و إنما كان يقول بترك التأويل فقط و يطلق ما أطلقه الكتاب و السنه و لا يخوض في تأويله و يقف على قوله تعالى وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ (١) و أكثر المحصلين من أصحابه على هذا القول.

النوع الثالث نفى الجهه عنه سبحانه فالذى يذهب إليه المعتزله و جمهور المحققين من المتكلمين أنه سبحانه ليس في جهه و لا مكان و أن ذلك من توابع الجسميه أو العرضيه اللاحقه بالجسميه فإذا انتفى عنه كونه جسما و كونه عرضا لم يكن في جهه أصلا و إلى هذا القول يذهب الفلاسفه.

و ذهبت الكراميه و الحشويه (٢) إلى أن الله تعالى في جهه فوق و إليه ذهب هشام بن الحكم و على بن منصور و يونس بن عبد الرحمن و هشام بن سالم الجواليقيّ و كثير من أهل الحديث.

و ذهب محمّد بن الهيصم متكلم الكراميه إلى أنه تعالى ذات موجوده منفرده بنفسها عن سائر الموجودات لا تحل شيئا حلول الأعراض و لا تمازج شيئا ممازجه الأجسام

ص: ٢٢٩

١-١) سورة آل عمران ٧.

٢-٢) الكراميه: أصحاب محمّد بن كرام؛ و الحشويه طائفه من المشبهه؛ سموا بذلك لأنهم لا يتحاشون من إظهار الحشو. راجع شفاء العلل ١٠٥.

بل هو مباين للمخلوقين إلا أنه في جهه فوق و بينه و بين العرش بعد لا يتناهى.

هكذا يحكى المتكلمون عنه و لم أره فى شىء من تصانيفه و أحوالوا ذلك لأن ما لا يتناهى لا يكون محصورا بين حاصرين و أنا أستبعد عنه هذه الحكايه لأنه كان أذكى من أن يذهب عليه فساد هذا القول و حقيقه مذهب مثبتى المكان أنه سبحانه متمكن على العرش كما يتمكن الملك على سريره فقيل لبعض هؤلاء أنه أكبر من العرش أم أصغر أم مساو له فقال بل أكبر من العرش فقيل له فكيف يحمله فقال كما تحمل رجلا الكركى جسم الكركى و جسمه أكبر من رجله و منهم من يجعله مساويا للعرش فى المقدار و لا يمتنع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضل عن العرش و قد سمعت أنا من قال منهم إنه مستو على عرشه كما أنا مستو على هذه الدكه (١) و رجلاه على الكرسي الذى وسع السماوات و الأرض و الكرسي تحت العرش كما يجعل اليوم الناس تحت أسرتهم كراسى يستريحون بوضع أرجلهم عليها.

و قال هؤلاء كلهم إنه تعالى ينزل و يصعد حقيقه لا مجازا و إنه يتحرك و ينزل فمن ذلك نزوله إلى السماء الدنيا كما ورد فى الخبر و من ذلك إتيانه و مجيئه كما نطق به الكتاب العزيز فى قوله سبحانه هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ (٢) و قوله وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٣).

و أطلق ابن الهيصم عليه هذه الألفاظ اتباعا لما ورد فى الكتاب و السنه و قال لا أقول بمعانيها و لا أعتقد حركته الحقيقه و إنما أرسلها إرسالا- كما وردت و أميا غيره فاعتقد معانيها حقيقه و قال ابن الهيصم فى كتاب المقالات إن أكثر الحشويه يجيز عليه تعالى العدو و الهروله.

ص: ٢٣٠

١- (١) الدكه: بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه.

٢- (٢) سورة البقره ٢١٠.

٣- (٣) سورة الفجر ٢٢.

و قال قوم منهم إنه تعالى يجوز أن ينزل فيطوف البلدان و يدور في السكك.

و قال بعض الأشعريين إن سائلا سأل السكاك فقال إذا أجزت عليه الحركة فهلا أجزت عليه أن يطفر فقال لا يجوز عليه الطفر لأن الطفر إنما يكون فرارا من ضد أو اتصالا بشكل فقال له فالحركة أيضا كذلك فلم يأت بفرق.

فأما القول بأنه تعالى في كل مكان فإن المعتزله يقولون ذلك و تريد (١) به أنه و إن لم يكن في مكان أصلا فإنه عالم بما في كل مكان و مدبر لما في كل مكان و كأنه موجود في جميع الأماكن لإحاطته بالجميع.

و قال قوم من قدماء الفلاسفة إن الباري تعالى روح شديد في غاية اللطافة و في غاية القوه ينفذ في كل العالم و هؤلاء يطلقون عليه أنه في كل مكان حقيقه لا تأويلا و من هؤلاء من أوضح هذا القول و قال إنه تعالى سار في هذا العالم سريان نفس الواحد منا في بدنه فكما أن كل بدن منا له نفس سار فيه تدبره كذلك الباري سبحانه هو نفس العالم و سار في كل جزء من العالم فهو إذا في كل مكان بهذا الاعتبار لأن النفس في كل جزء من البدن.

و حكى الحسن بن موسى النوبختي عن أهل الرواق من الفلاسفة أن الجوهر الإلهي سبحانه روح ناري عقلي ليس له صورته لكنه قادر على أن يتصور بأي صورته شاء و يتشبه بالكل و ينفذ في الكل بذاته و قوته لا بعلمه و تدبيره.

النوع الرابع نفى كونه عرضا حالا في المحل فالذي تذهب إليه المعتزله و أكثر المسلمين و الفلاسفة نفى ذلك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده و كون كل حال في الأجسام ممكنا بل حادثا.

ص: ٢٣١

(١ - ١) ب: «فإن المعتزله يقولون ذلك و يريدون...».

و ذهبت الحلوليه من أهل المله و غيرها إلى أنه تعالى يحل في بعض الأجسام دون بعض كما يشاء سبحانه و إلى هذا القول ذهب أكثر الغلاة في أمير المؤمنين و منهم من قال بانتقاله من أمير المؤمنين ع إلى أولاده و منهم من قال بانتقاله من أولاده إلى قوم من شيعة و أوليائه و اتبعهم على هذه المقالة قوم من المتصوفه كالحلاجيه و البسطاميه و غيرهم.

و ذهبت النسطوريه (١) من النصارى إلى حلول الكلمه في بدن عيسى ع كحلول السواد في الجسم.

فأما اليعقوبيه (٢) من النصارى فلا تثبت الحلول و إنما تثبت الاتحاد بين الجوهر الإلهي و الجوهر الجسماني و هو أشدّ بعدا من الحلول.

النوع الخامس في نفى كونه تعالى محلا لشيء ذهبت المعتزله و أكثر أهل المله و الفلاسفه إلى نفى ذلك و القول باستحالته على ذاته سبحانه.

و ذهبت الكراميه إلى أن الحوادث تحل في ذاته فإذا أحدث جسما أحدث معنى حالا في ذاته و هو الإحداث فحدث ذلك الجسم مقارنا لذلك المعنى أو عقيبه قالوا و ذلك المعنى هو قول كن و هو المسمى خلقا و الخلق غير المخلوق قال الله تعالى مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ (٣) قالوا لكنه قد أشهدنا ذواتها فدل على أن خلقها غيرها.

ص: ٢٣٢

١- (١) النسطوريه: أصحاب نسطور الحكيم؛ ظهر في زمن المأمون، و تصرف في الأناجيل برأيه و انظر الملل و النحل للشهرستاني ٢٠٥:١-٢٠٦.

٢- (٢) اليعقوبيه أصحاب يعقوب؛ قالوا بالأقانيم الثلاثه، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمه لحما و دما؛ فصار الإله هو المسيح... الشهرستاني ٢٠٦:١-٢٠٨.

٣- (٣) سوره الكهف ٥١.

و صرّح ابن الهيضم فى كتاب المقالات بقيام الحوادث بذات البارئ فقال إنّه تعالى إذا أمر أو نهى أو أراد شيئاً كان أمره و نهيه و إراداته كأنه بعد أن لم تكن و هى قائمه به لأن قوله منه يسمع و كذلك إرادته منه توجد.

قال و ليس قيام الحوادث بذاته دليلاً على حدوثه و إنّما يدلّ على الحدوث تعاقب الأضداد التى لا يصحّ أن يتعطل منها و البارئ تعالى لا تتعاقب عليه الأضداد.

و ذهب أبو البركات البغدادىّ صاحب المعترى إلى أن الحوادث تقوم بذات البارئ سبحانه و إنّه لا يصحّ إثبات الإلهيه إلاّ بذلك و قال إن المتكلّمين ينزهونه عن ذلك و التنزيه عن هذا التنزيه هو الواجب.

و ذهب أصحابنا و أكثر المتكلّمين إلى أن ذلك لا يصحّ فى حقّ واجب الوجود و أنّه دليل على إمكان ذاته بل على حدوثها و أجازوا مع ذلك عليه أن يتجدد له صفات يعنون الأحوال لا المعانى نحو كونه مدركاً بعد أن لم يكن و كقول أبى الحسين أنه يتجدد له عالميه بما وجد و كان من قبل عالماً بأنّه سيوجد و إحدى هاتين الصفتين غير الأخرى.

و قالوا إن الصفات و الأحوال قيل (١) مفرد عن المعانى و المحال إنّما هو حلول المعانى فى ذاته لا تجدد الصفات لذاته و للكلام فى هذا الباب موضع هو أليق به.

النوع السادس فى نفى اتّحاده تعالى بغيره ذهب أكثر العقلاء إلى استحاله ذلك و ذهب اليعقوبيه من النصارى إلى أن الكلمه اتحدت بعيسى فصارت جوهرًا من جوهرين أحدهما إلهى و الآخر جسمانى و قد أجاز الاتّحاد فى نفس الأمر لا فى ذات

ص: ٢٣٣

(١ - ١) قيل، أى قول.

البارئ قوم من قدماء الفلاسفة منهم فرفيوس و أجازه أيضا منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تعقل المعقولات لاتحادها بالجوهر المفارق المفيض للنفوس على الأبدان و هو المسمى بالعقل الفعال.

النوع السابع في نفى الأعراض الجسمانيه عنه من التعب و الاستراحه و الألم و اللذه و الغم و السرور و نحو ذلك.

و ذهبت المعتزله و أكثر العقلاء من أهل الملة و غيرهم إلى نفى ذلك و القول باستحالته عليه سبحانه.

و ذهبت الفلاسفة إلى جواز اللذه عليه و قالوا إنه يلتذ بإدراك ذاته و كماله لأن إدراك الكمال هو اللذه أو سبب اللذه و هو تعالى أكمل الموجودات و إدراكه أكمل الإدراكات و إلى هذا القول ذهب محمد الغزالي (١) من الأشعريه. و حكى ابن الراوندى عن الجاحظ أن أحد قدماء المعتزله و يعرف بأبى شعيب كان يجوز عليه تعالى السرور و الغم و غيره و الأسف و يذكر في ذلك ما روى

٦٤٥

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا أَحَدٌ أَعْيُرُ مِنَ اللَّهِ وَ إِنَّهُ تَعَالَى يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَ يَسُرُّ بِهَا.

و قال تعالى فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (٢) و قال مقال المتحسر (٣) على الشيء يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ (٤) و حكى عنه أيضا أنه يجوز عليه أن يتعب و يستريح و يحتج بقوله وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٥).

ص: ٢٣٤

١-١) هو الإمام محمد بن محمد أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء.

٢-٢) سورة الزخرف ٥٥.

٣-٣) كذا في ا،ج،و في ب، «حكايه عن التحسر».

٤-٤) سورة يس ٣٠.

٥-٥) سورة ق ٣٨.

و هذه الألفاظ كلها عند أصحابنا متأوله محموله على محامل صحيحة تشتمل على شرحها الكتب المبسوطه.

النوع الثامن فى أنه تعالى ليس بمتلون لم يصرح أحد من العقلاء قاطبه بأن الله تعالى متلون و إنما ذهب قوم من أهل التشبيه و التجسيم إلى أنه نور فإذا أبصرته العيون و أدركته أبصرت شخصاً نورانياً مضيئاً لم يزيدوا على ذلك و لم يصرحوا بإثبات اللون بهذه العبارة و إن كان كل مضيء ملوناً.

النوع التاسع فى أنه تعالى لا يشتهى و لا ينفر ذهب شيوخنا المتكلمون إلى أنه سبحانه لا يصح عليه الشهوه و النفره لأنهما إنما يصحان على ما يقبل الزيادة و النقصان بطريق الاغتذاء و النمو و البارئ سبحانه و تعالى يتعالى عن ذلك و ما عرفت لأحد من الناس خلافاً فى ذلك اللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على مسمى الإراده و الكراهيه على سبيل المجاز.

النوع العاشر فى أن البارئ تعالى غير متناهى الذات قالت المعتزله لما كان البارئ تعالى ليس بجسم و جسمانى و كانت النهايه من لواحق الأشياء ذوات المقادير يقال هذا الجسم متناه أى ذو طرف.

قلنا إن ذات البارئ تعالى غير متناهيه لا على معنى أن امتداد ذاته غير متناه فإنه سبحانه ليس بذى امتداد بل بمعنى أن الموضوع الذى يصدق عليه النهايه ليس بمتحقق فى حقه سبحانه فقلنا إن ذاته غير متناهيه كما يقول المهندس إن النقطة غير متناهيه لا على معنى أن لها امتداداً غير متناه فإنها ليست بممتده أصلاً بل على معنى أن الأمر

الذى تصدق عليه النهايه و هو الامتداد لا يصدق عليها فاذن صدق عليها أنها غير متناهيه و هذا قول الفلاسفه و أكثر المحققين.

و قالت الكراميه البارئ تعالى ذات واحده منفرده عن العالم قائمه بنفسها مباينه للموجودات متناهيه فى ذاتها و إن كنا لا نطلق عليها هذا اللفظ لما فيه من إيهاام انقطاع وجودها و تصرم بقائها.

و أطلق هشام بن الحكم و أصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهى الذات غير متناهى القدره.

و قال الجاحظ إن لى قوما زعموا أنه تعالى ذاهب فى الجهات الست التى لا نهايه لها.

النوع الحادى عشر فى أنه تعالى لا تصح رؤيته قالت المعتزله رؤيه البارئ تعالى مستحيله فى الدنيا و الآخره و إنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهه.

و قالت الكراميه و الحنابله و الأشعريه تصح رؤيته و يرى فى الآخره يراه المؤمنون ثم اختلفوا فقالت الكراميه و الحنابله يرى فى جهه فوق و حكى عن مضر و كهمس و أحمد الجبى (١) أنهم أجازوا رؤيته فى الدنيا و ملامسته و مصافحته و زعموا أن المخلصين يعانقونه متى شاءوا و يسمون الحبيه. و حكى شيخنا أبو الحسين فى التصفح عن أيوب السجستاني من المرجئه أن البارئ تعالى تصح رؤيته و لمسها.

و ذهب قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى و أن الناس كلهم كافرهم و مؤمنهم يرونه و لكن لا يعرفونه.

ص: ٢٣٦

١ - ١) كذا فى ا، و فى الحاشيه نقلا- عن القاموس: أحمد بن عبد الله الجبى، و يقال: الجبابى، لبيعا الجباب، محدث، و فى ب: «انجمى».

و قال من ترفع عن هذه الطبقة منهم لا يجوز أن يرى بعين خلقت للفناء و إنما يرى في الآخرة بعين خلقت للبقاء.

و قال كثير من هؤلاء إن محمدا ص رأى ربّه بعيني رأسه ليلة المعراج .

و رووا عن كعب الأحبار أن الله تعالى قسم كلامه و رؤيته بين موسى و محمد ع . و رووا عن المبارك بن فضاله أن الحسن كان يحلف بالله قد رأى محمد ربه.

و تعلق كثير منهم بقوله تعالى وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَهُ أُخْرَى ﴿١﴾ و قالوا كلمه موسى ع مرتين و رآه محمد ص مرتين.

و أنكر ابن الهيثم مع اعتقاده أقوال الكراميه ذلك و قال إن محمدا ص لم يره و لكنه سوف يراه في الآخرة.

قال و إلى هذا القول ذهب عائشه و أبو ذر و قتاده و قد روى مثله عن ابن عباس و ابن مسعود . و اختلف من قال إنه يرى في الآخرة هل يجوز أن يراه الكافر فقال أكثرهم إن الكفار لا يرونه لأن رؤيته كرامه و الكافر لا كرامه له و قالت السالميه و بعض الحشويه إن الكفار يرونه يوم القيامة و هو قول محمّد بن إسحاق بن خزيمة ذكر ذلك عنه محمّد بن الهيثم . فأما الأشعري و أصحابه فإنهم لم يقولوا كما قال هؤلاء إنه يرى كما يرى الواحد منا بل قالوا يرى و ليس فوقا و لا تحتا و لا يمينا و لا شمالا و لا أماما و لا وراء و لا يرى كله و لا بعضه و لا هو في مقابله الرائي و لا منحرفا عنه و لا تصح الإشارة إليه إذا رئى

ص: ٢٣٧

و هو (١) مع ذلك يرى و يبصر و أجازوا أيضا عليه أن تسمع ذاته و أن تشم و تذاق و تحس لا على طريق الاتصال بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقا عاريا عن الاتصال و أنكرت الكراميه ذلك و لم يجيزوا عليه إلا إدراك البصر وحده و ناقضهم شيخنا أبو الحسين في التصريح و ألزمهم أحد أمرين إما نفي الجميع أو إثبات إدراكه من جميع الجهات كما يقوله الأشعريه . و ذهب ضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسه سادسه لا بهذا البصر و قيل ذلك عن جماعه غيره .

و قال قوم يجوز أن يحول الله تعالى قوه القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بها فيكون ذلك الإدراك علما باعتبار أنه بقوه القلب و رؤيه باعتبار أنه قد وقع بالمعنى الحال في العين .

فهذه الأنواع الأحد عشر هي الأقوال و المذاهب التي يشتمل قوله ع بنفى التشبيه عليها و سيأتى من كلامه ع فى نفى التشبيه ما هو أشدّ تصريحاً من الألفاظ التي نحن فى شرحها

الفصل الخامس فى بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه و مثبت له بقلبه

و هو معنى قوله ع فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذى الجحود .

لا شبهه فى أن العلم بافتقار المتغير إلى المغير ضرورى و العلم بأن المتغير ليس هو المغير

ص: ٢٣٨

(١ - ١) ب: «و مع ذلك».

إما أن يكون ضروريا أو قريبا من الضروري فإذا قد شهدت أعلام الوجود على أن الجاحد لإثبات الصانع إنما هو جاحد بلسانه لا يقبله لأن العقلاء لا يجحدون الأوليات بقلوبهم وإن كابروا بألسنتهم ولم يذهب أحد من العقلاء إلى نفي الصانع سبحانه.

و أما القائلون بأن العالم وجد عن طبيعه و أن الطبيعه هي المدبره له و القائلون بتصادم الأجزاء فى الخلاء الذى لا نهايه له حتى حصل منها هذا العالم و القائلون بأن أصل العالم و أساس بنيته هو النور و الظلمه و القائلون بأن مبادئ العالم هي الأعداد المجرده و القائلون بالهيولى القديمه التى منها حدث العالم و القائلون بعشق النفس للهيولى حتى تكونت منها هذه الأجسام فكل هؤلاء أثبتوا الصانع و إنما اختلفوا فى ماهيته و كيفية فعله.

و قال قاضى القضاة إن أحدا من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم بالكلية و لكن قوما من الوراقين اجتمعوا و وضعوا بينهم مقاله لم يذهب أحد إليها و هي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه و لا إله للعالم و لا صانع أصلا و إنما هو هكذا ما زال و لا يزال من غير صانع و لا مؤثر.

قال و أخذ ابن الراوندى هذه المقاله فنصرها فى كتابه المعروف بكتاب التاج قال فأما الفلاسفه القدماء و المتأخرون فلم ينفوا الصانع و إنما نفوا كونه فاعلا بالاختيار و تلك مسأله أخرى قال و القول بنفي الصانع قريب من القول بالسفسطه بل هو هو بعينه لأن من شك فى المحسوس أعذر ممن قال إن المتحركات تتحرك من غير محرك حركها.

و قول قاضى القضاة هذا هو محض كلام أمير المؤمنين ع و عينه و ليس قول الجاحظ هو هذا لأن الجاحظ يذهب إلى أن جميع المعارف و العلوم الإلهيه ضروريه و نحن ما ادعينا فى هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضرورى فأين أحد القولين من الآخر

إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءَ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُزْتَادِينَ وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَايِدِينَ وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفًا وَ مِنْ هَذَا ضِعْفًا فَيُمَزَّجَانِ فَهَذَا لِكَيْ يَسْتَوِلِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .

المرتاد الطالب و الضغث من الحشيش القبضه منه قال الله تعالى وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (١) .

يقول ع إن المذاهب الباطله و الآراء الفاسده التي يفتتن الناس بها أصلها اتباع الأهواء و ابتداع (٢) الأحكام التي لم تعرف يخالف فيها الكتاب و تحمل العصبية و الهوى على تولى أقوام قالوا بها على غير وثيقه من الدين و مستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل فى النظر الذى هو الطريق إلى استعمال المجهولات فلو أن النظر تخلص مقدماته و ترتب قضاياها من قضايا باطله لكان الواقع عنه هو العلم المحض و انقطع عنه ألسن المخالفين و كذلك لو كان النظر تخلص مقدماته من قضايا صحيحه بأن كان كله مبنيا

ص: ٢٤٠

١- (١) سورة ص ٤٤.

٢- (٢) كذا فى ج، و فى ا، ب: «اتباع».

على الفساد لظهور فسادة لطلبه الحق و إنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياه الصادقه بالقضايا الكاذبه.

مثال ذلك احتجاج من أجاز الرؤيه بأن البارئ تعالى ذات موجوده و كل موجود يصحّ أن يرى فإحدى المقدمتين حقّ و الأخرى باطل فالتبس أمر النتيجة على كثير من الناس.

و مثال ما يكون المقدمتان جميعا باطلتين قول قوم من الباطنيه البارئ لا- موجود و لا معدوم و كل ما لا يكون موجودا و لا معدوما يصحّ أن يكون حيا قادرا فالبارئ تعالى يصحّ أن يكون حيا قادرا فهاتان المقدمتان جميعا باطلتان لا جرم أن هذه مقاله مرغوب عنها عند العقلاء.

و مثال ما تكون مقدماته حقا كلها العالم متغير و كل متغير ممكن فالعالم ممكن فهذا ممّا لا خلاف فيه بين العقلاء .

فإن قيل فما معنى قوله ع فهنالک يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنی أليس هذا إشعارا بقول المجبره و تلويحا به.

قيل لا- إشعار في ذلك بالجبر و مراده ع أنه إذا امتزج في النظر الحق بالباطل و تركبت المقدمات من قضايا صحيحه و فاسده تمكن الشيطان من الإضلال و الإغواء و وسوس إلى المكلف و خيل له النتيجة الباطله و أماله إليها و زينها عنده بخلاف ما إذا كانت المقدمات حقا كلها فإنه لا يقدر الشيطان على أن يخيل له ما يخالف العقل الصريح و لا يكون له مجال في تزيين الباطل عنده ألا ترى أن الأوليات لا سبيل للإنسان إلى جحدها و إنكارها لا بتخييل الشيطان و لا بغير ذلك.

و معنى قوله على أوليائه أى على من عنده استعداد للجهل و تمرن على اتباع الهوى و زهد فى تحقيق الأمور العقلية على وجهها تقليدا للأسلاف و محبة لأتباع المذهب المؤلف فذاك هو الذى يستولى عليه الشيطان و يضلّه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى و هم الذين يتبعون محض العقل و لا- يركنون إلى التقليد و يسلكون مسلك التحقيق و ينظرون النظر الدقيق (1) يجتهدون فى البحث عن مقدمات أنظارهم و ليس فى هذا الكلام تصريح بالجبر و لا إشعار به على وجه من الوجوه و هذا واضح.

و حمل الراوندىّ قوله ع فلو أن الباطل خالص إلى آخره على أن المراد به نفى القياس فى الشرع قال لأن القائسين يحملون المسكوت عنه على المنطوق فيمتزج المجهول بالمعلوم فيلتبس و يظن لامتزاج بعضه ببعض حقا و هذا غير مستقيم لأن لفظ الخطبه أن الحق يمتزج بالباطل و أصحاب القياس لا يسلمون أن استخراج العله من الحكم المعلوم باطل بل يقولون إنه حقّ و إن الدليل الدال على ورود العبارة بالقياس قد أمنهم من كونه باطلا.

و اعلم أن هذا الكلام الذى قاله ع حقّ إذا تأملته و إن لم تفسره على ما قدمناه من التفسير فإن الذين ضلوا من مقلده اليهود و النصرارى و أرباب المقالات الفاسده من أهل الملة الإسلاميه و غيرها إنّما ضل أكثرهم بتقليد الأسلاف و من يحسن الظنّ فيه من الرؤساء و أرباب المذاهب و إنّما قلدهم الأتباع لما شاهدوا من إصلاح ظواهرهم و رفضهم الدنيا و زهدهم فيها و إقبالهم على العباده و تمسكهم بالدين و أمرهم بالمعروف و نهيمهم عن المنكر و شدتهم فى ذات الله و جهادهم فى سبيله و قوتهم فى

ص: ٢٤٢

(١- ١) ج: «النظر التام».

مذاهبهم و صلابتهم فى عقائدهم فاعتقد الأتباع و الخلف و القرون التى جاءت بعدهم أن هؤلاء يجب اتباعهم و تحرم مخالفتهم و أن الحق معهم و أن مخالفهم مبتدع ضال فقلدوهم فى جميع ما نقل إليهم عنهم و وقع الضلال و الغلط بذلك لأن الباطل استتر و انغمر بما مازجه من الحق الغالب الظاهر المشاهد عيانا أو الحكم الظاهر و لولاه لما تروج الباطل و لا كان له قبول أصلا

ص: ٢٤٣

إشاره

قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَيَّ مَذَلَّةً وَ تَأْخِيرَ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوْوَا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَزَوُّوا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادٌ لُمَهُ مِنَ الْغَوَاهِ وَ عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَيْتَةِ .

استطعموكم القتال

كلمه مجازيه و معناها طلبوا القتال منكم كأنه جعل القتال شيئاً استطعم أى يطلب أكله

٦٤٦

وَ فِي الْحَدِيثِ إِذَا اسْتَطَعْمَكُمُ الْإِمَامُ فَأَطْعِمُوهُ . يعنى إمام الصلاه أى إذا ارتج فاستفتحكم فافتحوا عليه و تقول فلان استطعمنى الحديث أى يستدعيه منى و يطلبه .

و اللممه بالتخفيف جماعه قليله .

و عمس عليهم الخبر

يجوز بالتشديد و يجوز بالتخفيف و التشديد يعطى الكثره و يفيدها و معناه أبهم عليهم الخبر و جعله مظلماً ليل عماس أى مظلم و قد عمس الليل نفسه

ص: ٢٤٤

بالكسر إذا أظلم و عمسه غيره و عمست عليه عمسا إذا أريته أنك لا تعرف الأمر و أنت به عارف .

و الأغراض جمع غرض و هو الهدف .

و قوله فأقروا على مذله و تأخير محله أى أثبتوا على الذل و تأخر المرتبه و المنزله أو فافعلوا كذا و كذا .

و نحو قوله ع فالموت فى حياتكم مقهورين قول أبى نصر بن نباته و الحسين الذى رأى الموت فى العز حياه و العيش فى الذل قتلا .

و قال التهامى و من فاته نيل العلا بعلمه

[الأشعار الواردة فى الإباء و الأنف من احتمال الضيم]

و الأشعار فى الإباء الأنف من احتمال الضيم و الذل و التحريض على الحرب كثيره و نحن نذكر منها هاهنا طرفا فمن ذلك قول عمرو بن براقه الهمدانى و كيف ينام الليل من جل ماله

ص: ٢٤٥

و مثله و من يطلب المال الممنع بالقنا يعيش ماجدا أو يؤذ فيما يمارس.

و قال حرب بن مسعر عطفت عليه المهر عطفه باسل

و قال الحارث بن الأرقم و ما ضاق صدرى يا سليمى بسخطكم

و قال العباس بن مرداس السلمى بأبى فوارس لا يعرى صواهلها

و قال وهب بن الحارث لا تحسبنى كأقوام عبث بهم

و قال المسيب بن علس أبلغ ضييعه أن البلاد فيها لذى قوه مغضب (١)

ص: ٢٤٦

١-١) ديوان الأعشين ٣٤٩، مع اختلاف فى الروايه.

وقد يقعد القوم فى دارهم

وقال آخر إن الهوان حمار القوم يعرفه

وقال بعض بنى أسد إنى امرؤ من بنى خزيمه لا

دخل مويلك السدوسى إلى البصره يبيع إبلا فأخذ عامل الصدقه بعضها فخرج إلى الباديه وقال ناقتى أرى المقام على الضيم

ص: ٢٤٧

و وثقت بالدنيا و أنت

و له أرى الدنيا لمن هي في يديه

و له ألم تر ريب الدهر في كل ساعه

و له سل الأيام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم و الرسوم (١)

ص: ٢٤٨

(١ - ١) ديوانه ٢٨٨.

وإلا حساما يبهر العين لمحاه

كصاعقه فى عارض قد تبسما

[أباه الضيم وأخبارهم]

سيد أهل الإباء الذى علم الناس الحميه و الموت تحت ظلال السيوف اختيارا له على الدنياه أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب ع عرض عليه الأمان و أصحابه فأنف من الذل و خاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله فاختر الموت على ذلك.

و سمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوى البصرى يقول كان أبيات أبى تمام فى محمد بن حميد الطائى (١) ما قيلت إلا فى الحسين ع و قد كان فوت الموت سهلا فرده

لما فر أصحاب مصعب عنه و تخلف فى نفر يسير من أصحابه كسر جفن سيفه و أنشد فإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا (٢) فعلم أصحابه أنه قد استقتل.

٦٤٧

وَ مِنْ كَلَامِ الْحُسَيْنِ ع يَوْمَ الطَّفِّ الْمُنْقُولِ عَنْهُ نَقَلَهُ عَنْهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ ابْنُهُ ع أَلَا وَ إِنَّ الدَّعِيَّ بْنَ الدَّعِيِّ قَدْ خَيْرَنَا بَيْنَ اثْنَيْنِ السَّلَّةِ (٣)

ص: ٢٤٩

١- (١) ديوانه ٣٦٨- طبع بيروت.

٢- (٢) لسليمان بن قته. الكامل ١:١٤؛ و الطف: من ضاحيه الكوفه؛ كان فيها مقتل الحسين عليه السلام.

٣- (٣) السل: انتزاعك الشىء و إخراجك إياه فى رفق؛ و عند السله؛ أى عند استلال السيوف.

أَوِ الدِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مِنا الدِّلَّةِ يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكْ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَحُجْرٌ طَهَّرَتْ (١) وَأنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ
أَبِيَّةٌ.

و هذا نحو

٦٤٨

قَوْلِ أَبِيهِ ع وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي مَا تَقَدَّمَ

أَنَّ امْرَأً أَمْكَنَ عَيْدُواً مِنْ نَفْسِهِ يَعْزُقُ لَحْمَهُ وَ يَفْرِى جِلْدَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ فَكُنْ
أَنْتَ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَدُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الهَامِ وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الأَفْدَامُ .

و قال العباس بن مرداس السلمى مقال امرئ يهدى إليك نصيحه

ص : ٢٥٠

(١- ١) الحجز: جمع حجزه، حيث يثنى طرف الإزرار، كناية عن العفه.

و له أيضا فحارب فإن مولاك حارد نصره ففي السيف مولى نصره لا يحارد (١).

و قال مالك بن حريم الهمداني و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم

و قال رشيد بن رميض العنزي (٢) باتوا نياما و ابن هند لم ينم

و قال آخر و لست بمبتاع الحياه بسبه

ص: ٢٥١

١-١) ديوان الحماسه ٢:١٥- بشرح التبريزي: و حارد نصره؛ أى امتنع؛ و المحارده فى الأصل قله اللبن، و استعير هنا.
٢-٢) من قصيده له فى الأغاني ١١٤، ١١٣:٢١ و حريم، ضبطه البكرى فى اللآلى ٧٤٨ «بالحاء و الراء المهملتين، الحاء مفتوحه، و الراء مكسوره»، و قال: «و من روى حريم، بالزاي فقد صحف».

و من أباه الضميم يزيد بن المهلب كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته لأسباب ليس هذا موضع ذكرها فلما أفضت إليه الخلافة خلعه يزيد بن المهلب و نزع يده من طاعته و علم أنه إن ظفر به قتله و ناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصره و ملكها عنوه و حبس عدى بن أرتاه عامل يزيد بن عبد الملك عليها فسرحت إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا و يشتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام و الجزيره و بعث مع الجيش أخاه مسلمه بن عبد الملك و كان أعرف الناس بقياده الجيوش و تديرها و أيمن الناس نقيبه فى الحرب و ضم إليه ابن أخيه العيّاس بن الوليد بن عبد الملك فسار يزيد بن المهلب من البصره فقدم واسط فأقام بها أياما ثم سار عنها فنزل (١) العقر و اشتملت جريده جيشه على مائه و عشرين ألفا و قدم مسلمه بجيوش الشام فلما تراءى العسكران و شبت الحرب أمر مسلمه قائدا من قواده أن يحرق الجسور التى كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا فليل يزيد بن المهلب قد انهزم الناس قال و مم انهزموا هل كان قتال ينهزم الناس من مثله فليل له إن مسلمه أحرق الجسور فلم يثبتوا فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار ثم وقف و معه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه و استقبله منهم أمثال الجبال فقال دعوهم قبحهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب و كان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار و قد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى بواسط فقال له فعش ملكا أو مت كريما فإن تمت و سيفك مشهور بكفك تعذر.

فقال ما شعرت فقال

ص: ٢٥٢

١- ١) قال ابن خلكان: «هى عقر بابل؛ وهى عند الكوفه بالقرب من كربلاء؛ الموضع الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه».

إن بنى مروان قد باد ملكهم

فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر.

فقال أما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام أصحابه نزل عن فرسه و كسر جفن سيفه و استقتل فأتاه آت فقال إن أخاك حبيبا قد قتل فزاده ذلك بصيره فى توطينه نفسه على القتل و قال لا خير فى العيش بعد حبيب و الله لقد كنت أبغض الحياه بعد الهزيمه و قد ازددت لها بغضا امضوا قدما فعلم أصحابه أنه مستميت فتسلل عنه من يكره القتال و بقى معه جماعه خشيه فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها و هو يقصد مسلمه بن عبد الملك لا يريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمه فرسه ليركب و حالت خيول أهل الشام بينهما و عطفت على يزيد بن المهلب فجالدهم بالسيف مصلتا (١) حتى قتل و حمل رأسه إلى مسلمه و قتل معه أخوه محمد بن المهلب و كان أخوهما المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام فى جهه أخرى و لا يعلم بقتل أخويه يزيد و محمد فأتاه أخوه عبد الملك بن المهلب و قال له ما تصنع و قد قتل يزيد و محمد و قبلهما قتل حبيب و قد انهزم الناس.

و قد روى أنه لم يأت بالخبر على وجهه و خاف أن يخبره بذلك فيستقتل و يقتل فقال له إن الأمير قد انحدر إلى واسط فاقتص أثره فانحدر المفضل حينئذ فلما علم بقتل إخوته حلف ألا يكلم أخاه عبد الملك أبدا و كانت عين المفضل قد أصيبت من قبل فى حرب الخوارج فقال فضحنى عبد الملك فضحه الله ما عذرى إذا رآنى الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم ألا صدقنى فقتلت ثم قال و لا- خير فى طعن الصناديد بالقنا و لا- فى لقاء الناس بعد يزيد فلما اجتمع من بقى من آل المهلب بالبصره بعد الكسره أخرجوا عدى بن أرتاه أمير البصره من الحبس فقتلوه و حملوا عيالهم فى السفن البحريه و لججوا فى البحر فبعث إليهم مسلمه بن عبد الملك بعثا عليه قائد من قواده فأدر كههم فى قنديل (٢) فحاربهم

ص: ٢٥٣

١-١) مصلتا، أى مجردا من غمده.

٢-٢) قنديل: مدينه بالسند.

و حاربوه و تقدم بنو المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم و هم المفضل بن المهلب و زياد بن المهلب و مروان بن المهلب و عبد الملك بن المهلب و معاوية بن يزيد بن المهلب و المنهال بن أبي عيينه بن المهلب و عمرو و المغيرة ابنا قبيصة بن المهلب و حملت رءوسهم إلى مسلمة بن عبد الملك و في أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه و استؤسر الباقون في الوقعة فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام و هم أحد عشر رجلا فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعه فأنشد حلیم إذا ما نال عاقب مجملا

فقال يزيد أظت (١) بك الرحم يا أبا صخر لو لا أنهم قدحوا في الملك لعفوت عنهم ثم أمر بقتلهم فقتلوا و بقى منهم صبي صغير فقال اقتلوني فلست بصغير فقال يزيد بن عبد الملك انظروا هل أنبت فقال أنا أعلم بنفسى قد احتلمت و وطئت النساء فاقتلوني فلا خير في العيش بعد أهلى فأمر به فقتل.

قال أبو عبيده معمر بن المثنى و أسماء الأسارى الذين قتلوا صبورا و هم أحد عشر مهلبيا المعارك و عبد الله و المغيرة و المفضل و المنجاب بنو يزيد بن المهلب و دريد و الحجاج و غسان و شبيب و الفضل بنو المفضل بن المهلب لصلبه و الفضل بن قبيصة بن المهلب قال و لم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقيه إلا أبو عيينه بن المهلب و عمر بن يزيد بن المهلب و عثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل (٢) ثم أومنوا بعد ذلك.

ص: ٢٥٤

١-١) أظت بك الرحم: رقت و حنت.

٢-٢) رتبيل: من ملوك الترك.

وقال الرضى الموسوى رحمه الله تعالى ألا لله بادره الطلاب

وقال أيضا لا يبذ الهموم إلا غلام

وقال أيضا رحمه الله تعالى و لست أضل فى طرق المعالى

ص: ٢٥٥

وقال حارثه بن بدر الغداني أهان و أقصى ثم ينتصحنوني

وقال بعض الخوارج تعيرني بالحرب عرسي و ما درت

وقال الأعشى أ بالموت خشتني عباد و إنما

وقال آخر فلا أسمعن فيكم بأمر هضيمه

و مثله إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

ص: ٢٥٦

و قال آخر كرهوا الموت فاستيح حماهم

و قال بشامه بن الغدير و إن التي سامكم قومكم

قال يزيد بن المهلب في حرب جرجان لأخيه أبي عيينه ما أحسن منظر رأيت في هذه الحرب قال سيف بن أبي سبره و بيضته و كان عبد الله بن أبي سبره حمل على غلام تركي قد أفرج الناس له و صدوا عنه لبأسه و شجاعته فتضاربا ضربتین فقتله ابن أبي سبره بعد أن ضربه التركي في رأسه فنشب سيفه في بيضه ابن أبي سبره فعاد إلى الصف و سيفه مصبوغ بدم التركي و سيف التركي ناشب في بيضته كجزء منها يلمع فقال الناس هذا كوكب الذنب و عجبوا من منظره.

و قال هدبه بن خشرم و إني إذ ما الموت لم يك دونه

و قال آخر إني أنا المرء لا يغضبي على تره و لا يقر على ضيم إذا غشما

ص: ٢٥٧

ألقى المنيه خوفا أن يقال فتى

أمسى و قد ثبت الصفان منهزما.

و قال آخر قوض خيامك و التمس بلدا

استنصر سبيع بن الخطيم التيمي من بنى تيم اللات بن ثعلبه زيد الفوارس الضبى فنصره فقال نبهت زيدا فلم أفرع إلى وكل

و قال أبو طالب بن عبد المطلب كذبتكم و بيت الله نخلى محمدا

٤٤٩

١٤,١- لَمَّا بَرَزَ عَلِيٌّ وَ حَمْرُهُ وَ عُبَيْدُهُ عَ يَوْمَ يَدْرِ إِلَى عُتْبَةَ وَ شَيْبَةَ وَ الْوَلِيدِ قَتَلَ عَلِيٌّ عَ الْوَلِيدَ وَ قَتَلَ حَمْرُهُ شَيْبَةَ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي رِوَايَةِ ذَلِكَ هَلْ كَانَ شَيْبَةُ قِرْنَهُ أَمْ عُتْبَةُ وَ تَجَالَمَدَ عُبَيْدُهُ وَ عُتْبَةُ بِسَيْفَيْهِمَا فَجَرَحَ عُبَيْدُهُ عُتْبَةَ فِي رَأْسِهِ وَ قَطَعَ عُتْبَةُ سَاقَ عُبَيْدَةَ فَكَرَّ عَلِيٌّ وَ حَمْرُهُ عَ عَلِيٍّ صَاحِبَيْهِمَا فَاسْتَتَفَدَاهُ مِنْ عُتْبَةَ وَ حَبَطَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ وَ اخْتَمَلَا صَاحِبَيْهِمَا فَوَضَعَاهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الْعَرِيشِ وَ هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَ إِنَّ مَخَّ سَاقِهِ لَيْسِيلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا لَعَلِمَ أَنَّي أَوْلَى مِنْهُ بِقَوْلِهِ

ص: ٢٥٨

فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ص وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ

٤- لَمَّا قَدِمَ جَيْشُ الْحَرَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ عَلَى الْجَيْشِ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرِّيُّ أَبَاحَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا وَ اسْتَعْرَضَ أَهْلَهَا بِالسَّيْفِ جَزْرًا كَمَا يَجْزُرُ الْقَصَابُ الْعُغْمَ حَتَّى سَاخَتِ الْأَقْدَامُ فِي الدَّمِ وَ قُتِلَ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ ذُرِّيَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ وَ أُخِذَ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَبَقَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ عَلَى أَنَّهُ عَبْدٌ قِنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ هَكَذَا كَانَتْ صُورَةُ الْمُبَايَعَةِ يَوْمَ الْحَرَّةِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع فَإِنَّهُ أَعْظَمُهُ وَ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَ أَخَذَ بَيْعَتَهُ عَلَى أَنَّهُ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَ ابْنُ عَمِّهِ دَفَعًا لَهُ عَمَّا بَايَعَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَ كَانَ ذَلِكَ بِوَصَاةٍ مِنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَهُ فَهَرَبَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَحْوَالِهِ مِنْ كِنْدَةَ فَحَمَّوهُ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَ قَالُوا لَا يُبَايِعُ ابْنُ أُخْتِنَا إِلَّا عَلِيُّ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَأَبَى مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ ذَلِكَ وَ قَالَ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا فَعَلْتَ إِلَّا بِوَصَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَفَتَلْتُهُ فَإِنَّ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ أَجْدَرُ بِالْقَتْلِ أَوْ لَأَخَذْتُ بَيْعَتَهُ عَلَى مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ بَيْعَةَ غَيْرِهِ وَ سَفَرَ السُّفْرَاءَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ حَتَّى وَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنَّ يُبَايِعَ وَ يَقُولَ أَنَا أُبَايِعُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَ أَلْتَرْمُ طَاعَتَهُ وَ لَا يَقُولَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَبِي الْعَبَّاسِ رَأْسُ بَنِي قُصَيٍّ

أَرَادَ بِيَّ الَّتِي لَا عِزَّ فِيهَا

فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ مَنِيَعَةً

مسرف كناية عن مسلم و أم علي بن عبد الله بن العباس زرعه بنت مشرح بن معديكرب بن وليعه بن شرحبيل بن معاوية بن كنده .

قال الحصين بن الحمام و لست بمبتاع الحياه بسبه

ابن سلمى يعنى نفسه و سلمى أمه.

و قال الطرماح بن حكيم و ما منعت دار و لا عزَّ أهلها من الناس إلا بالقنا و القنابل (١).

و قال آخر و إن التى حدثتها فى أنوفنا و أعناقنا من الإباء كما هيا.

و قال آخر فإن تكن الأيام فينا تبدلت

ص: ٢٦٠

و قال آخر إذا جانب أعيالك فاعمد لجانب فإنك لاق في البلاد معولا (١).

و قال أبو النشاش إذا المرء لم يسرح سواما و لم يرح

وفد يحيى بن عروه بن الزبير على عبد الملك فجلس يوما على بابه ينتظر إذنه فجرى ذكر عبد الله بن الزبير فنال منه حاجب عبد الملك فلطم يحيى وجهه حتى أدمى أنفه فدخل على عبد الملك و دمه يجرى من أنفه فقال من ضربك قال يحيى بن عروه قال أدخله و كان عبد الملك متكئا فجلس فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت بحاجبي قال يا أمير المؤمنين إن عمى عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا و الله إن كان ليوصى أهل ناحيته ألا يسمعوها قدعا (٢) و لا يذكروكم عندها إلا بخير و إن كان ليقول لها من سب أهلك فقد سب أهله فأنا و الله المعم المخول تفرقت العرب بين عمى و خالى فكنت كما قال الأول يداه أصابت هذه حتف هذه فلم تجد الأخرى عليها مقدا.

فرجع عبد الملك إلى متكئه و لم يزل يعرف منه الزيادة في إكرام يحيى بعدها.

ص: ٢٦١

١-١) لجابر بن ثعلب الطائي، ديوان الحماسة ٢٩٣:١-بشرح التبريزي.

٢-٢) ديوان الحماسة ٣٠٢:١-بشرح التبريزي.

و أم يحيى هذه ابنه الحكم بن أبي العاص عمه عبد الملك بن مروان .

و قال سعيد بن عمر الحرشى أمير خراسان فلست لعامر إن لم ترونى

قال عبد الله بن الزبير لما خطب حين أتاه نعى مصعب أما بعد فإنه أتانا من العراق خبر أفرحنا و أجزنا أتانا خبر قتل المصعب فأما الذى أجزنا فلوعه يجدها الحميم عند فراق حميمه ثم يرعوى بعدها ذو اللب إلى حسن الصبر و كرم العزاء.

و أما الذى أفرحنا فإن ذلك كان له شهاده و كان لنا و له خيره إنا و الله ما نموت حبجا (١) كما يموت آل أبى العاص ما نموت إلا قتلا قعصا (٢) بالرماح و موتا تحت ظلال السيوف فإن يهلك المصعب فإن آل الزبير لخلفا.

و خطب مره أخرى فذكره فقال لوددت و الله أن الأرض قاءتنى عنده حين لفظ غصته و قضى نجه شعر خذيه فجزيه ضباع و أبشرى بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره.

ص: ٢٦٢

١-١) العوالى: جمع عاليه؛ و هى أعلى القناه.

٢-٢) غرب السيف: حده؛ و يقال: حادث السيف؛ إذا جلاه؛ و صقال السيف: جلاؤه.

و قال الشداخ بن يعمر الكنانى قاتلوا القوم يا خزاع و لا

و قال يحيى بن منصور الحنفى و لما نأت عنا العشيره كلها

٦٥١

٣- قِيلَ لِرَجُلٍ شَهِدَ يَوْمَ الطَّفِّ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وَيَحْكُ أَقْتَلْتُمْ ذُرِّيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ عَضَّ ضُتُّ بِالْجُنْدَلِ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ مَا شَهِدْنَا لَفَعَلْتَ مَا فَعَلْنَا ثَارَتْ عَلَيْنَا عَصَابُهُ أَيَدِيهَا فِي مَقَابِضِ سِيُوفِهَا كَالْأَسُودِ الضَّارِيَةِ تُحَطِّمُ الْفُرْسَانَ يَمِينًا وَ شِمَالًا وَ تُلْقَى أَنْفُسَهَا عَلَى الْمَوْتِ لَا- تَقْبَلُ الْأَمَانَ وَ لَا تَزْغَبُ فِي الْمَالِ وَ لَا يَحُولُ حَائِلٌ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ الْوُرُودِ عَلَى حِيَاضِ الْمَيْتَةِ أَوْ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْمُلْكِ فَلَوْ كَفَفْنَا عَنْهَا رُوَيْدًا لَأَتَتْ عَلَى نَفُوسِ الْعَسْكَرِ بِحَذَائِرِهَا فَمَا كُنَّا فَاعِلِينَ لَا أُمَّ لَكَ .

السخاء من باب الشجاعه و الشجاعه من باب السخاء لأن الشجاعه إنفاق العمر و بذله فكانت سخاء و السخاء إقدام على إتلاف ما هو عدل المهجه فكان شجاعه أبو تمام فى تفضيل الشجاعه على السخاء كم بين قوم إنما نفقاتهم مال و قوم ينفقون نفوسا (١) .

ص: ٢٦٣

١- ١) ديوان الحماسه لأبى تمام ١:١٨٩- بشرح التبريزى، و الفشل: الجبن و الضعف.

قيل لشيخنا أبي عبد الله البصرى رحمه الله تعالى أ تجد فى النصوص ما يدل على تفضيل على ع بمعنى كثره الثواب لا بمعنى كثره مناقبه فإن ذاك أمر مفروغ منه فذكر حديث الطائر المشوى (١) و أن المحبه من الله تعالى إرادته الثواب فقل له قد سبقك الشيخ أبو على رحمه الله تعالى إلى هذا فهل تجد غير ذلك قال نعم قول الله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِلِيَانٍ مَرْصُوصٌ فإذا كان أصل المحبه لمن ثبت كثبوت البيان المرصوص فكل من زاد ثباته زادت المحبه له و معلوم أن عليا ع ما فر فى زحف قط و فر غيره فى غير موطن.

و قال أبو تمام السيف أصدق أنباء من الكتب

و قال أبو الطيب المتنبى حتى رجعت و أقلامى قوائل لى المجد للسيف ليس المجد للقلم (٢)

ص: ٢٦٤

١-١) يشير إلى ما رواه الترمذى فى باب المناقب (١٣:١٧٠)، بسنده عن أنس بن مالك، و لفظه: «كان عند النبى صلى الله عليه و سلم طير فقال: اللهم اتنى بأحب خلقك إليك؛ يأكل معى هذا الطير. فجاء على فأكل معه. و انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٧.

٢-٢) ديوانه ١:٤٥؛ من قصيده يمدح بها المعتصم بالله؛ و يذكر فتح عموريه، و كان المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عموريه؛ و راسلته الروم بأنا نجد فى كتبنا أنه لا- تفتح مدينتنا إلا وقت إدراك التين و العنب؛ و بيننا و بين ذلك الوقت شهرور يمنعك من المقام فيها الثلج و البرد، فأبى أن ينصرف و أكب عليها ففتحها، فأبطل ما قالوا.

اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به

قال عطف بن محمد الأوسى أ مكابد الزفرات مؤصده

وقال عروه بن الورد لحا الله صعلوكا إذا جن ليله مصافى المشاش ألفا كل مجزر (1)

ص: ٢٤٥

(١ - ١) الوشل: الماء القليل.

يعد الغنى من نفسه كل ليله

و قال آخر و لست بمولى سوءه ادعى لها

ص: ٢٤٤

نهار بن توسعه فى يزىد بن المهلب و ما كنا نؤمل من أمير

كان هذب الشكرى و هو ابن عم شوذب الخارجى الشكرى شجاعا مقداما و كان ابن عمه بسطام الملقب شوذبا الخارج فى
خلافه عمر بن عبد العزيز و يزىد بن عبد الملك فأرسل إليه يزىد بن عبد الملك جيشا كثيفا فحاربه فانكشفت الخوارج و ثبت
هذب و أبى الفرار فقاتل حتى قتل فقال أيوب بن خولى يرثيه فيا هذب للهيجا و يا هذب للندى

كانت وصايا إبراهيم الإمام و كتبه ترد إلى أبى مسلم بخراسان إن استطعت ألا تدع بخراسان أحدا يتكلم بالعربيه إلا و قتلته
فأفعل و أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه

ص: ٢٦٧

فاقتله و عليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار فأبد خضراءهم (١) و لا تدع على الأرض منهم ديارا.

قال المتنبى لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم (٢).

و له و من عرف الأيام معرفتى بها

و قال المتنبى أيضا ردى حياض الردى يا نفس و اطرحى

و من أباه الضيم قتيبه بن مسلم الباهلى أمير خراسان و ما وراء النهر لم يصنع أحد صنيعة فى فتح بلاد الترك و كان (٣) الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبد الملك من العهد بعده و يجعله فى ابنه عبد العزيز بن الوليد فأجابه إلى ذلك قتيبه بن مسلم و جماعه من الأمراء فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك و قام سليمان بالأمر بعده و كان

ص: ٢٤٨

١-١) فى الأساس: أباد الله خضراءهم، أى شجرتهم التى تفرعوا منها.

٢-٢) ديوانه ١٢٥:٤.

٣-٣) ديوانه ١١٢:٤.

قتيبه أشدّ الناس في أمر سليمان و خلعه عن العهد علم أنّه سيعزله عن خراسان و يوليها يزيد بن المهلب لود كان بينه و بين سليمان فكتب قتيبه إليه كتابا يهنئه بالخلافه و يذكر بلاءه و طاعته لعبد الملك و للوليد بعده و أنّه على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان و كتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بفتوحه و آثاره و نكايته في الترك و عظم قدره عند ملوكهم و هيبه العجم و العرب له و عظم صيته فيهم و يذم آل المهلب و يحلف له بالله لئن استعمل يزيد بن المهلب خراسان ليخلعنه و ليملأنها عليه خيلا و رجلا- و كتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان و بعث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهله يثق به و قال له ادفع الكتاب الأول إليه فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده فقرأ الكتاب ثمّ دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثاني فإن قرأه و ألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث و إن قرأ الكتاب الأول و لم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين معك.

فقدم الرسول على سليمان و دخل عليه و عنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب الأول فقرأ و ألقاه إلى يزيد فدفع إليه الكتاب الثاني فقرأه و ألقاه إلى يزيد أيضا فدفع إليه الكتاب الثالث فقرأه و تغير لونه و طواه و أمسكه بيده و أمر بإنزال الرسول و إكرامه ثمّ أحضره ليلا و دفع إليه جائزته و أعطاه عهد قتيبه على خراسان و كان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليطمئن ثمّ يعزله و بعث مع رسوله رسولا فلما كان بحلوان بلغه خلع قتيبه سليمان بن عبد الملك فرجع رسول سليمان إليه فلما اختلفت العرب على قتيبه حين أبدى صفحته لسليمان و خلع ربقه الطاعه بايعوا و كيع بن أبي سود التميمي على أماره خراسان و كانت أمراء القبائل قد تنكرت لقتيبه لإذلاله إياهم و استهانته بهم و استطلته عليهم و كرهوا إمارته فكانت بيعه و كيع في أول الأمر

سرا ثم ظهر لقتيبه أمره فأرسل إليه يدعوه فوجده قد طلا رجله بمغره (١) وعلق في عنقه خرزا و عنده رجلان يرقيان رجله فقال للرسول قد ترى ما برجلي فرجع و أخبر قتيبه فأعاده إليه فقال قل له ليأتيني محمولا قال لا أستطيع فقال قتيبه لصاحب شرطته انطلق إلى وكيع فأنتى به فإن أبى فاضرب عنقه و ائتني برأسه و وجه معه خيلا- فقال وكيع لصاحب الشرطه البث قليلا- تلحق الكتائب و قام فليس سلاحه و نادى فى الناس فأتوه فخرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت فقال من بنى أسد فقال ما اسمك فقال ضرغام فقال ابن من قال ابن ليث فتيمن به و أعطاه رايته و أتاه الناس إرسالا من كل وجه فتقدم بهم و هو يقول قرم إذا حمل مكروهه شد الشراسيف لها و الحزيم (٢).

و اجتمع إلى قتيبه أهله و ثقاته و أكثر العرب ألسنتهم له و قلوبهم عليه فأمر قتيبه رجلا فنادى أين بنو عامر و قد كان قتيبه جفاهم فى أيام سلطانه فقال له مجفر (٣) بن جزء الكلابى نادهم حيث وضعتهم فقال قتيبه أنشدكم الله و الرحم و ذاك لأن باهله و عامرا من قيس عيلان فقال مجفر أنت قطعتها قال فلکم العتبي فقال مجفر لا أقلنا الله إذا فقال قتيبه يا نفس صبرا على ما كان من ألم إذ لم أجد لفضول العيش أقرانا.

ثم دعا (٤) ببرذون له مدرب (٥) ليركبه فجعل يمنعه الركوب حتى أعيأ فلما رأى ذلك

ص: ٢٧٠

-
- ١- (١) المغره: طين أحمر.
 - ٢- (٢) البيت فى اللسان ١٥: ٢١، من غير نسبه. القرم: السيد. و الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن. و الحزيم: موضع الحزام من الصدر و الظهر كله.
 - ٣- (٣) فى الطبرى: «محصن».
 - ٤- (٤) فى الطبرى: «و دعا بعمامه، و كانت أمه بعثت بها إليه: فاعتم بها، و كان يعتم بها فى الشدائد، و دعا ببرذون...».
 - ٥- (٥) المدرب: المؤدب الذى ألف الركوب و عود المشى.

عاد إلى سريره فجلس و قال دعوه فإن هذا أمر يراى و جاء حيان النبطى و هو يومئذ أمير الموالى و عدتهم سبعة آلاف و كان واجدا على قتيبه فقال له عبد الله بن مسلم أخو قتيبه احملى يا حيان فقال لم يأن بعد فقال له ناولنى قوسك فقال حيان ليس هذا بيوم قوس ثم قال حيان لابنه إذ رأيتنى قد حولت قلنسوتى و مضيت نحو عسكر و كيع فملى بمن معك من العجم إلى فلما حول حيان قلنسوته و مضى نحو عسكر و كيع مالت الموالى معه بأسرها فبعث قتيبه أخاه صالح بن مسلم إلى الناس فرماه رجل من بنى ضبه فأصاب رأسه فحمل إلى قتيبه و رأسه مائل فوضعه على مصلاه و جلس عند رأسه ساعه و تهايج الناس و أقبل عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبه نحوهم فرماه الغوغاء و أهل السوق فقتلوه و أشير على قتيبه بالانصراف فقال الموت أهون من الفرار و أحرق و كيع موضعا كانت فيه إبل قتيبه و دوابه و زحف بمن معه حتى دنا منه فقاتل دونه رجل من أهله قتالا شديدا فقال له قتيبه أنج بنفسك فإن مثلك يضمن به عن القتل قال بئسما جزيتك به أيها الأمير إذا و قد أطعمتنى الجردق و ألبستنى النمرق (١) و تقدم الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبه فأشار عليه نصحاؤه بالهرب فقال إذا لست لمسلم بن عمرو ثم خرج إليهم بسيفه يجالدهم فجرح جراحات كثيرة حتى ارتث (٢) و سقط فأكبوا عليه فاحتزوا رأسه و قتل معه من إخوته عبد الرحمن و عبد الله و صالح و الحصين و عبد الكريم و مسلم و قتل معه جماعه من أهله و عده من قتل معه من أهله و إخوته أحد عشر رجلا و سعد و كيع بن أبى سود المنبر و أنشد من ينك العير ينك نياكا (٣) .

ص: ٢٧١

-
- ١-١) الجردق: الرغيف، معرب فارسيته: «كرده». و النمرق: الميثره.
 - ٢-٢) ارتث، بالبناء للمجهول: حمل من المعركة جريحا و به رمق.
 - ٣-٣) مثل؛ قاله خضر بن شبل الخثعمي، فى خبر ذكره صاحب مجمع الأمثال ٢:٣٠٥.

إن قتيبه أراد قتلى و أنا قتال الأقران ثم أنشد قد جربوني ثم جربوني

ثم قال أنا أبو مطرف يكررها مرارا ثم قال أنا ابن خندف تمنيني قبائلها للصالحات و عمى قيس عيلانا .

ثم أخذ بلحيته و قال إنني لأقتلن ثم لأقتلن و لأصلبن ثم لأصلبن إن مرزبانكم (١) هذا ابن الزانية قد أغلى أسعاركم و الله لئن لم يصير القفيز (٢) بأربعة دراهم لأصلبته صلوا على نبيكم .

ثم نزل و طلب رأس قتيبه و خاتمه فقيل له إن الأزد أخذته فخرج مشهرا (٣) و قال و الله الذي لا إله إلا هو لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسي معه فقال له الحصين بن المنذر يا أبا مطرف فإنك تؤتى به ثم ذهب إلى الأزد فأخذ الرأس و أتاه به فسيره إلى سليمان بن عبد الملك فأدخل عليه و معه رءوس إخوته و أهله و عنده الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي فقال أ ساءك هذا يا هذيل قال لو ساءني لساء ناسا كثيرا فقال سليمان ما أردت هذا كله و إنما قال سليمان ذلك للهذيل لأن قيس عيلان تجمع كلابا و باهله قالوا ما ولى خراسان أحد كقتيبة بن مسلم و لو كانت باهله فى الدناءة و الضعه و اللؤم إلى أقصى غاية لكان لها بقتيبة الفخر على قبائل العرب .

ص: ٢٧٢

١- ١) أصله فى الدابة، يقال: سيب الدابة، إذا تركها تذهب حيث شاءت، و فى تاريخ الطبرى: حتى إذا سبت و شبنوني خلوا عناني و تنكبوني و انظر أمالي القالى ١: ٢٨٦.

٢- ٢) المرزبه: رئاسه الفرس، و هو مرزبانهم.

٣- ٣) الطبرى: «و الله ليصيرن القفيز فى السوق غدا بأربعة».

قال رؤساء خراسان من العجم لما قتل قتيبه يا معشر العرب قتلتم قتيبه و الله لو كان منا ثم مات لجعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا.

و قال الأصبهذ (١) يا معشر العرب قتلتم قتيبه و يزيد بن المهلب لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا فَعِيلٌ لَهُ أَيُّهَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَكُمْ وَ أَهْيَبَ قَالَ لَوْ كَانَ قَتِيْبُهُ بِأَقْصَى حَجْرِهِ (٢) فِي الْمَغْرِبِ مَكْبَلًا بِالْحَدِيدِ وَ الْقِيُودِ وَ يَزِيدٌ مَعْنَا فِي بَلَدِنَا وَ آلَ عَلَيْنَا لَكَانَ قَتِيْبُهُ أَهْيَبَ فِي صَدُورِنَا وَ أَعْظَمَ.

و قال عبد الرحمن بن جماعه الباهلى يرثى قتيبه كأن أبا حفص قتيبه لم يسر

عبر أم ولد له.

٦٥٢

وَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلًا مُمْسِكًا بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً (٣) طَارَ إِلَيْهَا.

كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد و اعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاك و تراك فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياه و لا تغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة .

ص: ٢٧٣

١-١) الأصبهذ في الديلم: كالأمير في العرب.

٢-٢) الحجره: الناحيه.

٣-٣) الهيعه: الصوت أو الصياح.

عمر لا- تزالون أصحاب ما نزعتم و نزوتم يزيد ما نزعتم (1) في القوس و نزوتم على الخيل بعض الخوارج و من يخش أظفار
المنايا فإننا

حفص منصور بن عمار في قصصه على الغزو و الجهاد فطرح في المجلس صره فيها شيء ففتحت فإذا فيها ضفیرتا امرأه و قد
كتبت رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد و والله إنني لا أملك لنفسي مالا و لا أملك سوى ضفیرتی هاتين و قد ألقیتهما
إليك فتالله إلا جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله فلعل الله أن يرحمني بذلك.

فارتج المجلس بالبكاء و الضجيج.

لبعض شعراء العجم و سوء تا لامرئ شيبته

ص: ٢٧٤

١-١) يقال: نزع في القوس نزعاً، إذا جذب الوتر بالسهم.

عبد الله بن ثعلبه الأزدي

فلتن عمرت لأشفين

مجير الجراد أبو حنبل حارثه بن مر الطائي أجار جرادا نزل به و منع من صيده حتى طار من أرضه فسمى مجير الجراد .

و قال هلال بن معاوية الطائي و بالجبلين لنا معقل

و قال يحيى بن منصور الحنفي و لما نأت عنا العشيره كلها

ص: ٢٧٥

و قال آخر أرق لأرحام أراها قريبه

حاصرت الترك مدينه بردعه من أعمال آذربيجان فى أيام هشام بن عبد الملك حصارا شديدا و استضعفتها و كادت تملكها و توجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشى من قبل هشام بن عبد الملك فى جيوش كثيفه و علم الترك بقربه منهم فخافوا و أرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل بردعه سرا يعرفهم وصوله و يأمرهم بالصبر خوفا ألا يدرکہم فسار الرجل و لقيه قوم من الترك فأخذوه و سألوه عن حاله فكتمهم فعذبوه فأخبرهم و صدقهم فقالوا إن فعلت ما نأمرک به أطلقناک و إلا قتلناک فقال ما تريدون قالوا أنت عارف بأصحابک ببردعه و هم يعرفونک فإذا وصلت تحت السور فنادهم إنه ليس خلفى مدد و لا-من يكشف ما بکم و إنما بعثت جاسوسا فأجابهم إلى ذلك فلما صار تحت سورها وقف حيث يسمع أهلها كلامه و قال لهم أ تعرفوننى قالوا نعم أنت فلان بن فلان قال فإن سعيدا الحرشى قد وصل إلى مکان کذا فى مائه ألف سيف و هو يأمرکم بالصبر و حفظ البلد و هو مصبحکم أو ممسيکم فرفع أهل بردعه أصواتهم بالتكبير و قتلت الترك ذلك الرجل و رحلوا عنها و وصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحه و أهلها سالمين.

و قال الراجز من كان ينوى أهله فلا رجع فر من الموت و فى الموت وقع.

ص: ٢٧٤

أشرف معاويه يوما فرأى عسكر على ع بصفين فهاله فقال من طلب عظيما خاطر بعظيمته.

وقال الكلبه إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا (١).

و من شعر الحماسه أقول لها و قد طارت شعاعا

و منه أيضا و فى الشر نجاه حين لا ينجيك إحسان (٢).

و منه أيضا و لم ندر إن جضنا عن الموت جيضه كم العمر باق و المدى متناول (٣).

ص: ٢٧٧

١-١) المفضليات ٣٢.

٢-٢) لقطرى بن الفجاءه. ديوان الحماسه- بشرح التبريزى ١:٩٦.

٣-٣) أخو الخنع: الدليل. و اليراع: الرجل الجبان؛ كأنه لا قلب له؛ تشبيها له بالقصبه الجوفاء.

و منه أيضا و لا يكشف الغماء إلا ابن حره يرى غمرات الموت ثم يزورها (١).

و منه أيضا فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم

و منه أيضا سأغسل عنى العار بالسيف جالبا

و منه أيضا هما خطتا إما إسار و منه و إما دم و القتل بالحر أجدر (٢).

ص: ٢٧٨

١-١) لجعفر بن علبه أيضا، ديوان الحماسة- بشرح التبريزى ١:٥٠.

٢-٢) له أيضا، ديوان الحماسة- بشرح التبريزى ١:٥٤.

و منه أيضا و أنا لقوم لا نرى القتل سبه

و منه أيضا لا يركن أحد إلى الإحجام

و منه أيضا و إنى لدى الحرب الضروس موكل

كتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمّد إلى أبي مسلم كتابا حمل على جمل لعظمه و كثرته و قيل إنّه لم يكن فى الطول إلى هذه الغايه و قد حمل على جمل تعظيما لأمره و قال لمروان بن محمّد إن قرأه خاليا نخب (١) قلبه و إن قرأه فى ملا من

ص: ٢٧٩

١-١) للسموأل، ديوان الحماسه- بشرح التبريزى ١:١١١.

أصحابه ثبطهم و خذلهم فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار و لم يقرأه و كتب على بياض كان على رأسه و أعاده إلى مروان
محا السيف أسطار البلاغه و انتحت

و يقال إن أول الكتاب كان لو أراد الله بالنمله صلاحا لما أنبت لها جناحا و كتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار و هو أول كتاب
صدر عن أبي مسلم إلى نصر و ذلك حين لبس السواد و أعلن بالدعوه فى شهر رمضان من سنه تسع و عشرين و مائه أما بعد
فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال وَ أَفْسَيْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِمْ نَارًا كَمَا نَزَّلْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْأَوَّلِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ
لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (١).

فلما ورد الكتاب إلى نصر تعاضمه أمره و كسر له إحدى عينيه و قال إن لهذا الكتاب لأخوات و كتب إلى مروان يستصرخه و
إلى يزيد بن هبيرة يستنجده فقعدا عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بنى عبد شمس .

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى سأمضى للتي لا عيب فيها و إن لم أستفد إلا عناء (٢)

ص : ٢٨٠

١- ١) انتحت: قصدت.

٢- ٢) شحيذه: مسنونه.

و أطلب غايه إن طوحت بي

و له سيقطعك المهند ما تمنى

و من أهل الإباء الذين كرهوا الدينه و اختاروا عليها المنيه عبد الله بن الزبير تفرق عنه لما حاربه الحجاج بمكّه و حصره فى الحرم عامه أصحابه و خرج كثير منهم إلى الحجاج فى الأمان حتّى حمزه و خبيب ابناه فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق و كانت قد كف بصرها و هى عجوز كبيره فقال لها خذلى الناس حتّى ولدى و أهلى و لم يبق معى إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعه و القوم يعطوننى من الدنيا ما سألت فما رأيك فقالت أنت يا بنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حقّ و إليه تدعو فامض له فقد قتل أكثر أصحابك فلا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بنى أميه و إن كنت إنّما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت

ص: ٢٨١

نفسك و أهلك من قتل معك و إن كنت قاتلت على الحق فما وهن أصحابك إلا ضعفت فليس هذا فعل الأحرار و لا أهل الدين و كم خلودك في الدنيا القتل أحسن.

فدنا عبد الله منها فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيي و الله ما ركنت إلى الدنيا و لا أحببت الحياه فيها و ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله تعالى عزّ و جلّ أن تستحل محارمه و لكنني أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيره فانظري يا أماه أنى مقتول يومى هذا فلا- يشتد جزعك و سلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكرو و لا عملا بفاحشه و لم يجر فى حكم الله و لم يظلم مسلما و لا معاهدا و لا بلغنى ظلم عن عامل من عمالى فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شىء عندى آثر من رضا الله.

اللهم إني لا أقول هذا تزكيه لنفسى أنت أعلم بي و لكنى أقوله تعزیه لأمى لتسلو عنى فقالت إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى فاخرج لأنظر إلى ما ذا يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا يا أمى فلا تدعى الدعاء لى حيا و ميتا قالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حقّ ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل و ذلك النحيب فى الظلماء و ذلك الصوم فى هواجر مكّه و المدينه و بره بأبيه و بى اللهم إني قد أسلمت لأمرك و رضيت بما قضيت فيه فأثبني عليه ثواب الصابرين.

و قد روى فى قصه عبد الله مع أمه أسماء روايه أخرى أنه لما دخل عليها و عليه الدرع و المغفر و هى عمياء لا تبصر وقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها قالت هذا وداع فلا تبعد فقال نعم إنما جئت مودعا إني لأرى هذا اليوم آخر أيامى من الدنيا و اعلمى يا أمى أنى إذا قتلت فإنما أنا لحم لا يضرنى ما صنع بى فقالت صدقت يا بنى أقم على بصيرتك و لا تمكن ابن أبى عقيل منك ادن منى لأودعك فدنا منها فقبلته

و عانقته فوجدت مس الدرع فقالت ما هذا صنع من يريد ما تريد فقال إنما لبسته لأشد منك قالت إنه لا يشد منى ثم انصرف عنها و هو يقول إني إذا أعرف يومى أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر.

و أقام أهل الشام على كل باب من أبواب الحرم (١) رجالاته و قائدا فكان لأهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبة و لأهل دمشق باب بنى شيبه و لأهل الأردن باب الصفا و لأهل فلسطين باب جمع و لأهل قنسرين باب بنى سهم و خرج ابن الزبير فمره يحمل هاهنا و مره يحمل هاهنا و كأنه أسد لا يقدم عليه الرجال و أرسلت إليه زوجته أ أخرج فأقاتل معك فقال لا و أنشد كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جر الذبول (٢).

فلما كان الليل قام يصلى إلى قريب السحر ثم أغفى محتيا بحمائل سيفه ثم قام فتوضأ و صلى و قرأ ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ثم قال بعد انقضاء صلاته من كان عنى سائلا فإنى فى الرعيل الأول ثم أنشد و لست بمبتاع الحياه بسبه و لا مرتق من خشيه الموت سلما (٣).

ثم حمل حتى بلغ الحجون فرمى بأجره فأصابت وجهه فدمى فلما وجد سخونه الدم يسيل على وجهه أنشد و لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا و لكن على أقدامنا تقطر الدما (٤).

ثم حمل على أهل الشام فغاص فيهم و اعتوروه بأسيا فمهم حتى سقط و جاء الحجاج

ص: ٢٨٣

١-١) كذا فى ج، و هو الصواب، و فى ب: «مكّه».

٢-٢) ينسب إلى عمر بن أبى ربيعه، ملحق ديوانه ٤٩٨.

٣-٣) للحصين بن الحمام المرى، من مفضلتيه ص ٦٤-٦٩.

٣-٤) للحصين بن الحمام المرى، من مفضلتيه ص ٦٤-٦٩.

فوقف عليه و هو ميت و معه طارق بن عمرو فقال ما ولدت النساء أذكر من هذا و بعث برأسه إلى المدينة فنصب بها ثم حمل إلى عبد الملك .

أبو الطيب المتنبي

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر

و قال ابن حيوس و لست كمن أخنى عليه زمانه

ص: ٢٨٤

و ليس الفتى من لم تسم جسمه الظبا

و يحطم فيه من قنا الخط أكعب (١).

و له أيضا أخفق المترف الجنوح إلى الخفض

٤٥٣

١٤,٥- وَ مِمَّنْ تَقَبَّلَ مَذَاهِبَ الْأَسْيَافِ فِي إِبَاءِ الضَّيْمِ وَ كَرَاهِيَةِ الدُّلِّ وَ اخْتَارَ القَتْلَ عَلَى ذَلِكِ وَ أَنْ يَمُوتَ كَرِيماً أَبُو الحُسَيْنِ زَيْدُ
بْنِ عَلِيٍّ بِنِ الحُسَيْنِ بِنِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ وَ كَانَ السَّبَبُ فِي خُرُوجِهِ وَ خَلْعِهِ طَاعَةَ بَنِي مَرْوَانَ أَنَّهُ كَانَ يُخَاصِمُ عَبْدَ اللَّهِ
بْنَ حَسَنِ بِنِ حَسَنِ بِنِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ ع فِي صِيَدَقَاتِ عَلِيٍّ ع هَذَا يُخَاصِمُ عَنْ بَنِي حُسَيْنٍ وَ هَذَا عَنْ بَنِي حَسَنِ فَتَنَازَعَا يَوْمًا
عِنْدَ خَالِدِ بِنِ عَبْدِ المَلِكِ بِنِ الحَارِثِ بِنِ الحَكَمِ أميرِ المَدِينَةِ فَأَغْلَظَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ فَسَيَّرَ خَالِدُ بِنُ عَبْدِ المَلِكِ بِذَلِكَ وَ
أَعْجَبَهُ سَبَابُهُمَا وَ قَالَ لَهُمَا حِينَ سَكْنَا اغْدُوا عَلَيَّ فَلَشْتُ بِابْنِ عَبْدِ المَلِكِ إِنْ لَمْ أَفْضِلْ بَيْنَكُمَا غَدًا فَبَاتَتِ المَدِينَةُ تَعْلَى كَالْمَرْجَلِ
فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ قَالَ زَيْدٌ كَذَا وَ قَائِلٍ يَقُولُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَذَا فَلَمَّا كَانَ الغَدُ جَلَسَ خَالِدٌ فِي المَسْجِدِ وَ جَمَعَ النَّاسَ فَمِنْ بَيْنِ شَامِتٍ
وَ مَعْمُومٍ وَ دَعَا بِهِمَا وَ هُوَ يُحِبُّ أَنْ يَتَشَاتَمَا فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ فَصَالَ زَيْدٌ لَا تَعْجَلْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَعَتَقَ زَيْدٌ مَا يَمْلِكُ إِنْ
خَاصِمَكَ إِلَى خَالِدٍ أَيْدًا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ فَصَالَ لَهُ أَجْمَعْتَ ذُرِّيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ص لِأَمْرِ مَا كَانَ يُجْمَعُهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَ لَا عَمْرُ
فَقَالَ خَالِدٌ أَمَا لِهَذَا السَّفِيهِ أَحَدٌ يُكَلِّمُهُ.

فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ آلِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالَ يَا ابْنَ أَبِي تَرَابٍ وَ يَا ابْنَ

ص: ٢٨٥

حَسْبَيْنِ السَّفِينِهِ أَمَا تَرَى عَلَيكَ لَوْلَا حَقًّا وَلَا طَاعَةً فَقَالَ زَيْدٌ اسْكُتْ أَيُّهَا الْقَحْطَانِيُّ فَإِنَّا لَا نَجِيبُ مِثْلَكَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ وَ لِمَ تَزْعُبُ عَنِّي فَوَاللَّهِ إِنِّي لَخَيْرٌ مِنْكَ وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّكَ فَتَضَاحَكَ زَيْدٌ وَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذَا الدِّينُ قَدْ ذَهَبَ أَفْذَهَبَتِ الْأَحْسَابُ فَتَكَلَّمَ عَزِيدُ اللَّهِ بْنِ وَاقِدٍ بْنِ عَزِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ كَذَبْتَ أَيُّهَا الْقَحْطَانِيُّ وَاللَّهِ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأَبًا وَأُمًّا وَمَحْتَدًا وَتَنَاوَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ وَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصِيصِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا عَلَى هَذَا مِنْ صَبْرٍ وَقَامَ.

فَقَامَ زَيْدٌ أَيْضًا وَشَخَّصَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَجَعَلَ هِشَامٌ لَا يَأْذُنُ لَهُ وَزَيْدٌ يَزْفَعُ إِلَيْهِ الْقِصَصَ وَكَلَّمَ رَفَعَ إِلَيْهِ قِصَّةَ كَتَبَ هِشَامٌ فِي أَسْفَلِهَا ارْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَيَقُولُ زَيْدٌ وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى ابْنِ الْحَارِثِ أَبَدًا ثُمَّ أَدْنَى لَهُ بَعْدَ حَبْسِ طَوِيلٍ وَهِشَامٌ فِي عَلَيْهِ لَهُ فَرْقَى زَيْدٌ إِلَيْهَا وَقَدْ أَمَرَ هِشَامٌ خَادِمًا لَهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ حَيْثُ لَا يَرَاهُ زَيْدٌ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ فَصَدَّعَ زَيْدٌ وَكَانَ بَادِنًا فَوَقَفَ فِي بَعْضِ الدَّرَجَةِ فَسَمِعَهُ الْخَادِمُ وَهُوَ يَقُولُ مَا أَحَبَّ الْحَيَاةَ إِلَّا مَنْ ذَلَّ فَأَخْبَرَ الْخَادِمُ هِشَامًا بِمَذَلِكِ فَلَمَّا قَعِدَ زَيْدٌ بَيْنَ يَدَيْ هِشَامٍ وَحَدَّثَهُ حَلْفَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ فَقَالَ هِشَامٌ لَا أَصِدِّقُكَ فَقَالَ زَيْدٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَزْفَعُ أَحَدًا عَنْ أَنْ يَرْضَى بِمَذَلِكِ مِنْهُ قَالَ لَهُ هِشَامٌ إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَذْكُرُ الْخِلَافَةَ وَتَتَمَنَّاهَا وَ لَسْتَ هُنَاكَ لِأَنَّكَ ابْنُ أُمِّهِ فَقَالَ زَيْدٌ إِنَّ لَكَ جَوَابًا قَالَ تَكَلَّمُ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَوْلَى بِاللَّهِ وَلَا أَرْفَعُ دَرَجَةً عِنْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ ابْتَعَنَهُ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ ابْنُ أُمِّهِ قَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِبُتُوْتِهِ وَ أَخْرَجَ مِنْهُ خَيْرَ الْبَشَرِ فَقَالَ هِشَامٌ فَمَا يَصْنَعُ أَخُوكَ الْبَقْرَةَ فَغَضِبَ زَيْدٌ حَتَّى كَادَ يَخْرُجُ مِنْ إِهَابِهِ ثُمَّ قَالَ سَمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ ص الْبَاقِرُ وَ تَسْمِيهِ أَنْتَ الْبَقْرَةَ لَشَدَّ مَا اخْتَلَفْتُمَا لِتَخَالِفْنَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا خَالَفْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَرِدُ الْجَنَّةَ وَ تَرِدُ النَّارَ .

فَقَالَ هِشَامٌ خُذُوا بِيَدِ هَذَا الْأَحْمَقِ الْمَائِقِ فَأَخْرِجُوهُ فَأَخَذَ الْغُلَمَانُ بِيَدِهِ فَأَقَامُوهُ فَقَالَ هِشَامٌ احْمِلُوا هَذَا الْخَائِنَ الْأَهْوَجَ إِلَى عَامِلِهِ فَقَالَ زَيْدٌ وَاللَّهِ لَئِنْ حَمَلْتَنِي إِلَيْهِ لَا أَجْتَمِعُ أَنَا وَ أَنْتَ حَيِّينِ وَ لَيَمُوتَنَّ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَأَخْرَجَ زَيْدٌ وَ أَشْخَصَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ مَعَهُ نَفَرٌ يُسَيِّرُونَهُ حَتَّى طَرَدُوهُ عَنْ حُدُودِ الشَّامِ فَلَمَّا فَارَقُوهُ عَمِدَلٌ إِلَى الْعِرَاقِ وَ دَخَلَ الْكُوفَةَ وَ بَايَعَ لِنَفْسِهِ فَأَعْطَاهُ الْبَيْعَةَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا وَ الْعَامِلُ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْعِرَاقِ يَوْمَئِذٍ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ فَكَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَرْبِ مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَ خَذَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ زَيْدًا وَ تَخَلَّفَ مَعَهُ مِمَّنْ تَابَعَهُ نَفَرٌ يُسَيِّرُ وَ أَبْلَى بِنَفْسِهِ بِلَاءً حَسِينًا وَ جِهَادًا عَظِيمًا حَتَّى أَتَاهُ سِيْهُمُ غَرْبٍ (١) فَأَصَابَ جَانِبَ جَبْهَتِهِ السِّيرَى فَتَبَّتْ فِي دِمَاعِهِ فَحِينَ نَزَعَ مِنْهُ مَاتَ ع

عنف محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ع زيدا لما خرج و حذره القتل و قال له إن أهل العراق خذلوا أباك عليا و حسنا و حسيناع و إنك مقتول و إنهم خاذلوك فلم يشن ذلك عزمه و تمثل بكرت تخوفنى الحتوف كأننى

ص: ٢٨٧

(١-١) سهم غرب، على الإضافة: لا يدري راميه.

العلوى البصرى صاحب الزنج يقول و إذا تنازعنى أقول لها قرى

و قال أيضا إنى و قومى فى أنساب قومهم

بعض الطالبين و إنا لتصبح أسيافنا

بعض الخوارج يصف أصحابه و هم الأسود لدى العرين بساله

٦٥٤

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ خُلِقَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الشَّجَاعَةَ وَ السَّخَاءَ.

كان بشر بن المعتمر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل على ع

ص: ٢٨٨

و يقول كان أشجعهم و أسخاهم و منه سرى القول بالتفضيل إلى أصحابنا البغداديين قاطبه و فى كثير من البصريين .

دخل النضر بن راشد العبدى على امرأته فى حرب الترك بخراسان فى ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرى فى خلافه هشام بن عبد الملك و الناس يقتلون فقال لها كيف تكونين إذا أتيت بى فى لبد قتيلًا مضرجا بالدماء فشقت جيها و دعت بالويل فقال حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا إلى الجنه ثم خرج فقاتل حتى قتل و حمل إلى امرأته فى لبد و دمه يقطر من خلاله.

قال أبو الطيب المتنبى إذا غامرت فى شرف مروم

و قال إذا لم تجد ما يبتى العمر قاعدا فقم و اطلب الشىء الذى يبتى العمرا (١).

و قال أهم بشىء و الليالى كأنها

ص: ٢٨٩

(١ - ١) ديوانه ١١٩:٤.

قيل لأبي مسلم فى أيام صباه نراك تنظر إلى السماء كثيرا كأنك تسترق السمع أو تنتظر نزول الوحي قال لا ولكن لى همه عاليه و نفس تتطلع إلى معالى الأمور مع عيش كعيش الهمج و الرعاع و حال متناهيه فى الاتضاع قيل فما الذى يشفى علتك و يروى غلتك قال الملك قيل فاطلب الملك قال إن الملك لا يطلب هكذا قيل فما تصنع و أنت تذوب حسرا (١) و تموت كمدا قال سأجعل بعض عقلى جهلا- و أطلب به ما لا يطلب إلا بالجهل و أحرس بالباقي ما لا يحرس إلا بالعقل فأعيش بين تدبير ضدين فإن الخمول أخو العدم و الشهره أخت الكون.

قال ابن حيوس أمواتهم بالذكر كالأحياء

و قال و هى الرئاسه لا تبوح بسرها

ص: ٢٩٠

(١-١) يقال حسر عليه حسرا و حسره، أى تلهف.

كان ثابت قطنه في خيل عبد الله بن بسطام في فتح شكند من بلاد الترك في أيام هشام بن عبد الملك فاشتدت شوكة الترك و انحاز كثير من المسلمين و استؤسر منهم خلق فقال ثابت و الله لا ينظر إلى بنو أمية غدا مشدودا في الحديد أطلب الفداء اللهم إنني كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلني ضيفك الليلة ثم حمل و حمل معه جماعه فكسرتهم الترك فرجع أصحابه و ثبت هو فرمى بردونه فشب و ضربه فأقدم فصرع ثابت و ارتث فقال اللهم إنك استجبت دعوتي و أنا الآن ضيفك فاجعل قرأى الجنه فنزل تركي فأجهز عليه.

قال يزيد بن المهلب لابنه خالد و قد أمره على جيش في حرب جرجان يا بني إن غلبت على الحياه فلا تغلبن على الموت و إياك أن أراك غدا عندي مهزوما.

٦٥٥

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى صَ الْخَيْرُ فِي السَّيْفِ وَ الْخَيْرُ مَعَ السَّيْفِ وَ الْخَيْرُ بِالسَّيْفِ.

كما يقال المنيه و لا الدنيه و النار و لا العار و لا الحيف.

قال سيف بن ذي يزن حين أعانه بوهرز الديلمي و من معه لأنوشروان أيها الملك أين تقع ثلاثه آلاف من خمسين ألفا فقال يا أعرابي كثير الحطب يكفيه قليل النار.

لما حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام خرج أبو العباس السفاح و أخوه أبو جعفر و عبد الوهاب و محمد ابنا إبراهيم الإمام و عيسى و صالح و إسماعيل و عبد الله و عبد الصمد أبناء علي بن عبد الله بن العباس و عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس و يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس من الحميمه من أرض السراه يطلبون الكوفه و قد كان داود بن علي بن عبد الله بن العباس و ابنه موسى بن داود بالعراق فخرجا يطلبان الشام فتلقاهما أبو العباس و أهل بيته بدومه الجندل فسألهم داود عن

ص: ٢٩١

خروجهم فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها و يدعوا إلى البيعه لأبى العباس فقال يا أبا العباس يظهر أمرك الآن بالكوفة و مروان بن محمّد شيخ بنى أمّيه بحران مطلق على العراق فى جيوش أهل الشام و الجزيره و يزيد بن عمر بن هبيرة شيخ العرب بالعراق فى فرسان العرب فقال يا عم من أحبّ الحياه ذلّ ثمّ تمثل بقول الأعشى فما ميته إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها (١).

فقال داود لابنه موسى صدق ابن عمك ارجع بنا معه فإما أن نهلك أو نموت كراما.

و كان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذا ذكر خروجهم من الحميمه يريدون الكوفه إن ثلاثه عشر رجلا خرجوا من ديارهم و أهليهم يطلبون ما طلبنا لعظيمه هممهم كبيره نفوسهم شديده قلوبهم.

أبو الطيب المتنبى

و إذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام (٢).

و له إلى أى حين أنت فى زى محرم

ص: ٢٩٢

١-١ ديوانه ١٢٥.

٢-٢ ديوانه ٣:٣٤٥.

و قال آخر إن تقتلونى فأجال الرجال كما

خطب الحجاج فشكا سوء ضاعه أهل العراق فقام إليه جامع المحاربى فقال أيها الأمير دع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك و التمس العافيه ممن دونك تعطاها ممن فوقك فلو أجبوك لأطاعوك إنهم ما شئتوك بنسبك و لا لبأوك و لكن لإيقاعك بعد وعيدك و وعيدك بعد وعدك.

فقال الحجاج ما أرانى أرد بنى اللكيعة (١) إلى طاعنى إلا بالسيف فقال جامع أيها الأمير إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج الخيار يومئذ لله فقال أجل و لكنك لا تدري لمن يجعله الله فقال يا هناه إيها فإنك من محارب فقال جامع و للحرب سمينا فكنا محاربا إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرًا.

و من الشعر الجيد فى تحسين الإباء و الحميه و التحريض على النهوض و الحرب و طلب الملك و الرئاسة قصيده عماره اليمنى شاعر المصريين فى فخر الدين تورانشاه بن أيوب التى يغريه فيها بالنهوض إلى اليمن و الاستيلاء على ملكها و صادفت هذه القصيده محلا قابلا و ملك تورانشاه اليمن بما هزت هذه القصيده من عطفه و حركت من عزمه و أولها

ص: ٢٩٣

١- ١) الكيعة: الأمة اللثيمه.

العلم مذ كان محتاج إلى العلم

ص: ٢٩٤

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته

كذب لم يظهر الدين الحنيف المقدس على الأديان بسعى البشر بل بالتأييد الإلهي و السر الرباني صلوات الله و سلامه على القائم به و المتحمل له و البدر يبدو هلالا ثم يكشف بالأنوار

و من أباه الضيم الذين اختاروا القتل على الأسر و الموت على الدنيه مصعب بن الزبير كان أمير العراقيين من قبل عبد الله بن الزبير و كان قد كسر جيوش عبد الملك مرارا و أعياه أمره فخرج إليه من الشام بنفسه فليم فى ذلك و قيل له إنك تغرر بنفسك و خلافتك فقال إنه لا يقوم لحرب مصعب غيرى هذا أمر يحتاج إلى أن يقوم به شجاع ذو رأى و ربما بعثت شجاعا و لا رأى له أو ذا رأى و لا شجاعه عنده و أنا بصير بالحرب شجاع بالسيف فلما أجمع على الخروج إلى حرب مصعب جاءته

ص: ٢٩٥

امراته عاتكه بنت يزيد بن معاويه فالترتمته و بكت لفراقه و بكى جواريتها حولها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي جمعه (١)
كأنه شاهد هذه الصورة حيث يقول إذا هم بالأعداء لم يثن عزمه

فسار عبد الملك حتى إذا كان بمسكن من أرض العراق و قد دنا منه عسكر مصعب تقاعد بمصعب أصحابه و قواده و خذلوه فقال لابنه عيسى الحق بمكّه فانج بنفسك و أخبر عمك عبد الله بما صنع أهل العراق بي و دعنى فإنى مقتول فقال لا تتحدث نساء قريش أنى فررت عنك و لكن أقاتل دونك حتى نقتل فالفرار عار و لا عار فى القتل ثم قاتل دونه حتى قتل و خف من يحامى عن مصعب من أهل العراق و أيقن بالقتل فأنفذ عبد الملك إليه أخاه محمد بن مروان فأعطاه الأمان و ولايه العراقين أبدا ما دام حيا و ألفى ألف درهم صله فأبى و قال إن مثلى لا ينصرف عن هذا المكان إلا غالبا أو مقتولا فشد عليه أهل الشام و رموه بالنبل فأثخنوه و طعنه زائده بن قيس بن قدامه السعدى و نادى يا لثارات المختار فوقع إلى الأرض فتزل إليه عبد الملك بن زياد بن ظبيان فاحتر رأسه و حمله إلى عبد الملك .لما حمل رأس مصعب إلى عبد الملك بكى و قال لقد كان أحبّ الناس إلى و أشدهم موده لى و لكن الملك عقيم.

كتب مصعب إلى سكينه بنت الحسين ع و كانت زوجته لما شخص إلى حرب عبد الملك و هى بالكوفه بعد ليال من فراقها و كان عزيزا إن أبيت و بيننا حجاب فقد أصبحت منى على عشر

ص: ٢٩٦

١-١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعه.

و أبكاهما و الله للعين فاعلمى

ثم أرسل إليها و أشخصها فشهدت معه حرب عبد الملك فدخل عليها يوم قتل و قد نزع ثيابه ثم لبس غلاله و توشح بثوب واحد و هو محتضن سيفه فعلمت أنه غير راجع فصاحت وا حزناه عليك يا مصعب فالتفت إليها و قال إن كل هذا فى قلبك قالت و ما أخفى أكثر قال لو كنت أعلم هذا لكان لى و لك شأن ثم خرج فلم يرجع.

فقال عبد الملك يوما لجلسائه من أشجع الناس فقالوا قطرى شبيب فلان و فلان قال عبد الملك بل رجل جمع بين سكينه بنت الحسين و عائشه بنت طلحه و أمه الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز و قلابه ابنه زبان بن أنيف الكلبي سيد العرب و ولى العراقين خمس سنين فأصاب كذا و كذا ألف درهم و أعطى الأمان على ذلك كله و على ولايته و ماله فأبى و مشى بسيفه إلى الموت حتى قتل ذاك مصعب بن الزبير لا من قطع الجسور مره هاهنا و مره هاهنا.

سئل سالم بن عبد الله بن عمر أى ابنى الزبير أشجع فقال كلاهما جاءه الموت و هو ينظر إليه.

لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك أنشد لقد أردى الفوارس يوم حسى

ص: ٢٩٧

كان ابن زبيان يقول ما ندمت على شيء ندمي على ألا أكون لما حملت إلى عبد الملك رأس مصعب فسجد قتلته في سجدته فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد.

قال رجل لعبد الله بن زبيان بما ذا تحتج عند الله عز وجل غدا وقد قتلت مصعبا قال إن تركت أحتج كنت أخطب من صعصعه بن صوحان .

كان مصعب لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن علي ع وكيف كان قتله فجعل عروه بن المغيرة يحدث عن ذلك فقال متمثلا بقول سليمان بن قتته و إن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا (١).

قال عروه فعلمت أن مصعبا لا يفر.

لما كان يوم السبخه و عسكر الحجاج بإزاء شبيب قال له الناس أيها الأمير لو تنحيت عن هذه السبخه فإنها منتنه الريح قال ما تنحونني و الله إليه أنتن و هل ترك مصعب لكريم مفرا ثم أنشد قول الكلجبه إذا المرء لم يغش الكريهه أو شكت حبال الهويني بالفتي أن تقطعا (٢).

٦٥٦

و روى أبو الفرج في كتاب الأغاني (٣) خطبه عبد الله بن الزبير في قتل مصعب بروايه هي أنتم مما ذكرناه نحن فيما تقدم قال لما أتى خبر المصعب إلى مكة أضرب عبد الله بن الزبير عن ذكره أياما حتى تحدث به جميع أهل مكة في الطريق ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم فنظر الناس إليه و إن الكآبه على وجهه لبديئه و إن

ص: ٢٩٨

١-١ (١) اللسان ٣٧:١٨.

٢-٢ (٢) المفضليات ٣٢.

٣-٣ (٣) الأغاني ١٧:١٦٦ (ساسى)، عيون الأخبار ٢:٢٤٠ مع اختلاف في الروايات.

جَبِينَهُ لِيُرْشِحَ عَرَقًا فَقَالَ وَاحِدٌ لآخر مَا لَهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَ تَرَاهُ يَهَابُ النُّطْقَ فَوَ اللّٰهُ إِنَّهُ لَخَطِيبٌ فَمَا تَرَاهُ يَهَابُ قَالَ أَرَاهُ يُرِيدُ أَنْ يَذْكَرَ قَتْلَ الْمُصَيَّبِ سَيِّدِ الْعَرَبِ فَهُوَ يَقْطَعُ بِذَلِكَ فَابْتَدَأَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ مَلِكُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَلَا إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا وَ لَا يُعِزُّ مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ وَ إِنْ كَانَ ذَا عَدَدٍ وَ كَثْرَةٍ ثُمَّ قَالَ أَنَا نَحْبُ مِنَ الْعِرَاقِ بَلَدِ الْعُدْرِ وَ الشَّقَاقِ فَسَاءَ نَا وَ سَيَّرْنَا أَنَا أَنَا أَنْ مُصَيَّبًا قُتِلَ رَحِمَهُ اللّٰهُ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَعْنَةً وَ لَوْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمُصَيَّبِ ثُمَّ يَرْعَوِي دُو الرِّأْيِ وَ الدِّينِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ وَ أَمَّا الَّذِي سَيَّرْنَا مِنْهُ فَإِنَّ قَتْلَهُ كَانَ لَهُ شَهَادَةٌ وَ إِنَّ اللّٰهَ جَاعِلٌ لَنَا وَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَةَ أَلَا إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ بَاعُوهُ بِأَقْلِ الْأَثْمَانِ وَ أَخْسِرِهَا وَ أَسْلَمُوهُ إِسْلَامَ النَّعَمِ الْمُخْطَمَةِ (١) فَقُتِلَ وَ إِنْ قُتِلَ لَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَ عَمُّهُ وَ أَخُوهُ (٢) وَ كَانُوا الْخِيَارَ الصَّالِحِينَ وَ أَنَا وَ اللّٰهُ مَا نَمُوتُ حَتَّى آتَانَا مَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا قَتْلًا وَ قَعْصًا (٣) قَعْصًا بَيْنَ قَصْدِ (٤) الرِّمَاحِ وَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ لَيْسَ كَمَا تَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ (٥) وَ اللّٰهُ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَ لَا إِسْلَامَ وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَ لَا يَبِيدُ مُلْكُهُ فَإِنْ تُقْبِلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لَا آخِذَهَا أَخَذَ اللَّيْمُ الْبَطْرَ وَ إِنْ تُدْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكِي عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرَفِ (٦) الْمُهْتَرِ ثُمَّ نَزَلَ.

ص: ٢٩٩

- ١-١) المخطمه، من قولهم خطم البعير بالخطام إذا جعله على أنفه، و الخطام: ما وضع على أنف البعير ليققاد به.
- ٢-٢) قتل أبوه عبد الله بن الزبير يوم الجمل، قتله عمرو بن جرموز في صلاته بوادي السباع. و عمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد، قتل يوم اليرموك و أخوه المنذر بن الزبير قتل يوم الحرة.
- ٣-٣) القصص: الموت السريع؛ و يقال: مات قعصاً؛ أي أصابته ضربه أو رميه فمات في مكانه.
- ٤-٤) القصده: القطعه ممّا يكسر، و جمعه قصد.
- ٥-٥) كذا في جميع الأصول، و يرى السيد جاسم أنها «بنو أبي العاص».
- ٦-٦) الخرف: من فسد عقله من الكبر، و كذلك المهتر.

و قال الطرماح بن حكيم و كان يرى رأى الخوارج و إنى لمقتاد جوادى فقاذف

قال ابن شبرمه مررت يوما فى بعض شوارع الكوفه فإذا بنعش حوله رجال و عليه مطرف خز أخضر فسألت عنه فقيل الطرماح فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له.

و قال محمّد بن هانى و لم أجد الإنسان إلا ابن سعيه

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى و من آخرته نفسه مات عاجزا و من قدمته نفسه مات سيّدا (١).

ص: ٣٠٠

١- (١) ديوانه ١٥٥ و الأغانى ١٢:٤٤، و الشعر و الشعراء ٥٧٠ و القود: نقيض السوق؛ فهو من أمام.

و له رحمه الله ما مقامى على الهوان و عندى

أبو الطيب المتنبي

تقولين ما فى الناس مثلك عاشق

ابن الهباريه الهمم عليه و المهج الأبيه تقرب المنيه منك أو الأمنيه.

أبو تمام

فتى النكبات من يأوى إذا ما

ص: ٣٠١

قلب العزم إن حاولت يوماً

وله أيضاً إن خيراً ممّا رأيت من الصّبح

وله أيضاً إن ترينى ترى حساماً صقيلاً أخذ هذا اللفظ أبو عباده البحترى فقال يا نديمى بالسواجير من شمس بن عمرو و بحتر
بن عتود (١)

ص: ٣٠٢

١- (١) ديوانه ٣٠٩:٢.

اطلبا ثالثا سواى فإنى

وقال الرضى رحمه الله تعالى و لم أر كالجاء اليوم شيئا

ص: ٣٠٣

قعد سليمان بن عبد الملك يعرض و يفرض فأقبل فتى من بنى عبس وسيم فأعجبه فقال ما اسمك قال سليمان قال ابن من قال ابن عبد الملك فأعرض عنه و جعل يفرض لمن دونه فعلم الفتى أنه كره موافقه اسمه و اسم أبيه فقال يا أمير المؤمنين لا عدمت اسمك و لا شقى اسم يوافق اسمك فافرض فإنما أنا سيف بيدك إن ضربت به قطعت و إن أمرتني أطعت و سهم فى كنانتك أشتد إن أرسلت و أنفذ حيث وجهت فقال له سليمان و هو يروزه (١) و يختبره ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا قال أقول حسبى الله و نعم الوكيل قال سليمان أ كنت مكتفيا بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد قال الفتى إنما سألتنى يا أمير المؤمنين ما أنت قائل فأخبرتكم و لو سألتنى ما أنت فاعل لأنباتك أنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يتعقف و لطعنت بالرمح حتى يتقصف و لعلمت إن ألت فإنهم يألمون و لرجوت من الله ما لا يرجون فأعجب سليمان به و ألحقه فى العطاء بالأشراف و تمثل إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن على أهله كلا فقد كمل الفتى.

السر تحت قوله ثم لم يكن على أهله كالا يقال في المثل لا تكن كالا على أهلك فتهلك.

عدى بن زيد

فهل من خالد إمّا هلكنّا

و هل بالموت يا للناس عار (١).

الرضى الموسوى رحمه الله تعالى إذا لم يكن إلا الحمام فإننى

ص: ٣٠٥

(١-١) شعراء النصرانية ٤٥٦.

رأى أن هذا السيف أهون محملاً

ص: ٣٠٤

و من أباه الضميم و مؤثرى الموت على الحياه الذليله محمد و إبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع لما أحاطت عساكر عيسى بن موسى بمحمد و هو بالمدينه قيل له أنج بنفسك فإن لك خيلا مضمرة (١) و نجائب سابقه (٢) فاقعد عليها و التحق بمكّه أو باليمن قال إنى إذا لعبد و خرج إلى الحرب يباشرها بنفسه و بمواليه فلما أمسى تلك الليله و أيقن بالقتل أشير عليه بالاستتار فقال إذن يستعرض عيسى أهل المدينه بالسيف فيكون [لهم]

يوم كيوم الحره لا و الله لا أحفظ نفسى بهلاك أهل المدينه بل أجعل دمي دون دمائهم فبذل له عيسى الأمان على نفسه و أهله و أمواله فأبى و نهد (٣) إلى الناس بسيفه لا يقاربه أحد إلا قتله لا و الله ما يبقى شيئا و إن أشبه خلق الله به فيما ذكر هو حمزه بن عبد المطلب و رمى بالسهم و دهمته الخيل فوقف إلى ناحيه جدار و تحاماه الناس فوجد الموت فتحامل على سيفه فكسره فالزيديه تزعم أنه كان سيف رسول الله ص ذا الفقار .

٦٥٧

وَ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصَيْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ مَقَالِ الطَّالِبِيِّنَ أَنَّ مُحَمَّدًا ع قَالَ لِأُخْتِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ فَإِنْ زَالَتِ الشَّمْسُ وَ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَإِنِّي مَقْتُولٌ وَ إِنْ زَالَتِ الشَّمْسُ وَ لَمْ تُمَطِّرِ السَّمَاءُ وَ هَبَّتِ الرِّيحُ فَإِنِّي أَظْفَرُ بِالْقَوْمِ فَأَجْجِي التَّنَائِيرَ وَ هَيَّبِي هَيْدَهُ الْكُتْبَ يَعْنِي كُتْبَ الْبَيْعَةِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ فَإِنْ زَالَتِ الشَّمْسُ وَ مَطَرَتِ السَّمَاءُ فَاطْرَحِي هَيْدَهُ الْكُتْبَ فِي التَّنَائِيرِ فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بَدَنِي

ص: ٣٠٧

-
- ١- ١) ضمير الخيل؛ إذا ربطها و أكثر ماءها و علفها حتى تسمن؛ ثم قلل ماءها و علفها مده؛ ثم ركضها في الميدان حتى تهزل؛ و مده التضمير عند العرب أربعون يوما.
 - ٢- ٢) الخيل السوابق: المجليه في الجرى.
 - ٣- ٣) يقال نهد لعدوه؛ إذ برز لقتاله و صمد له.

فَحُدُوهُ وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى رَأْسِي فَخُذُوا سَائِرَ بَدَنِي فَأَتُوا بِهِ ظِلَّةَ بَنِي بِلَيْتِهِ (١) عَلَى مِقْدَارِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ أَوْ خَمْسَةٍ مِنْهَا فَاحْفَرُوا لِي حَفِيرَةً وَادْفُنُونِي فِيهَا فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ وَقَتَ الزَّوَالِ وَقُتِلَ مُحَمَّدٌ عَ وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَشْهُورًا أَنَّ آيَةَ قَتْلِ النَّفْسِ الرَّكِيهِ أَنْ يَسِيلَ دَمٌ بِالْمِ يَدِينِهِ حَتَّى يَدْخُلَ بَيْتَ عَاتِكَةَ فَكَانُوا يَعْجَبُونَ كَيْفَ يَسِيلُ الدَّمُ حَتَّى يَدْخُلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَأَمَطَرَتِ السَّمَاءُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَ سَالَ الدَّمُ بِالْمَطَرِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ عَاتِكَةَ وَ أَخَذَ جَسَدَهُ فَحَفَرَ لَهُ حَفِيرَةً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُمْ فَوَقَعُوا عَلَى صِخْرِهِ فَأَخْرَجُوهَا فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ هَذَا قَبْرُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَ فَقَالَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ مُحَمَّدٍ عَ رَحِمَ اللَّهُ أَخِي كَمَا أَنْ أَعْلَمَ حَيْثُ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (٢) .

٦٥٨

وَ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ قَالَ قَدِمَ عَلَى الْمَنْصُورِ قَادِمٌ فَقَالَ هَرَبَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ لَهُ كَذَبْتَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لَا نَفِرُ.

٦٥٩

وَ أَمَّا إِبْرَاهِيمُ عَ فَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَنِ الْمَفْضَلِ بْنِ مُحَمَّدِ الضَّبِّيِّ قَالَ (٣) كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ مُتَوَارِيًا عِنْدِي بِالْبَصْرَةِ وَ كُنْتُ أَخْرُجُ وَ أَتْرُكُهُ فَقَالَ لِي إِذَا خَرَجْتَ ضَاقَ صِدْرِي فَأَخْرِجْ إِلَيَّ شَيْئًا مِنْ كُتُبِكَ أَتَفْرَجُ بِهِ فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ كُتُبًا مِنَ الشُّعْرِ فَأَخْتَارَ مِنْهَا الْفَصَائِدَ السَّبْعِينَ الَّتِي صَدَرَتْ بِهَا كِتَابُ الْمَفْضَلِيَّاتِ ثُمَّ أَتَمَمْتُ عَلَيْهَا بَاقِيَ الْكِتَابِ.

فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجْتُ مَعَهُ فَلَمَّا صَارَ بِالْمَرْيَدِ مَرْيَدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَّنَهُمْ وَ اسْتَسْقَى مَاءً فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صَبِيَانًا مِنْ صَبِيَانِهِمْ فَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ

ص: ٣٠٨

١-١) مقاتل الطالبين: «بنى نبيه».

٢-٢) مقاتل الطالبين ٢٧١، ٢٧٢.

٣-٣) ورد الخبر مختصراً في مقاتل الطالبين ٣٣٨، ٣٣٩.

وَقَالَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهِ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ لَحُمْنَا وَدَمْنَا وَلَكِنَّ آبَاءَهُمْ أَنْتَرُوا عَلَيَّ أَمْرَنَا وَابْتَزُّوا حُقُوقَنَا وَسَفَكُوا دِمَاءَنَا ثُمَّ تَمَثَّلَ مَهْلًا بِنِي
عَمَّنَا ظَلَامَتَنَا

فَقُلْتُ لَهُ مَا أَجُودَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَفْحَلَهَا فَلَمَنْ هِيَ فَقَالَ هَذِهِ يَقُولُهَا ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ يَوْمَ عَبْرِ الْخَنْدَقِ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ص
وَتَمَثَّلَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ صِفِّينَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ يَوْمِ الطَّفِّ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ السَّبْحَةِ وَيَحْيَى بْنُ زَيْدٍ يَوْمَ الْجَوْزَجَانِ
فَتَطَيَّرْتُ لَهُ مِنْ تَمَثُّلِهِ بِأَبْيَاتٍ لَمْ يَتَمَثَّلْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ ثُمَّ سَرَرْنَا إِلَى بِيَاخَمَرِي فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا أَتَاهُ نَعْيُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ فَتَعَبَّرَ لَوْنُهُ وَ
جَرَضَ بِرَيْقِهِ ثُمَّ أَجْهَشَ بَاكِيًا وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا خَرَجَ يَطْلُبُ مَرْضَاتِكَ وَيُؤْتِرُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَتِكَ الْعُلْيَا وَ
أَمْرَكَ الْمُتَّبِعَ الْمُطَاعَ فَاعْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَارْضَ عَنْهُ وَاجْعَلْ مَا نَقَلْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ خَيْرًا مِمَّا نَقَلْتَهُ عَنْهُ مِنَ الدُّنْيَا ثُمَّ انْفَجَرَ بَاكِيًا ثُمَّ
تَمَثَّلَ أَبَا الْمُنَازِلِ يَا خَيْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ

قَالَ الْمُفَضَّلُ فَجَعَلْتُ أُعْزِيهِ وَأُعَاتِبُهُ عَلَيَّ مَا ظَهَرَ مِنْ جَزَعِهِ فَقَالَ إِنِّي وَاللَّهِ فِي هَذَا كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمِّهِ

يَقُولُ أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى

قَالَ الْمَفْضَلُ ثُمَّ ظَهَرَتْ لَنَا جُيُوشُ أَبِي جَعْفَرٍ مِثْلَ الْجَرَادِ فَتَمَثَّلَ إِبْرَاهِيمُ ع قَوْلَهُ إِنَّ يَتَّقُلُونِي لَا تُصِبْ أَرْمَاحُهُمْ

فَقُلْتُ لَهُ مَنْ يَقُولُ هَذَا الشُّعْرَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ يَقُولُهُ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ يَوْمَ شِعْبِ (١) جَبَلَهُ وَ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي لَقِيتُ فِيهِ قَيْسُ تَمِيمًا قَالَ وَ أَقْبَلْتُ عَسَاكِرُ أَبِي جَعْفَرٍ فَطَعَنَ رَجُلًا وَ طَعَنَهُ آخَرَ فَقُلْتُ لَهُ أ تَبَاشَّرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِكَ وَ إِنَّمَا الْعَسْكَرُ مَنْوُطٌ بِكَ فَقَالَ إِلَيْكَ يَا أَخَا بَنِي ضَبَّةٍ فَإِنِّي لَكَمَا قَالَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي أَلَمْتُ سَعَادًا وَ إِمَامَهَا

ص: ٣١٠

(١-١) ديوان الحماسة- بشرح التبريزي ٢:٣٠٩ مع اختلاف في الرواية و عدد الأبيات.

وَإِنَّ لَنَا أَضْلَ جُرْثُومِهِ

وَالتَّحَمَّتِ الحَرْبُ وَاشْتَدَّتْ فَقَالَ يَا مُفَضَّلُ احْكِنِي بِشَيْءٍ فَذَكَرْتُ أَيْبَاتًا لِعُؤَيْفِ القَوَافِي لِمَا كَانَ ذَكَرَهُ هُوَ مِنْ شِعْرِهِ فَأَنْشَدْتُهُ أَلَا
أَيُّهَا النَّاهِي فزَارَهُ بَعْدَ مَا

فَقَالَ أَعِدْ وَتَبَيَّنْتُ مِنْ وَجْهِهِ أَنَّهُ يَسْتَقْتِلُ فانتَهبت [فَأَنْتَهَيْتُ]

وَ قُلْتُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ لَا بَلْ أَعِدِ الأَيْبَاتِ فَأَعَدْتُهَا فَتَمَطَّى فِي رِكَابَيْهِ فَقَطَعَهُمَا وَ حَمَلَ فَعَابَ عَنِّي وَ أَتَاهُ سِيَاهُ عَائِرٍ فَقَتَلَهُ وَ كَانَ
أَخِرُ عَهْدِي بِهِ ع.

قلت في هذا الخبر ما يحتاج إلى تفسير أما قوله (١) إن بنا سورة من الغلق.

فالغلق الضجر و ضيق الصدر و الحده يقال احتد فلان فنشب في حدته و غلق و السوره الوثوب يقال إن لغضبه لسوره و إنه لسوار
أى وثاب معربد و سوره الشراب و ثوبه فى الرأس و كذلك سوره السم و سوره السلطان سطوته و اعتداؤه.

و أمّا قوله لمثلكم نحمل السيوف فمعناه أن غيركم ليس بكفاء لنا لنحمل له السيوف و إنما نحملها لكم لأنكم أكفأؤنا فنحن
نحاربكم على الملك و الرئاسة و إن كانت أحسابنا واحده و هى شريفه لا مغمز فيها.

ص: ٣١١

١-١) ص ١٠٩.

و الرق بفتح الراء الضعف و منه قول الشاعر لم تلق في عظمها وهنا و لا رققا.

و قوله تكحل يوم الهياج بالعلق.

فالعلق الدم يريد أن عيونهم حمر لشده الغيظ و الغضب فكأنها كحلت بالدم.

و قوله لكن بنيت على الصبر أى خلقت و بنيت بنيه تقتضى الصبر و الشرف لأعلى العالى و بنو أبى بكر بن كلاب من قيس عيلان ثم أحد بنى عامر بن صعصعه. و أما قوله (١) إن يقتلونى لا تصب أرماحهم.

فمعناه أنهم إن قتلونى ثم حاولوا أن يصيبوا رجلا آخر مثلى يصلح أن يكون لى نظيرا و أن يجعل دمه بواء لدمى و سعوا فى ذلك سعيا جاهدا فإنهم لم يجدوا و لم يقدروا عليه.

و قوله أرمى الطريق...البيت يقول أسلك الطريق الضيق و لو جعل على فيه الرصد لقتلى.

و الحارد المنفرد فى شجاعته الذى لا مثل له

غلبه معاويه على الماء بصفين ثم غلبه على عليه بعد ذلك

فأما حديث الماء و غلب أصحاب معاويه على شريعه الفرات بصفين فنحن نذكره من كتاب صفين لنصر بن مزاحم .

٤٤٠

١- قَالَ نَصْرُ كَانَ (٢) أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ عَلَى مُقَدَّمِهِ مُعَاوِيَةَ وَ كَانَ قَدْ نَاوَشَ مُقَدَّمَهُ

ص: ٣١٢

١-١ (١) ص ٣١٠.

٢-٢ (٢) ص ١٧٥ و ما بعدها.

وَعَلَيْهَا الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ مُنَاوَشَهُ لَيْسَتْ بِالْعَظِيمَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا سَبَقَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَانصَرَفَ أَبُو الْأَعْوَرِ عَنِ الْحَرْبِ رَاجِعًا فَسَبَقَ إِلَى الْمَاءِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِقُنَاصِرِينَ (١) إِلَى جَانِبِ صَفِينِ وَ سَاقِ الْأَشْتَرِ يَتَّبِعُهُ فَوَحِيدَهُ غَالِبًا عَلَى الْمَاءِ وَ كَانَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ مُسْتَبَصِرِي (٢) أَهْلِ الْعِرَاقِ فَصَدَمُوا أبا الْأَعْوَرِ وَ أزالوه عَنِ الْمَاءِ فَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةَ فِي جَمِيعِ الْفَيْلِقِ بِقَضِيهِ وَ قَضِيهِ فَلَمَّا رَأَهُمُ الْأَشْتَرُ انْحَارَ إِلَى عَلِيٍّ ع وَ غَلَبَ مُعَاوِيَةَ وَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الْمَاءِ وَ حَالُوا بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ بَيْنَهُ وَ أَقْبَلَ عَلِيٌّ ع فِي جُمُوعِهِ فَطَلَبَ مَوْضِعًا لِعَسِيكَرِهِ وَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَضَعُوا أَثْقَالَهُمْ وَ هُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ فَلَمَّا نَزَلُوا تَسَرَّعَ فَوَارِسُ مِنْ فَوَارِسِ عَلِيٍّ ع عَلَى خِيُولِهِمْ إِلَى جِهَةِ مُعَاوِيَةَ يَتَطَاعَنُونَ وَ يَزْمُونَ بِالسَّهَامِ وَ مُعَاوِيَةُ بَعِيدٌ لَمْ يَنْزِلْ فَنَاوَشَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ الْقِتَالَ فَاقْتُلُوا هَوِيًّا .

١- قَالَ نَصْرُ فَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ بُنَابَةَ فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَلِيٍّ ع عَافَانَا اللَّهُ وَ إِيَّاكَ مَا أَحْسَنَ الْعَدْلَ وَ الْإِنصَافَ مِنْ عَمَلٍ وَ أَقْبَحَ الطَّيْشِ ثُمَّ النَّفْسِ فِي الرَّجُلِ .

وَ كَتَبَ بَعْدَهُ إِرْبَطُ حِمَارِكَ لَا تَنْزِعْ سَوِيَّتَهُ

١-١) قناصيرين: موضع بالشام. (القاموس).

٢-٢) صفين: «متبصرى أهل العراق».

فَأَمَرَ عَلِيٌّ عَ أَنْ يُوزَعَ (١) النَّاسَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّىٰ أَخَذَ أَهْلُ الشَّامِ مَصِيَّةَ أَفْهَمُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا مَوْقِفٌ مَنْ نَطَفَ (٢) فِيهِ نَطَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ فَلَمِحَ فِيهِ فَلَمِحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ قَالَ لَمَّا رَأَى نُزُولَ مُعَاوِيَةَ بِصَفِّينَ لَقَدْ أَتَانَا كَاثِرًا عَنْ نَابِهِ يَهْمَطُ النَّاسَ عَلَيَّ اعْتِرَابِهِ (٣) فَلْيَأْتِنَا الدَّهْرُ بِمَا أَتَىٰ بِهِ قَالَ نَصْرٌ وَكَتَبَ عَلِيٌّ عَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ جَوَابَ كِتَابِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلْحَرْبِ عُرَامًا شَرًّا

وَكَتَبَ بَعْدَهُ أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ قَالَ قَدْ تَرَجَعَ النَّاسُ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَىٰ مُعَسِدِ كَرِهَمُ وَذَهَبَ شَبَابٌ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقُوا فَمَنَعَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ

قلت في هذه الألفاظ ما ينبغي أن يشرح.

ص: ٣١٤

١-١) يوزع الناس: يكفون. و في صفين: «فوزعوا عن القتال حتى تأخذ أهل المصاف مصافهم».

٢-٢) نطف: اتهم بريبه.

٣-٣) يهبط الناس: يقهرهم.

قوله فاقتتلوا هويًا بفتح الهاء أى قطعه من الزمان و ذهب هوى من الليل أى فريق منه.

و النفس كثره الكلام و الدعوى و أصله من نفس الصوف.

و السويه كساء محشو بتمام و نحوه كالبردعه و كرب القيد إذا ضيقه على المقيد و قيد مكروب أى ضيق يقول لا تنزع بردعه حمارك عنه و اربطه و قيده و إلا أعيد إليك و قيده ضيق و هذا مثل ضربه لعلى ع يأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرع و العجلة فى الحرب.

و زيد المذكور فى الشعر هو زيد بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبه بن أد بن طابخه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و هو المعروف بزيد الخيل و كان فارسهم و بنو السيد من ضبه أيضا و هم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبه بن أد بن طابخه... إلى آخر النسب و بنو السيد بنو عم زيد الفوارس لأنه من بنى ذهل بن مالك و هؤلاء بنو السيد بن مالك و بينهم عداوة النسب يقول إن بنى السيد لا يرون زيدا فى نفوسهم كما تراه أهله الأذنون منه نسبا و هم بنو كوز و بنو مرهوب فأما بنو كوز فإنهم بنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك و أما بنو مرهوب فإنهم بنو مرهوب بن عبيد بن هاجر بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك يقول نحن لا نعظم زيدا و لا نعتقد فيه من الفضيله ما يعتقده أهله و بنو عمه الأذنون و المثل لعلى ع أى نحن لا نرى فى على ما يراه أهل العراق من تعظيمه و تبجيله.

و قوله و الدرع محقبه و السيف مقروب.

أى و الدرع بحالها فى حقابها و هو ما يشد به فى غلافها و السيف بحاله أى فى قرابه

و هو جفنه يقال حقبت الدرع و قربت السيف كلاهما ثلاثيان يقول إن سألتهم الحق أعطيناكموه من غير حاجه إلى الحرب بل نجيبكم إليه و الدروع بحالها لم تلبس و السيوف في أجفانها لم تشهر.

و أمّا إثبات النون في تأنفون فإن الأصوب حذفها لعطف الكلمه على المجزوم قبلها و لكنه استأنف و لم يعطف كأنه قال أ و كنتم تأنفون يقول و إن أنفتم و أبيتم إلا الحرب فإننا نأنف مثلكم أيضا لا نطعم الضيم و لا نقبله ثم قال إن السم مشروب أى إن السم قد نشربه و لا نشرب الضيم أى نختر الموت على الضيم و الذله و يروى و إن أنفتم فإننا معشر أنف لا نطعم الضيم إن الضيم مرهوب.

و الشعر لعبد الله بن عنمه الضبى من بنى السيد و من جملته و قد أروح أمام الحى يقدمنى

فأما قوله ع هذا موقف من نطف فيه نطف يوم القيامة أى من تلطخ

فيه بعب من فرار أو نكول عن العدو يقال نطف فلان بالكسر إذا تدنس بعب و نطف أيضا إذا فسد يقول من فسدت حاله اليوم فى هذا الجهاد فسدت حاله غدا عند الله.

قوله من فلج فيه بفتح اللام أى من ظهر و فاز و كذلك يكون غدا عند الله يقال فلج زيد على خصمه بالفتح يفلج بضم اللام أى ظهرت حجته عليه و فى المثل من يأت الحكم وحده يفلج.

قوله يهبط الناس أى يقهرهم و يخبطهم و أصله الأخذ بغير تقدير.

و قوله على اعتزابه أى على بعده عن الإمارة و الولاية على الناس و العرام بالضم الشراسه و الهوج و العشنزر الشديد القوى.

و أحجر ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أو بيوتهم و تنمر أى تنكر حتى صار كالنمر يقول هذا القائد الشديد القوى ينصف من يظلم الناس و يتنكر لهم أى ينصف منه فحذف حرف الجر كقوله و اختار موسى قومه أى من قومه و المزج بكسر الميم السريع النفوذ و أصله الرمح القصير كالمزراق.

و رجل زمجر أى مانع حوزته و الميم زائده و من رواها زمخرا بالخاء عنى به المرتفع العالى الشأن و جعل الميم زائده أيضا من زخر الوادى أى علا و ارتفع.

و غشم السيل أقبل و الغشمه إثبات الأمر بغير تثبيت يقول إذا أبطان ساقهن سوقا عنيفا.

و الأبيات البائية لربيعة بن مقروم الطائى .

٤٤٢

١- قَالَ نَصْرٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ بْنِ

ص: ٣١٧

الْأَحْمَرِ قَالَ لَمَّا (١) قَدِمْنَا عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ أَهْلِ الشَّامِ بِصَفَيْنَ وَجَدْنَاَهُمْ قَدْ نَزَلُوا مَنَزِلًا اخْتَارُوهُ مُسْتَتَوِيًّا بِسَاطًا وَاسِعًا وَ أَخَذُوا الشَّرِيْعَةَ فَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ قَدْ صَفَّ عَلَيْنَهَا أَبُو الْأَعْوَرِ الْخَيْلَ وَ الرَّجَالَ وَ قَدَّمَ الرَّامِيَةَ وَ مَعَهُمْ أَصْحَابُ الرَّمَاحِ وَ الدَّرَقِ وَ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْبَيْضُ وَ قَدْ أَجْمَعُوا أَنْ يَمْنَعُونَا الْمَاءَ فَفَزَعْنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَأَخْبَرَنَا بِبِذَلِكَ فَدَعَا صَعْبَةَ عَنْهُ بَنُ صُوحَانَ فَقَالَ أَتَيْتَ مُعَاوِيَةَ وَ قُلْ لَهُ إِنَّا سَبَرْنَا إِلَيْكَ مَسِيرَنَا هَذَا وَ أَنَا كَرِهٌ لِقِتَالِكُمْ (٢) قَبْلَ الْإِعْذَارِ إِلَيْكُمْ وَ إِنَّكَ قَدِمْتَ خَيْلَكَ فَقَاتَلْتَنَا قَبْلَ أَنْ نُقَاتِلَكَ وَ بَدَأْتَنَا بِالْحَرْبِ وَ نَحْنُ مِمَّنْ رَأَيْنَا الْكَفَّ حَتَّى نَدْعُوكَ وَ نَحْتِجُّ عَلَيْكَ وَ هَذِهِ أُخْرَى قَدْ فَعَلْتُمُوهَا قَدْ حُلْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَخَلَّ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ حَتَّى نَنْظُرَ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ وَ فِيمَا قَدِمْنَا لَهُ وَ قَدِمْتُمْ لَهُ وَ إِنْ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ نَدَعَ مَا جِئْنَا لَهُ وَ نَدَعَ النَّاسَ يَقْتُلُونَ حَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ هُوَ الشَّارِبُ فَعَلْنَا.

فَلَمَّا مَضَى صَعْبَةَ عَنْهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَصْحَابِهِ مَا تَرَوْنَ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ امْنَعُهُمُ الْمَاءَ كَمَا مَنَعُوهُ ابْنَ عَفَانَ حَصْرُوهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَمْنَعُونَهُ بَرْدَ الْمَاءِ وَ لِيَنَّ الطَّعَامَ اقْتُلُهُمْ عَطَشًا قَتَلَهُمُ اللَّهُ.

وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حَلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْطِشُوا وَ أَنْتَ رِيَانٌ وَ لَكِنْ لِعَنِيرِ الْمَاءِ فَانْظُرْ فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ.

فَأَعَادَ الْوَلِيدُ مَقَالَتَهُ.

وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَيْرٍ وَ كَانَ أَحَا عَثْمَانَ مِنَ الرِّضَاعَةِ امْنَعُهُمُ الْمَاءَ إِلَى اللَّيْلِ فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَقْسِدُوا عَلَيْهِ رَجَعُوا وَ كَانَ رُجُوعُهُمْ هَزِيمَتَهُمْ امْنَعُهُمُ الْمَاءَ مَنَعُهُمْ

ص: ٣١٨

١-١) كتاب صفين للمنقرى ١٨٠، ١٧٩.

٢-٢) صفين: «و أنا أكره قتالكم».

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ صَعَصَيْعَهُ بْنُ صُوحَانَ إِنَّمَا يَمْنَعُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْفَجْرَةَ الْكَفْرَةَ شَرِبَهُ الْخَمْرَ ضَرْبَكَ وَ ضَرْبَ (١) هَذَا الْفَاسِقِ
يَعْنِي الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ. فَتَوَاتَبُوا إِلَيْهِ يَشْتُمُونَهُ وَيَتَهَدَّدُونَهُ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ كُفُّوا عَنِ الرَّجُلِ فَإِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْفِ بْنِ أَحْمَرَ إِنَّ صَعَصَيْعَةَ لَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا حَدَّثَنَا بِمَا قَالَ مُعَاوِيَةَ وَ مَا كَانَ مِنْهُ وَ مَا رَدَّهُ عَلَيْهِ قُلْنَا وَ مَا الَّذِي رَدَّهُ
عَلَيْكَ مُعَاوِيَةُ قَالَ لَمَّا أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ مَا تَرُدُّ عَلَيَّ قَالَ سَيَأْتِيكُمْ رَأْيِي قَالَ فَوَ اللَّهُ مَا رَاعَنَا إِلَّا تَسْوِيَةَ الرَّجَالِ وَ
الصُّفُوفِ وَ الْخَيْلِ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي الْأَعْوَرِ أَمْنَعُهُمُ الْمَاءَ فَارْذَلْنَا وَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فَارْتَمَيْنَا وَ أَطَعْنَا بِالرِّمَاحِ وَ اضْطَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ فَطَالَ
ذَلِكَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ حَتَّى صَارَ الْمَاءُ فِي أَيْدِينَا فَقُلْنَا لَا وَ اللَّهُ لَا نَسْقِيهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا عَلِيُّ عَ أَنْ خُذُوا مِنَ الْمَاءِ حَاجَتَكُمْ وَ ارْجِعُوا
إِلَى مُعَسْكَرِكُمْ وَ خَلُّوا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ بِظُلْمِهِمْ وَ بَغْيِهِمْ

٤٤٣

١- وَ رَوَى نَضِيرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَامَ (٢) ذَلِكَ الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ السُّكُونِ يُعْرَفُ بِالسَّلِيلِ بْنِ عُمَرَ إِلَى
مُعَاوِيَةَ فَقَالَ إِسْمَعِ الْيَوْمَ مَا يَقُولُ السَّلِيلُ (٣)

ص: ٣١٩

١- ١) ضربك، أى مثلك.

٢- ٢) صفين ١٨١.

٣- ٣) صفين: «السلي».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَمَا أَنْتَ فَتَدْرِي مَا تَقُولُ وَ هُوَ الرَّأْيُ وَ لَكِنَّ عَمْرًا لَا يَدْرِي فَقَالَ عَمْرُو خَلَّ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَإِنَّ عَلَيْنَا لَمْ يَكُنْ لِيُظْمَأَ وَ أَنْتَ رِيَانٌ وَ فِي يَدِهِ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ وَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْفَرَاتِ حَتَّى يَشْرَبَ أَوْ يَمُوتَ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الشُّجَاعَ الْمُطْرِقُ [وَ مَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَ أَهْلُ الْحِجَازِ]

(١) وَ قَدْ سَمِعْتُهُ أَنَا مِرَارًا وَ هُوَ يَقُولُ لَوْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا (٢) يَغْنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ (٣)

١- وَ رَوَى نَصْرٌ قَالَ (٤) لَمَّا غَلَبَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْفَرَاتِ فَرِحُوا بِالْغَلَبَةِ وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ يَا أَهْلَ الشَّامِ هَذَا وَ اللَّهُ أَوَّلُ الظَّفَرِ لَا سِيْقَانِي اللَّهُ وَ لَا أَبَا سَيْفِيَانَ أَنْ شَرِبُوا مِنْهُ أَبَدًا حَتَّى يُقْتَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَيْهِ وَ تَبَاشَرَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَامَ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ هَمْدَانِيُّ نَاسِكٌ يَتَأَلَّهُ وَ يُكثِرُ الْعِبَادَةَ يُعْرِفُ بِمَعْرَى بْنِ أَقْبَلٍ وَ كَانَ صَدِيقًا لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَ أَخَاهُ لَهُ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ لِأَنَّ سَبَقْتُمْ الْقَوْمَ إِلَى الْفَرَاتِ فَغَلَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ تَمَنَعُواهُمْ الْمِيَاءَ أَمِيًا وَ اللَّهُ لَوْ سَبَقَكُمْ إِلَيْهِ لَسَبَقَكُمْ مِنْهُ أَلَيْسَ أَعْظَمَ مَا تَتِيَالُونَ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ تَمَنَعُواهُمْ الْفَرَاتِ فَيَنْزِلُوا عَلَى فُرْضِهِ أُخْرَى وَ يَحْجِزُواكُمْ بِمَا صَيَّنْتُمْ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِمُ الْعَبِيدَ وَ الْأَمَةَ وَ الْأَجِيرَ وَ الضَّعِيفَ وَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ هَذَا وَ اللَّهُ أَوَّلُ الْجَوْرِ لَقَدْ شَجَّعَتِ الْجَبَانَ وَ نَصَرَتِ الْمُرْتَابَ وَ حَمَلَتِ مَنْ لَا يُرِيدُ قِتَالَكَ عَلَى كِتْفَيْكَ فَأَغْلَظَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَ قَالَ لِعَمْرُو اكْفِنِي صَدِيقَكَ فَأَتَاهُ عَمْرُو فَأَغْلَظَ لَهُ فَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي ذَلِكَ شِعْرًا لِعَمْرِ أَبِي مُعَاوِيَةَ بِنُ حَرْبٍ وَ عَمْرُو مَا لِدَائِمِهَا دَوَاءٌ

١- ١) تكمله من صفين.

٢- ٢) في صفين: «فذكر أمرا؛ يعني لو أن معي أربعين رجلا يوم فتش البيت-يعني بيت فاطمه».

٣- ٢) في صفين: «فذكر أمرا؛ يعني لو أن معي أربعين رجلا يوم فتش البيت-يعني بيت فاطمه».

سَوَى طَعْنٍ يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهِ

قَالَ ثُمَّ سَارَ الْهَمْدَانِيُّ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى لَحِقَ بِعَلِيٍّ ع .

قَالَ (١) وَ مَكَثَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ع بِغَيْرِ مَاءٍ وَ اعْتَمَّ عَلِيٌّ ع بِمَا فِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ

٦٦٥

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ لَمَّا اعْتَمَّ عَلِيٌّ بِمَا فِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنَ الْعَطَشِ خَرَجَ لَيْلًا قَبْلَ رَايَاتِ
مَذْحِجٍ فَإِذَا رَجُلٌ يُنْشِدُ شِعْرًا أَيْمَنَعُنَا الْقَوْمُ مَاءَ الْفُرَاتِ

ص: ٣٢١

(١-١) صفين: «كل أمر».

وَ فِينَا عَلَيَّ لَهُ سَوْرَةٌ

قَالَ فَحَرَّكَ ذَلِكَ عَلِيًّا ثُمَّ مَضَى إِلَى رَايَاتِ كِنْدَةَ فَإِذَا إِنْسَانٌ يُنْشِدُ إِلَى جَانِبِ مَنْزِلِ الْأَشْعَثِ وَ هُوَ يَقُولُ لَيْنَ لَمْ يُجَلِّ الْأَشْعَثُ
الْيَوْمَ كُذِبَهُ

ص: ٣٢٢

فَمَنْ ذَا الَّذِي تُثْنِي الْخَنَاصِرُ بِاسْمِهِ

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ الْأَشْعَثُ قَوْلَ الرَّجُلِ قَامَ فَأَتَى عَلِيًّا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْمَنَعْنَا الْقَوْمَ مَاءَ الْفِرَاتِ وَأَنْتَ فِينَا وَالسُّيُوفُ فِي أَيْدِينَا حَلٌّ عَنَّا وَعَنِ الْقَوْمِ فَوَاللَّهِ لَا نَزُجِعُ حَتَّى تَرُدَّهُ أَوْ نَمُوتَ وَمِرَّ الْأَشْتَرِ فَلْيُعَلِّ بِخَيْلِهِ وَيَقِفْ حَيْثُ تَأْمُرُهُ فَقَالَ عَلِيُّ ع ذَلِكَ إِلَيْكُمْ .

فَرَجَعَ الْأَشْعَثُ فَنَادَى فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاءَ أَوْ الْمَوْتَ فَمِيعَاذُهُ مَوْضِعُ كَذَا فَإِنِّي نَاهِضٌ فَأَتَاهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ كِنْدَةَ وَأَفْنَاءَ قَحْطَانَ وَأَضْعَى سُيُوفِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ فَشَدَّ عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُ (١) وَنَهَضَ بِهِمْ حَتَّى كَادَ يُخَالِطُ أَهْلَ الشَّامِ وَجَعَلَ يُلْقِي رُمْحَهُ وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ بِأَبِي وَ أُمِّي أَنْتُمْ تَقْدَمُوا إِلَيْهِمْ قَابَ رُمْحِي (٢) هَذَا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابُّهُ حَتَّى خَالَطَ الْقَوْمَ وَحَسِرَ عَنْ رَأْسِهِ وَ نَادَى أَنَا الْأَشْعَثُ بِنِ قَيْسِ حُلُوا عَنِ الْمَاءِ فَنَادَى أَبُو الْأَعْوَرِ [أَمَا]

(٣) وَاللَّهِ حَتَّى لَا تَأْخُذَنَا وَإِيَّاكُمْ السُّيُوفُ فَقَالَ الْأَشْعَثُ

ص: ٣٢٣

١- ١) صفيين: «عطاشا و العدو يصوت».

٢- ٢) السنخ: الأصل، و في صفيين: «من غصنه».

٣- ٣) صفيين: و شد عليه سلاحه، و هو يقول: ميعادنا اليوم بياض الصيبح هل يصلح الزاد بغير ملح! لا لا، و لا أمر بغير نصح دبوا إلى القوم بطعن سمح مثل العزالي بطعان نفع لا صلح للقوم، و أين صلحي! *حسبي من الإفحام قاب رمح*.

قَدْ وَاللَّهِ أَظُنُّهَا دَنْتَ مِنَّا وَ مِنْكُمْ وَ كَدَانَ الْأَشْتَرُ قَدْ تَعَالَى بِخَيْلِهِ حَيْثُ أَمَرَهُ عَلِيُّ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَشْعَثَ أَقْحَمَ الْخَيْلَ فَأَقْحَمَهَا حَتَّى
وَضَعَتْ سَنَابِكَهَا فِي الْفُرَاتِ وَ أَخَذَتْ أَهْلَ الشَّامِ السُّيُوفَ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ

٦٦٦

١- قَالَ نَضِيرٌ (١) وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ فَنَادَى الْأَشْعَثُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ
وَيَحْيَاكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ خَلَّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْمَاءِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَتَأْخُذَنَا وَ إِيَّاكُمْ السُّيُوفُ فَقَالَ عَمْرُو وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي عَنْهُ حَتَّى
تَأْخُذَنَا السُّيُوفُ وَ إِيَّاكُمْ فَيَعْلَمَ رَبُّنَا أَنَّنَا أَصْبَرُ الْيَوْمَ فَتَرَجَّلَ الْأَشْعَثُ وَ الْأَشْتَرُ وَ ذَوُو الْبَصَائِرِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع وَ تَرَجَّلَ مَعَهُمَا اثْنَا
عَشَرَ أَلْفًا فَحَمَلُوا عَلِيَّ عَمْرُو وَ أَبِي الْأَعْوَرِ وَ مَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَزَالُوهُمْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى غَمَسَتْ خَيْلُ عَلِيٍّ ع سَنَابِكَهَا فِي
الْمَاءِ.

قَالَ نَضِيرٌ فَرَوَى عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ أَنَّ عَلِيًّا ع قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمَ هَذَا يَوْمَ نَصَرْتُمْ فِيهِ بِالْحَمِيَّةِ (٢)

٦٦٧

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ (٣) سَمِعْتُ تَمِيمًا النَّاجِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْأَشْعَثَ يَقُولُ حَالَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ بَيْنَنَا
وَ بَيْنَ الْفُرَاتِ فَقُلْتُ لَهُ وَيَحْيَاكَ يَا عَمْرُو أَمِيَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَمَأْظُنُّ لَكَ رَأْيًا فَمَاذَا أَنْتَ لَا عَقْلَ لَكَ أَ تَرَانَا نُخَلِّيكَ وَ الْمَاءَ تَرَبَّتْ
يَدَاكَ (٤) أَمِيَا عَلِمْتُ أَنَّا مَعَشَرٌ عَرَبٍ تُكَلِّتِيكَ أُمَّكَ وَ هَبَلْتِيكَ لَقَدْ رُمْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَقَالَ لِي عَمْرُو أَمَا وَاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ الْيَوْمَ أَنَّا
سَنَفِي بِالْعَهْدِ وَ نَحْكُمُ الْعَقْدَ وَ نَلْقَاكُمْ

ص: ٣٢٤

١-١ (١) صفين ١٨٧.

٢-٢ (٢) صفين ١٨٧.

٣-٣ (٣) صفين ١٨٩، ١٩٠.

٤-٤ (٤) صفين: «يُداك و فمك».

بَصِيرٍ وَحَيْدٌ فَنَادَى بِهِ الْأَشْتَرُ يَا ابْنَ الْعَاصِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلْنَا هَذِهِ الْفُرْضَةَ وَإِنَّا لَنُرِيدُ الْقِتَالَ عَلَى الْبَصَائِرِ وَالدِّينِ وَ مَا قِتَالُنَا سَائِرِ
الْيَوْمِ إِلَّا حَمِيَّةً.

ثُمَّ كَبَّرَ الْأَشْتَرُ وَكَبَّرْنَا مَعَهُ وَحَمَلْنَا فَمَا تَارَ الْعُبَارُ حَتَّى انْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ .

قَالُوا فَاقْبَلِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بَعْدَ انْقِضَاءِ صَفِينِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ لَهُ يَا أَحَا كِنْدَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْصَرْتُ صَوَابَ قَوْلِكَ يَوْمَ الْمَاءِ وَ لَكِن
كُنْتُ مَقْهُورًا عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ فَكَابَرْتُكَ بِالتَّهْدِيدِ وَ الْوَعِيدِ وَ الْحَرْبِ خُدْعَةً.

قَالَ نَضِيرٌ وَ لَقَدْ كَانَ مِنْ رَأْيِ عَمْرٍو التَّخْلِيَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ الْمَاءِ وَ رَجَعَ مُعَاوِيَةَ بِأَخْرِهِ إِلَى قَوْلِهِ بَعِيدَ اخْتِلَاطِ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ
فَإِنَّ عَمْرًا فِيمَا رُوِينَا أَرْسَلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ خَلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ أَ تَرَى الْقَوْمَ يَمُوتُونَ عَطَشًا وَ هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْمَاءِ فَارْسِلْ
مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ أَسَدِ الْقَسِيرِيِّ أَنْ خَلَّ بَيْنَ الْقَوْمِ وَ بَيْنَ الْمَاءِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ يَزِيدُ وَ كَانَ شَدِيدَ الْعُتْمَانِيَّةِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَنَقْتَلَنَّهُمْ
عَطَشًا كَمَا قَتَلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ فَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَطَبَ عَلِيٌّ ع يَوْمَ الْمَاءِ فَقَالَ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ وَ فَاتَحَوْكُمْ بِالْبَغْيِ وَ
اسْتَفْبَلَوْكُمْ بِالْعُدْوَانِ وَ قَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ حَيْثُ مَنَعَوْكُمْ الْمَاءَ فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَ تَأْخِيرِ مُهْلَةٍ .

..الْفَضْلَ إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ نَضِيرٌ وَ كَانَ (١) قَدْ بَلَغَ أَهْلَ الشَّامِ أَنَّ عَلِيًّا ع جَعَلَ لِلنَّاسِ إِنْ فَتِحَ الشَّامُ أَنْ يَتَقَسَمَ بَيْنَهُمُ التَّبَرُّ وَ الذَّهَبَ وَ هُمَا الْأَحْمَرَانِ وَ أَنْ
يُعْطَى كُلًّا مِنْهُنَّ خَمْسِمِائَةٍ كَمَا أَعْطَاهُمْ بِالْبُصْرَةِ فَنَادَى ذَلِكَ الْيَوْمَ مُنَادِي أَهْلِ الشَّامِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ لِمَاذَا نَزَلْتُمْ بَعَجَاجٍ

ص: ٣٢٥

مِنَ الْأَرْضِ نَحْنُ أَزْدٌ شَوْءَةٌ لَا أَزْدُ عُمَانَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ لَا خَمْسَ إِلَّا جَنْدَلُ الْأَحْرِيِّينَ (١) وَالْخَمْسُ قَدْ تَجَشَّمَكِ الْأَمْرَيْنِ (٢)

١- قَالَ نَضِيرٌ فَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلِ السُّدِّيِّ عَنْ بَكْرِ بْنِ تَعْلَبَ قَالَ حَدَّثَنِي (٣) مَنْ سَمِعَ الْأَشْعَثَ يَوْمَ الْفَرَاتِ وَقَدْ كَانَ لَهُ غِنَاءٌ عَظِيمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَقَتِلَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَكَارِهًا قِتَالَ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَلَكِنْ مَعِيَ مَنْ هُوَ أَقْدَمُ مِنِّي فِي الْإِسْلَامِ وَاعْلَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ الَّذِي يُسَخِّي بِنَفْسِهِ.

ص: ٣٢٦

١- ١) لا خمس، أراد لا خمسمائه. و الجندل: الحجارة و الأحرين: جمع حره، و هى الحجارة السوداء.

٢- ٢) الأمرين: الشر و الأمر العظيم، و فى اللسان (٥: ٢٥٢) بعد شرح كلمه «الأحرين»: أنشد ثعلب لزيد بن عتاهيه التميمي، و كان زيد المذكور لما عظم البلاء بصفين قد انهزم و لحق بالكوفه، و كان على رضى الله عنه قد أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائه من بيت مال البصره، فلما قدم زيد على أهله قالت له ابنته: أين خمس المائه؟ فقال: إنَّ أباك فرَّ يوم صفين لما رأى عكاً و الأشعريين و قيس عيلان الهوازنيين و ابن نمير فى سراة الكنديين و ذا الكلاع سيد اليمانيين و حابسا يستنّ فى الطائيين قال لنفس السوء: هل تفرين؟ لا خمس إلا جندل الأحرين و الخمس قد جشمتك الأمرين جمزا إلى الكوفه من قنسرين و يروى: «قد تجشمك»، و «قد يجشمك». و قال ابن سيده: معنى «لا خمس» ما ورد فى حديث صفين أن معاويه زاد أصحابه يوم صفين خمسمائه، فلما التقوا بعد ذلك قال أصحاب على رضى الله عنه: *لا خمس إلا جندل الأحرين* أرادوا: لا خمسمائه.

٣- ٣) صفين ١٩١-١٩٢.

قَالَ نَضْرُ وَ حَمَلَ (١) ظَبْيَانُ بْنُ عُمَارَةَ التَّمِيمِيَّ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَ هُوَ يَقُولُ هَلْ لَكَ يَا ظَبْيَانُ مِنْ بَقَاءٍ

قَالَ فَضَرَبَهُمْ وَ اللَّهُ حَتَّى خَلُّوا لَهُ الْمَاءَ.

قَالَ نَضْرُ وَ دَعَا (٢) الْأَشْثَرُ بِالْحَارِثِ بْنِ هَمَّامِ النَّخَعِيِّ ثُمَّ الصُّهْبَانِيَّ فَأَعْطَاهُ لَوَاءَهُ وَ قَالَ لَهُ يَا حَارِثُ لَوْ لَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ تَصْبِرُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَأَخَذْتُ لَوَائِي مِنْكَ وَ لَمْ أُحِبَّكَ بِكَرَامَتِي فَقَالَ وَ اللَّهُ يَا مَالِكُ لَأَسِيرَنَّكَ أَوْ لَأَمُوتَنَّ فَاتَّبَعَنِي ثُمَّ تَقَدَّمَ بِاللَّوَاءِ وَ ارْتَجَزَ فَقَالَ يَا أَخَا الْخَيْرَاتِ يَا خَيْرَ النَّخَعِ

فَقَالَ الْأَشْثَرُ اذْنُ مِنِّي يَا حَارِثُ فَدَنَا مِنْهُ فَقَبَلَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَا يَتَّبِعُ رَأْسَهُ الْيَوْمَ إِلَّا خَيْرٌ ثُمَّ صَاحَ الْأَشْثَرُ فِي أَصْحَابِهِ فَدَثُّكُمْ نَفْسِي شُدُّوا شِدَّةَ الْمُحْرَجِ الرَّاجِي لِلْفَرَجِ فَإِذَا نَالْتُمْ الرِّمَاحَ فَالْتَوُوا فِيهَا فَإِذَا عَضْتُمْ السُّيُوفَ فَلْيَعْصِ الرَّجُلُ عَلَى نَوَاجِذِهِ فَإِنَّهُ أَشَدُّ لِسُيُونِ (٣) الرَّأْسِ ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ.

ص: ٣٢٧

١-١ (١) صفين ١٩٢.

٢-٢ (٢) الحمس: الشده فى القتال، و فى صفين: حمس الوغى».

٣-٣ (٣) صفين ١٩٣، و المسعودى ٣٨٦:٢.

قَالَ وَكَانَ الْأَشْتَرُ يَوْمئِذٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ مَحْدُوفٍ (١) أَذْهَمَ كَأَنَّهُ حَلَكَ الْغَرَابِ وَقَتِلَ بِيَدِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ فُرْسَانِهِمْ وَصَنَادِيدِهِمْ سَبْعَهُ صَالِحُ بْنُ فَيْرُوزَ الْعُكِّيَّ وَمَالِكُ بْنُ أَذْهَمَ السَّلْمَانِيُّ وَرِيَّاحُ بْنُ عَتِيكَ الْغَسَانِيُّ وَالْأَجْلَحُ بْنُ مَنْصُورِ الْكِنْدِيِّ وَكَانَ فَارِسُ أَهْلِ الشَّامِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ وَصَّاحِ الْجَمْحِيِّ وَزَامِلُ بْنُ عَبِيدِ الْحَزَامِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَوْضَةَ الْجَمْحِيِّ. قَالَ نَصِيرُ فَأَوْلُ قَتِيلِ الْأَشْتَرِ بِيَدِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ صَالِحُ بْنُ فَيْرُوزَ ارْتَجَزَ عَلَى الْأَشْتَرِ وَقَالَ لَهُ يَا صَاحِبَ الطَّرْفِ الْحَصَانِ الْأَذْهَمِ

قَالَ وَكَانَ صَالِحٌ مَشْهُورًا بِالشُّدَّةِ وَالْبَأْسِ فَارْتَجَزَ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَقَالَ لَهُ أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَذْحِجٍ مُرَكَّبًا

ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ أَذْهَمَ السَّلْمَانِيُّ وَهُوَ مِنْ مَشْهُورِيهِمْ أَيْضًا فَحَمَلَ عَلَى الْأَشْتَرِ بِالرُّمْحِ فَلَمَّا رَهَقَهُ (٢) التَّوَى الْأَشْتَرُ عَلَى فَرَسِهِ وَ مَارَ السَّنَانُ (٣) فَأَخْطَأَهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ وَ شَدَّ عَلَى الشَّامِيِّ فَقَتَلَهُ طَعْنًا بِالرُّمْحِ ثُمَّ قَتَلَ بَعْدَهُ رِيَّاحُ بْنُ عَقِيلٍ وَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ وَصَّاحِ ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ زَامِلُ بْنُ عَقِيلٍ (٤) وَ كَانَ فَارِسًا فَطَعَنَ الْأَشْتَرُ فِي مَوْضِعِ الْجَوْشَنِ (٥) فَصَيَّرَعَهُ عَنْ فَرَسِهِ وَ لَمْ يُصِبْ مَقْتَلًا وَ شَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ بِالسَّيْفِ رَاجِلًا فَكَشَفَ قَوَائِمَ فَرَسِهِ وَ ارْتَجَزَ عَلَيْهِ فَقَالَ

ص: ٣٢٨

١-١) المحذوف:المقطوع الذنب.

٢-٢) رهقه:غشيه.

٣-٣) مار السنان:اضطرب.

٤-٤) صفين:«رياح بن عتيك».

٥-٥) الجوشن:الصدر.

لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِي أَوْ مِنْ قَتْلِكَ

قَتَلْتُ مِنْكُمْ أَرْبَعًا مِنْ قَتْلِكَ (١) كُلُّهُمْ كَانُوا حَمَاهُ مِثْلِكَ.

ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَ هَمَّ بِرَاجِلَيْنِ فَقَتَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَوْضَةَ فَقَالَ وَ هُوَ يَضْرِبُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ ضَرْبًا مُنْكَرًا يَا سَاكِنِي
الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الْفِتَنِ

فَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَقَتَلَهُ وَ قَالَ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ سِوَى عُثْمَانَ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِكُمْ هَوَانًا وَ لَا يُسَلَّى عَنْكُمْ الْأَحْرَانَا (٢).

ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ الْأَجْلَحُ بْنُ مَنصُورِ الْكِنْدِيِّ وَ كَانَ مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَ فُرْسَانِهَا وَ هُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ اسْمُهُ لَاحِقٌ فَلَمَّا اسْتَقْبَلَهُ الْأَشْتَرُ كَرِهَ
لِقَاءَهُ وَ اسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ عَنْهُ فَتَضَارَبَا بِسَيْفَيْهِمَا فَسَبَقَهُ الْأَشْتَرُ بِالضَّرْبِ فَقَتَلَهُ فَقَالَتْ أُخْتُهُ تَزِيهِ أَلَا فَابْكِي أَخَا ثِقَةَ

ص: ٣٢٩

١-١) صفين: «قتلت خمسة».

٢-٢) بقيه الرجز كما في صفين: مخالف قد خالف الرحمانا نصرتموه عابدا شيطانا.

قَالَ وَ بَلَغَ شِعْرَهَا عَلِيًّا ع فَقَالَ أَمَا إِنَّهُنَّ لَيْسَ يَمْلِكُهُنَّ مَا رَأَيْتُمْ مِنَ الْجَزَعِ أَمَا إِنَّهُنَّ قَدْ أَضُرُّوا بِنِسَائِهِمْ فَتَرَكُوهُنَّ أَيَّامِي حَزَانِي (١) بَائِسَاتٍ قَاتِلَ اللَّهِ مُعَاوِيَةَ اللَّهُمَّ حَمَلُهُ آثَامُهُمْ وَأَوْزَارًا وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ اللَّهُمَّ لَا تَغْفُ عَنْهُ

٦٦٩

قَالَ نَصْرٌ وَ حَدَّثَنَا (٢) عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَدْهَمَ وَ عَنْ صَعْصَعَةَ قَالَ أَقْبَلَ الْأَشْتَرُ يَوْمَ الْمَاءِ فَضْرَبَ بِسَيْفِهِ جُمُهورَ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى كَشَفَهُمْ عَنِ الْمَاءِ وَ هُوَ يَقُولُ لَا تَذْكُرُوا مَا قَدْ مَضَى وَ فَاتَا

قَالَ وَ كَانَ لِيَوْمِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ فَقَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ لِلَّهِ أَبُوكَ لَيْسَتْ النَّحْعُ بِخَيْرٍ مِنْ كِنْدَةَ قَدِمَ لِيَوْمِ لِيَوْمِ الْوَاءِ كَ فَإِنَّ الْحِطَّ لِمَنْ سَبَقَ فَتَقَدَّمَ لِيَوْمِ الْأَشْعَثِ وَ حَمَلَتِ الرَّجَالُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَ حَمِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ وَ حَمَلَ الْأَشْتَرُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْتَصِفْ أَحَدُهُمَا مِنْ صِدَاحِهِ وَ حَمِلَ شُرْحَبِيلُ بْنُ السَّمِيطِ عَلَى الْأَشْعَثِ فَكَانَا كَذَلِكَ وَ حَمِلَ حَوْشَبُ ذُو ظَلِيمٍ عَلَى الْأَشْعَثِ أَيْضًا وَ انْفَصَلَا وَ لَمْ يَنْبَلْ أَحَدُهُمَا مِنْ صِدَاحِهِ أَمْرًا فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى انْكَشَفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنِ الْمَاءِ وَ مَلَكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْمَشْرَعَةَ.

٦٧٠

١- قَالَ نَصْرٌ فَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ قَالَ (٣) عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ لِمُعَاوِيَةَ لَمَّا مَلَكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْمَاءَ مَا ظَنُّكَ يَا مُعَاوِيَةَ بِالْقَوْمِ إِنْ مَنَعُوكَ الْيَوْمَ الْمَاءَ كَمَا مَنَعْتَهُمْ

ص: ٣٣٠

١-١ (١) صفين: «خزاياء».

٢-٢ (٢) صفين ٢٠١.

٣-٣ (٣) صفين: «صلى فراتا».

أَمْسِ أ تَرَكَ تُضَارِبُهُمْ عَلَيْهِ كَمَا ضَارِبُوكَ عَلَيْهِ مَا أَغْنَى عَنْكَ أَنْ تَكْشِفَ لَهُمُ السَّوْأَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ دَعْ عَنْكَ مَا مَضَى فَمَا ظَنُّكَ
بِعَلِيِّ قَالَ ظَنِّي أَنَّهُ لَا يَسْتَحِلُّ مِنْكَ مَا اسْتَحَلَّتْ مِنْهُ وَأَنَّ الَّذِي حَيَّاهُ لَهُ غَيْرُ الْمَاءِ قَالَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ فَقَالَ عَمْرُو
أَمَرْتُكَ أَمْرًا فَسَخَّفْتُهُ

قَالَ نَصِيرٌ فَقَالَ أَصِيحَابُ عَلِيٍّ عَ لَهُ امْنَعُهُمُ الْمَاءَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا مَنَعُوكَ فَقَالَ لَا خُلُوعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا أَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْجَاهِلُونَ
سَنَعْرِضُ عَلَيْهِمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا فَفِي حَدِّ السَّيْفِ مَا يُعْنَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ فَوَ اللَّهُ مَا أَمْسَى النَّاسُ حَتَّى رَأَوْا سُقَاتَهُمْ وَ سُقَاةَ أَهْلِ الشَّامِ وَ رَوَايَاهُمْ وَ رَوَايَا أَهْلِ الشَّامِ يَزْدَحْمُونَ عَلَى الْمَاءِ مَا يُؤْذِي إِنْسَانَ
إِنْسَانًا .

٥٢ (١) و من خطبه له ع

و قد تقدم مختارها بروايه و نذكر ما نذكره هنا بروايه أخرى لتغاير الروایتين ألا و إنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَيَّرَتْ وَ آذَنْتْ بِإِنْفِصَاءٍ وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَ أَذْبَرَتْ حَذَاءً فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا [سَاكِنِيهَا]

وَ تَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا وَ قَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ حُلُوءًا وَ كَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صِيْفًا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سِيْمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ (٢) كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ لَوْ تَمَرَزَهَا الصَّدْرِيَانُ لَمْ يَنْفَعِ فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْمُودِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ وَ لَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَ لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا (٣) الْأَمِيدُ فَوَ اللَّهُ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ وَ جَارْتُمْ جُورًا مُتَّبِلِي الرُّهْبَانِ وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ التَّمَّاسِ الْقُرْبَى إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئِهِ أَحْصَيْتُمْهَا كُتْبُهُ وَ حَفِظْتُمْهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ تَوَابِهِ وَ أَحَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَ [بِاللَّهِ]

تَاللَّهِ لَوْ انْمَأَثَتْ قُلُوبُكُمْ انْمِيَاثًا وَ سَأَلْتُمْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمَا ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ وَ هُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

ص: ٣٣٢

١- (*) انظر الخطبه رقم ٢٨ الجزء الثاني ص ٩١.

٢- (١) مخطوطه النهج: «و جرعه».

٣- (٢) كلمه «فيها» ساقطه في مخطوطه النهج.

انقطعت و فنيت و آذنتُ بِإِنْقِضَاءِ أَعْلَمْتُ بِذَلِكَ آذنته بكذا أى أعلمته وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا جَهْلٌ مِنْهَا مَا كَانَ مَعْرُوفًا .

و الحذاء السريعه الذهاب و رحم حذاء مقطوعه غير موصوله و من رواه جذاء بالجيم أراد منقطعه الدر و الخير .

و تَحْفِرُ بِالْفَنَاءِ سُبَّكَانَهَا تَعَجَّلَهُمْ وَ تَسَوَّقَهُمْ وَ أَمْرُ الشَّيْءِ صَارَ مَرًا وَ كَدَرَ الْمَاءُ بِكَسْرِ الدَّالِ وَ يَجُوزُ كَدْرُ بَضْمِهَا وَ الْمَصْدَرُ مِنَ الْأَوَّلِ كَدْرًا وَ مِنَ الثَّانِي كَدُورَهُ .

و أَلَسَّمَلَهُ بِفَتْحِ الْمِيمِ الْبَقِيَّةُ مِنَ الْمَاءِ تَبَقِيَ فِي الْإِنَاءِ وَ الْمَقْلَهُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَ تَسْكِينِ الْقَافِ حِصَاةَ الْقِسْمِ الَّتِي تَلْقَى فِي الْمَاءِ لِيَعْرِفَ قَدْرَ مَا يَسْقَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَ ذَلِكَ عِنْدَ قَلْبِ الْمَاءِ فِي الْمَفَاوِزِ قَالَ قَدْ فَوَّضُوا سَيِّدَهُمْ فِي وَرْطِهِ قَدْ فَوَّضَكَ الْمَقْلَهُ وَسَطَ الْمَعْتَرَكِ (١) .

و التمزز تمصص الشراب قليلا قليلا و الصديان العطشان.

و لم ينقع لم يرو و هذا يمكن أن يكون لازما و يمكن أن يكون متعديا تقول نقع الرجل بالماء أى روى و شفى غليله ينقع و نقع الماء الصدى ينقع أى سكنه .

فَأَزْمِعُوا الرَّحِيلَ أَيِ اعْزَمُوا عَلَيْهِ يُقَالُ أَزْمَعْتُ الْأَمْرَ وَ لَا يَجُوزُ أَزْمَعْتُ عَلَى الْأَمْرِ وَ أَجَازَهُ الْفَرَاءُ .

قوله أَلْمَقْدُورُ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ أَيِ الْمَكْتُوبُ قَالَ وَ اعْلَمْ بِأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدْ قَدَرَ فِي الصَّحْفِ الْأُولَى الَّذِي كَانَ سَطْرًا .

أى كتب و الوُله العِجال النوق الوالهه الفاقده أولادها الواحده عجول و الوله ذهاب العقل و فقد التمييز و هديل الحمام صوت نوحه و الجوار صوت مرتفع و المتبتل المنقطع عن الدنيا و انماث القلب أى ذاب .

و قوله وَ لَوْ لَمْ تُتَّقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ اعْتَرَضَ فِي الْكَلَامِ.

و أَنْعَمَهُ مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ جَزَتْ.

و فى هذا الكلام تلويح و إشاره إلى مذهب البغداديين من أصحابنا فى أن الثواب على فعل الطاعه غير واجب لأنه شكر النعمه فلا يقتضى وجوب ثواب آخر و هو قوله ع لَوْ ائْتَمَّائَتْ قُلُوبُكُمْ ائْتِمَانًا... إلى آخر الفصل.

و أصحابنا البصريون لا يذهبون إلى ذلك بل يقولون إن الثواب واجب على الحكيم سبحانه لأنه قد كلفنا ما يشق علينا و تكليف المشاق كإنزال المشاق فكما اقتضت الآلام و المشاق النازله بنا من جهته سبحانه أعواضا مستحقه عليه تعالى عن إنزالها بنا كذلك تقتضى التكاليفات الشاقه ثوابا مستحقا عليه تعالى عن إلزامه إيانا بها قالوا فأما ما سلف من نعمه علينا فهو تفضل منه تعالى و لا- يجوز فى الحكمه أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر من الأمور ثم يلزمه أفعالا شاقه و يجعلها بإزاء ذلك التفضل إلا إذا كان فى تلك الأمور منافع عائده على ذلك الحكيم فكان ما سلف من المنافع جاريا مجرى الأجره كمن يدفع درهما إلى إنسان ليخيط له ثوبا و البارئ تعالى منزه عن المنافع و نعمه علينا منزهه أن تجرى مجرى الأجره على تكليفنا المشاق.

و أيضا فقد يتساوى اثنان من الناس فى النعم المنعم بها عليهما و يختلفان فى التكليف

فلو كان التكليف لأجل ما مضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها فإن قيل فعلى ما ذا يحمل كلام أمير المؤمنين ع وفيه إشارة إلى مذهب البغداديين .

قيل إنّه ع لم يصرح بمذهب البغداديين و لكنه قال لو عبدتموه بأقصى ما ينتهى الجهد إليه و ما وفيتم بشكر أنعمه و هذا حق غير مختلف فيه لأن نعم البارئ تعالى لا تقوم العباد بشكرها و إن بالغوا فى عبادته و الخضوع له و الإخلاص فى طاعته و لا يقتضى صدق هذه القضية و صحتها صحة مذهب البغداديين فى أن الثواب على الله تعالى غير واجب لأن التكليف إنّما كان باعتبار أنّه شكر النعمه السالفه

[ما قيل من الأشعار فى ذمّ الدنيا]

فأما ما قاله الناس فى ذمّ الدنيا و غرورها و حوادثها و خطوبها و تنكرها لأهلها و الشكوى منها و العتاب لها و الموعظه بها و تصرمها و تقلبها فكثير من ذلك قول بعضهم هى الدنيا تقول بملء فيها

و قال آخر تنح عن الدنيا و لا تطلبها

ص: ٣٣٥

وقال أبو الطيب أبدا تسترد ما تهب الدنيا

وقال آخر إنما الدنيا عوار

وقال محمد بن هاني المغربي و ما الناس إلا ظاعن فمودع

وقال ابن المظفر المغربي دنيك دار غرور

ص: ٣٣٦

و لا تبعها بأكل

و قال أبو العتاهيه ألا إتما التقوى هي البر و الكرم

و قال أيضا تعلقت بآمال

و قال أيضا سكن يبقى له سكن

ص: ٣٣٧

وقال أيضا ألا إننا كلنا بائد

وقال الرضى الموسوى يا آمن الأيام بادر صرفها

ص: ٣٣٨

وقال آخر هذه الدنيا إذا صرفت وقال أبو الطيب نعد المشرفيه و العوالى

ص: ٣٣٩

و مغض كان لا يغضى لخطب

و بال كان يفكر فى الهزال.

و قال أبو العتاهيه فى أرجوزته المشهوره فى ذم الدنيا و فيها أنواع مختلفه من الحكمه ما زالت الدنيا لنا دار أذى

ص : ٣٤٠

يا ربّ من أسخطنا بجهدہ

وقال أيضا كل على الدنيا له حرص

وقال أيضا أبلغ الدهر في مواعظه بل

ص: ٣٤١

وقال ابن المعتز حمدا لربي و ذما للزمان فما

وله أيضا أ لست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا

وله قل لدنياك قد تمكنت مني

وقال أبو العلاء المعري و الدهر إبرام و نقض و تفريق

وقال آخر و الدهر لا يبقى على حاله لا بد أن يدبر أو يقبلا.

وقال أبو الطيب ما لي و للدنيا طلابي نجومها و مسعاى منها فى شذوق الأرقام (١).

ص: ٣٤٢

١-١) سقط الزند ١٦١.

وقال آخر لعمر ك ما الأيام إلا معاره فما اسطعت من معروفها فتزود.

وقال آخر لعمر ك ما الأيام إلا كما ترى رزیه مال أو فراق حبيب.

الوزير المهلبی

ألا موت یباع فأشتریه

وله أشكو إلى الله أحداثا من الزمن

عبید الله بن عبد الله بن طاهر

ألا أيها الدهر الذى قد مللته

وله أ لم تر أن الدهر یهدم ما بنى

البحترى

كان الليالى أغريت أحداثاتها

بحب الذى نابى و بغض الذى نهوى (١)

ص: ٣٤٣

١-١) ابن خلكان ١:١٤٢.

و من عرف الأيام لم ير خفضها

نعيمًا و لم يعدد مضرتها بلوى.

أبو بكر الخوارزمي

ما أثقل الدهر على من ركبته

و قال آخر يسعى الفتى فى صلاح العيش مجتهدًا و الدهر ما عاش فى إفساده ساعى.

آخر يغر الفتى مر الليالى سليمه و هن به عما قليل عواثر.

آخر إذا ما الدهر جر على أناس

آخر قل لمن أنكر حالا منكره

ابن الرومى

سكن الزمان و تحت سكتته

دفع من الحركات و البطش

ص: ٣٤٤

كالأفغوان تراه منبطحا

بالأرض ثم يثور للنهش.

أبو الطيب

أنا لفي زمن ترك القبيح به

وقال آخر جار الزمان علينا في تصرفه

آخر هذا الزمان الذي كنا نحاذره

آخر يا زمانا ألبس

الرضى الموسوى

تأبى الليالى أن تديما

ص: ٣٤٥

و هو الزمان إذا نبا

أبو عثمان الخالدي

ألفت من حادثات الدهر أكبرها

السرى الرفاء

تنكد هذا الدهر فيما يرومه

ابن الرومى

ألا إن فى الدنيا عجائب جمه

السرى الرفاء

لنا من الدهر خصم لا نطالبه

ص: ٣٤٦

أبو فراس بن حمدان

تصفحت أحوال الزمان و لم يكن

ابن الرومي

رأيت الدهر يرفع كل وغد

ابن نباته

و أصغر عيب في زمانك أنه

أبو العتاهيه

لتجذبني يد الدنيا بقوتها

و له أيضا أنسك محياك المماتا فطلبت في الدنيا الثباتا (1).

ص: ٣٤٧

(١ - ١) ديوانه ٣١٥ (نشره سامي الدهان).

و قال يزيد بن مفرغ الحميرى لا ذعرت السوام فى فلق الصبح

و قال آخر لا تحسبىنى يا امامه

مثله قول عنتره ذلل ركابى حيث شئت مشاعى لى و أحفزه برأى مبرم (١).

و قال آخر أ خشيه الموت در دركم

و قال آخر و ربّ يوم حبست النفس مكرهه

مثله للشداخ أينا فلا نعطى مليكا ظلامه و لا سوقه إلاّ الوشيج المقوما

ص: ٣٤٨

١-١) السوام:الإبل الراعيه.

تروم الخلد فى دار التفانى

حسبنا الله وحده و صلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد و آله الطاهرين

تم الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع و أوله فى ذكر يوم النحر و صفه الأضحيه

ص: ٣٤٩

- ٤٤-من كلامه عليه السلام لما هرب مصقله بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ١١٩
- ٤٥-من خطبه له في الزهد و تعظيم الله و تصغير أمر الدنيا ١٥٦
- ٤٦-من كلامه عند عزمه على المسير إلى الشام ١٦٥
- ٤٧-من كلامه في ذكر الكوفه ١٩٧
- ٤٨-من خطبه له عند المسير إلى الشام أيضا ٢٠٢
- ٤٩-من خطبه له في تمجيد الله سبحانه و تحميده ٢١٦
- ٥٠-من خطبه له يصف فيها وقوع الفتن ٢٤٠
- ٥١-من كلام له لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين و منعوهم من الماء ٢٤٤
- ٥٢-من خطبه له في وصف الدنيا ٣٣٢

بقية رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان ٤-١١

ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان و الرد عليها ١١-٦٩

بيعه جرير بن عبد الله البجلي لعلّى ٧٠-٧٣

بيعه الأشعث لعلّى ٧٣-٧٤

دعوه على معاوية إلى البيعه و الطاعة و ردّ معاوية عليه ٧٤-٩١

أخبار متفرقة ٩١-١١٥

مفارقة جرير بن عبد الله البجلي لمعاوية ١١٥-١١٧

نسب جرير و بعض أخباره ١١٧-١١٨

نسب بنى ناجيه ١٢٠-١٢٢

نسب على بن الجهم و طائفه من أخباره و شعره ١٢٢-١٢٦

نسب مصقله بن هبيرة ١٢٧

خبر بنى ناجيه مع على ١٢٧

قصه الخزيت بن راشد الناجي و خروجه على على ١٢٨-١٥١

فصل بلاغى فى الموازنه و السجع ١٥٣-١٥٤

نبد من كلام الحكماء فى مدح القناعه و ذمّ الطمع ١٥٤-١٦٤

أدعيه على عند خروجه من الكوفه لحرب معاوية ١٦٦-١٦٩

كلام لعلّى حين نزل كربلاء ١٦٩-١٧١

كلامه لأصحابه و كتبه إلى عماله ١٧١-١٨٦

كتاب محمّد بن أبى بكر إلى معاوية و جوابه عليه ١٨٨-١٩٠

فصل فى ذكر فضل الكوفه ١٩٨-١٩٩

ص: ٣٥١

أخبار عليّ في جيشه و هو في طريقه إلى صفّين ٢٠٢

فصول في العلم الإلهي ٢١٧

الفصل الأول في الكلام على كونه تعالى عالما بالأموور الخفيه ٢١٨-٢٢١

الفصل الثاني في تفسير قوله عليه السلام: «و دلت عليه أعلام الظهور» ٢٢١-٢٢٢

الفصل الثالث في أن هويته تعالى غير هويه البشر ٢٢٢-٢٢٣

الفصل الرابع في نفى التشبيه عنه تعالى ٢٢٣-٢٣٨

الفصل الخامس في بيان أن الجاحد مكابر بلسانه و مثبت له بقلبه ٢٣٨-٢٣٩

الأشعار الواردة في الإباء و الأنف من احتمال الضيم ٢٤٥-٢٤٩

أباه الضيم و أخبارهم ٢٤٩-٣١٢

غلبه معاويه على الماء بصفّين ثم غلبه عليّ عليه بعد ذلك ٣١٢-٣٣١

ما قيل من الأشعار في ذمّ الدنيا ٣٢٥-٣٤٩

ص: ٣٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩